كلية اللغة العربية بأسيوط
المجـــلة العلميـــة

في الدراسات اللغوية والقرآنية

قراءة علي بن أبي طالب
(رضي الله عنه)
دراسة لغوية

إعداد

د/محمد علاَّم محمد عبد الرحمن

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد التاسع والعشرون – الجزء الأول يوليو ٢٠١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن ، وخصنا بأشرف لسان • أحمده على ما أولانا به من منته وخصنا به من جزيل نعمه •

والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد ، وأفضل العباد ، وعلى آله وصحبه ومـــن تبعهم ـــ بإحسان ـــ على طريق الحق والهداية والرشاد •

وبعـــد ،،،

فإن القرآن الكريم كتاب الله العظيم ، والمعجزة الخالدة إلى يوم الدين ، والنور المبين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد •

رفع الله شأنه ، ونوه بعلو منزلته فقال سبحانه : ﴿ تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ [1] •

وهو المصدر الأول من مصادر التشريع في الحياة الإسلامية ، ولن يكون غير ذلك في مجال البحث اللغوي ؛ لما بين الاثنين من وشائج وصلات في المسلك والقصد •

والقرآن الكريم منهل العربية الأول ، وعمادها الأسمى ، تدين له في بقائها وســـلامتها ، وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها ، وتفوق اللغات الأخرى به في أساليبها ومادتها •

ولقد أدرك المسلمون ذلك أول وهلة فعكفوا على كتاب الله ـــ عز وجل ـــ حفظـــاً ، وتلاوة ، وأداء ، وتدبراً ، يحضهم على ذلك حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " الماهر

---

(1) طه : الآية (٤) •

بالقرآن مع السفرة الكرام البررة " [١] .

وقد بدأ الاهتمام باللفظ القرآني على يد النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما تلقاه عن جبريل (عليه السلام) تلقيناً ، وتعليماً ، ومدارسةً ، وعلمه أصحابه ، رضوان الله عليهم .

وقد تناقل الصحابة ما سمعوه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من القراءات . كما تناقل التابعون قراءات الصحابة بالتواتر . وقد أخذ عن أعلام التابعين خلق كثير لا يحصون . . . وهكذا دواليك . فتحولت القراءات إلى مادة تدرس ، وبدأت وجوه القراءات المختلفة تأخذ طريقها إلى الرواية والنقل على يد أبي بن كعب (ت ٢٠هـ) ، وعلي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ) وأنس بن مالك (ت ٩٨ هـ) ومن أخذ عنهم من تلامذتهم أمثال : أبي عبد الرحمن السلمي ، وابن أبي ليلى ، وأبي الأسود الدؤلي ، وغيرهم من المشتهرين بالإمامة في القراءة والإقراء .

واحتل علم القراءات مكاناً بارزاً عند أسلافنا القدماء ، وعرفوا له من الأهمية ما حملهم على جمع هذه القراءات وتلقيها خلال العصور ، وما تزال العناية بهذا العلم قائمة في البلاد الإسلامية حتى اليوم .

أما دلالة هذه القراءات ، وبخاصة الشاذة منها ، على المزايا والمشكلات الصوتية واللغوية ، وعلى تاريخ الفصحى ، فقد بدأت محاولة دراستها أخيراً في ضوء علم اللغة الحديث . " وقد كانت أجدر أن تتوالى عليها البحوث في القديم لإنضاجها ، علماً ذا أساس من الرواية والنقل متين ، وفناً يتصل بكيفية النطق على مر العصور ، فهو سجل للظواهر النطقية الحية ، كما أنه محافظ على المأثور من طبائع اللسان العربي في الفصحى وفي لهجاتها " [٢] .

بل إن علم القراءات القرآنية ، مشهورها وشاذها ، هو من أولى العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى " لأن رواياتها هي أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية ، واللغوية بعامة ، في مختلف الألسنة واللهجات ، بل إن من الممكن القول بأن القراءات الشاذة هي أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية التي تصلح أساساً

(١) صحيح مسلم : ١ / ٤٤٩ ، ٥٠٠ ، ومسند أحمد : ٢ / ٩٨ .

(٢) تاريخ القرآن ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٦ .

للدراسة الحديثة والتي يلمح فيها المرء صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة " (١) .

وأما الاحتجاج بالقراءات الشاذة في اللغة فأمر متفق عليه ، فإن كل ما قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً . . وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءة الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً ، بل ولو خالفته فإنه يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه (٢) .

يقول الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة : " القرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة كما هو حجة في الشريعة ، فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأناً عن أوثق ما نقل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها ، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفي فيه برواية الآحاد " (٣) .

ولما كانت القراءات القرآنية ديوان خصائص العربية ، وهي الوثيقة التاريخية التي نطمئن إليها في فقه اللغة الفصحى من جميع نواحيها ، كما أنها على اختلاف رواياتها سجل دقيق لما كان يجري في كلام العرب من تصرفات صوتية ولغوية ، ولا فرق في ذلك بين قراءة من السبعة أو من غيرها مما يسمى (بالشواذ) .

ونظراً لهذه القيمة العظيمة والأهمية الكبرى لدراسة القراءات القرآنية يممت وجهي شطرها فهداني الله — سبحانه وتعالى — إلى قراءة الإمام علي — رضي الله عنه — لدراستها دراسة لغوية في ضوء علم اللغة المعاصر ، وكان لهذا الاختيار أسباب ، منها :

١ — أن علياً — رضي الله عنه — أحد كتاب الوحي ، وأحد من جمع القرآن حفظاً ، وعرضه على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتلقاه عنه ، كما أنه أحد عناصر الإجماع على المصحف الإمام .

٢ — نشأة علي — كرم الله وجهه — في بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعيشه في

(١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٧ ، ٨ .

(٢) القراءات القرآنية وملاحظات على منهج الدرس ، للدكتور عبد الله توفيق الصباغ ص ٥٥ .

(٣) دراسات في أسلوب القرآن الكريم — القسم الأول : ١ / ٢ .

كنفه يسمع منه ويتعلم في مدرسته ، وهذا له كبير الأثر في الدراية بكتاب الله لفظاً ومعنى .

٣ ــ أن أربعة من أئمة القراء السبعة تنتهي قراءاهم إلى علي ، رضي الله عنه ، وهــؤلاء هــم : أبو عمرو بن العلاء ، وعاصم بن أبي النجود ، وحمزة الزيات ، والكسائي .

٤ ــ اشتمال قراءة علي ــ رضي الله عنه ــ على كثير من القضايا والظواهر اللغوية التي شملت المستويات اللغوية المعاصرة ، وهذا يعني أن القراءات القرآنية تعد حقلاً خصباً للدراسات اللغوية على مختلف اتجاهاها .

٥ ــ الرغبة الملحة في كشف النقاب عن شخصية الإمام علي ــ رضــي الله عنــه ــ في مجــال القراءات القرآنية ، حتى يتمكن الباحثون في الدراسات اللغوية والقرآنية من الإفادة مــن هذه الشخصية .

٦ ــ لم أجد ــ فيما أعلم ــ من جمع قراءة علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنــه ــ ودرســها دراسة لغوية معاصرة على النهج الذي سرت عليه في دراستها ، فكان هذا سبباً آخر لهــذا الاختيار .

هذا ، وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في أربعة فصول مسبوقة بمقدمة ، ومتلوة بخاتمة ، وفهارس فنية .

أما المقدمة فتناولت فيها : أهمية الموضوع ، والسبب في اختيــاره ، وخطــة البحــث ومنهجي فيه .

وأما الفصل الأول فعنوانه " علي بن أبي طالب وقراءته " وقد تضمن مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بــ " علي بن أبي طالب " من حيث نسبه ومولده ونشأته ، وصــفاته ، ومكانته من التفسير والقراءات ، وتلامذته ، ووفاته .

المبحث الثاني : قراءة علي بن أبي طالب بين القراءات القرآنية . وفي هذا المبحث بينت سند هذه القراءة ، ومصادرها ، وعلاقة القراءات السبع بها ، ومكانتها بين القراءات .

وجعلت الفصل الثاني لدراسة المستوى الصوتي ودلالته . وجاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإبدال اللغوي في الحروف (الصوامت) والحركات (الصوائت) ٠

المبحث الثاني : تسكين الحركة ٠

المبحث الثالث : الفك والإدغام ٠

وخصصت الفصل الثالث لدراسة المستوى الصرفي ودلالته ٠ وجاء في تمهيد وستة مباحث :

المبحث الأول : الأبنية ٠ ويشمل : أبنية الأفعال ودلالتها ، وأبنية الأسماء ودلالتها ٠

المبحث الثاني : الصيغ بين الأسماء والأفعال ٠

المبحث الثالث : الاشتقاق والدلالة ٠

المبحث الرابع : المبني للفاعل والمبني للمفعول ٠

المبحث الخامس : الإفراد والتثنية والجمع ٠

المبحث السادس : التذكير والتأنيث ٠

وأما الفصل الرابع فكان بعنوان " المستوى النحوي (التركيبي) ودلالته " ٠

وقد اشتمل على تمهيد وخمسة مباحث :

المبحث الأول : الضمائر ٠

المبحث الثاني : الاختلاف في الإعراب ٠

المبحث الثالث : الزيادة والنقصان ٠

المبحث الرابع : في المبنيات ٠

المبحث الخامس : بين الاسمية والحرفية ٠

هذا ، وقد كان منهجي في هذه الدراسة على النحو الآتي :

١ ــ ذكر الكلمة موضع القراءة مع ضبطها ، وإردافها بالآية التي تضمنتها ، مع توثيقها ٠

٢ ــ النص على قراءة الجمهور ، وقراءة علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وتوثيق ذلك من كتب القراءات والتفسير ، وتوجيه القراءتين ، والاحتجاج لهما ، ومحاولة توضيح العلاقة التي تربط بينهما ، وأثر ذلك في تأدية المعنى المراد .

٣ ــ بيان القراءة الشاذة والمتواترة عند الإمام علي ــ كرم الله وجهه ــ وصلة هذا بتعدد لغات العرب ما أمكن .

٤ ــ توضيح معنى الكلمة محل القراءة من واقع المعجمات اللغوية وغيرها، وذكر المعنى العام للآية التي وردت فيها هذه القراءة .

٥ ــ عدم إفراد الناحية الدلالة بدراسة مستقلة ؛ حتى لا يتكرر الحديث عن الظاهرة اللغوية في موضعين مختلفين .

وفي (الخاتمة) ذكرت أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة ، ثم ذيلت البحث بفهارس لمصادره ومراجعه ، وموضوعاته ومحتوياته .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خدمة لكتابه ، وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ .

دكتور

محمد علام محمد

الفصل الأول
علي بن أبي طالب وقراءتـــه

المبحث الأول

التعريف بعلي بن أبي طالب

نسبه ومولده ونشأته :

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وصهره علي ابنته فاطمة ٠

ولد ــ رضي الله عنه ــ في الثالث عشر من شهر رجب الأصم ، سنة ثلاثين من عام الفيل في مكة المكرمة ، وهو أول مولود في البيت الحرام ، لم يولد قبله ولا بعده مولود في هذا البيت سواه ، وأول من أسلم من الصبيان ٠

وهو رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أنعم الله عليه بنعمة العلم ، ونور الحكمة ٠

وقد أخذه النبي (صلى الله عليه وسلم) ليربيه في بيته ، تخفيفاً عن عمه أبي طالب بسبب كثرة عياله ، وضيق العيش ، فنشأ علي في بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يزل معه حتى بعثه الله ــ تبارك وتعالى ــ نبياً ورسولاً ٠

ولذا فقد اجتمع في علي ــ رضي الله عنه ــ من الفضائل ما لم يحظ به غيره ، فمن ورع في الدين ، إلى زهد في الدنيا ، إلى علم جم وفضل غزير ٠

وأسلم ــ رضي الله عنه ــ في نحو العاشرة من عمره ، على قول ، ولازم الحبيب الكريم، وشهد معه الغزوات كلها إلا تبوكاً . وقد أعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) اللواء في مواطن كثيرة ، وقال يوم خيبر : " لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " ثم أعطاها لعلي ــ رضي الله عنه ــ واختص بلقب الإمام بين جميع الخلفاء الراشدين.[1]

---

(1) ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري : ١ / ٥٤٦ . وتهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني : ٧ / ٣٣٤ ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر أيضاً :٢ / ٣٩ ، وأسد الغابة : ٤ / ٩١ ، والعبر : ١ / ٤ ٠

صفاته :

يحدثنا الكاتب الكبير الأستاذ العقاد عن الصفات التي تحلى بها علي ــ رضي الله عنه ــ فيقول : " المشهور عن علي أنه كان أول هاشمي من أبوين هاشميين ، فاجتمعت له خلاصة الصفات التي اشتهرت بها هذه الأسرة الكريمة ، وتقاربت سماتها وملامحها في كثير من أعلامها المقدمين ، وهي في جملتها النبل والأيد والشجاعة والمروءة والذكاء ، عدا المأثور في سماتها الجسدية التي تلاقت أو تقاربت في عدة من أولئك الأعلام " .

وَلَن تَرَى في العُلاَ أُماً كفاطمةٍ ولن تَرى كعَليٍّ في الفَخَارِ أَبَا

" وربما صح من أوصاف علي في طفولته أنه كان طفلاً مبكر النماء، سابقاً لأنداده في الفهم والقدرة " (١) .

ووصفه ضِرار الصُّدَائيّ في مجلس معاوية إذ قال له معاوية : يا ضِرار صف لي علياً ، فقال: أوتعفيني يا أمير المؤمنين ، قال لا أعفيكَ . قال : أما إذا كان لابدّ ، فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصْلاً ، ويحكم عدْلاً ، يَتَفَجَّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ... " (٢) .

وكان ــ رضي الله عنه ــ قوي البيان ، واضح الحجة ، أبلج الاستدلال ، رفيع المنطق ، أخطب المسلمين على الإطلاق بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات : " ولا نعلم بعد رسول الله فيمن سلف وخلف أفصح من علي في المنطق ، ولا أبل ريقاً في الخطابة ، كان حكيماً تتفجر الحكمة من بيانه ، وخطيباً تتدفق البلاغة على لسانه ، وواعظاً ملء السمع والقلب ، ومترسلاً بعيد غور الحجة ، ومتكلماً يضع لسانه حيث شاء ، وهو بالإجماع أخطب المسلمين ، وإمام المنشئين " .

(١) عبقرية الإمام ، للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) حياة علي بن أبي طالب ، للشيخ الشنقيطي ص ١١٢ .

ويقول أيضاً : " وما نظن ذلك قد تهيأ له إلا لشدة خلاطه للرسول . ومرانته عند اخذانه على الخطابة له والخطابة في سبيله " (١) .

مكانته من التفسير والقراءات :

جمع عليٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ إلى مهارته في القضاء والفتوى علمه بكتاب الله ، وفهمه لأسراره وخفى معانيه ، فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل ، وقد رُوِىَ عن ابن عباس أنه قال : " ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب " (٢) ، وقال أيضاً : " عِلْمُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عِلْم الله ، وعِلْمُ عليّ من عِلْم رسول الله ، وعِلْمي من عِلْم عليّ ، وما عِلْمي وعِلْمُ أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) في عِلْمِ عليّ . إلا كقطرة في سبعة أبحر " (٣) .

وأخرج أبو نُعَيْم في الحِلْيَة عن عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ أنه قال : " والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نَزَلتْ ؟ وأين نزلتْ ؟ وإن ربي وهب لي قلباً عَقُولاً ، ولساناً سَؤُولاً " (٤) .

وقال السيوطي ـــ رحمه الله ـــ في الإتقان : " اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الراشدين ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأُبَيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب ـــ كرم الله وجهه " (٥) .

ولا ريب في أن الرابطة بين علم القراءات والتفسير جِدُّ واضحة بحيث كان المفسرون الأولون يأخذون أنفسهم بلزوم الالتفات إلى القراءات والاعتماد عليها ، حتى إن رُجْحان قراءة من القراءتين يُرَجِّح أحد المعنيين في تفسير الآية ، كما أن رُجْحان أحد المعنيين يُرَجِّح أيضاً إحدى القراءتين على الأخرى .

(١) تاريخ الأدب العربي ص ١٨٦ .

(٢) البحر المحيط : ١ / ١٧ .

(٣) مع الإمام علي ، للشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ص ٨٢ .

(٤) البحر المحيط : ١ / ١٧ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٨٧ .

ويؤكد ابن عاشور تلك العلاقة حين يقول : " إن لعنصر القراءة في بعض نواحيه اتصالاً قوياً بالتفسير . وإذا كان علم التفسير وعلم القراءات مما يزين برجوع التفسير إلى الدراية ، ورجوع القراءات إلى الرواية ؛ فإنهما متصلان من وجه بما للرواية من أثر في تحقيق الدراية والعكس "[(١)] .

ومن هنا اعتبر بعضهم علم القراءات أول محاولة لتفسير القرآن الكريم[(٢)] .

تلامذته :

حضر عليه وقصده كثير من طلاب العلم ، والقراءات ،وتتلمذ عليه جماعة من أشهرهم :

١ـ أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلَمِيّ ، الكُوفي ، القارئ ، ولد في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخذ القراءة عَرْضاً عن عثمان ابن عفان ، **وعلي بن أبي طالب ، وغيرهما** وأخذ عنه عرْضاً : عاصم ، وعطاء ، والحسن .

وكان السُّلَمِيّ يقول : قرأت على أمير المؤمنين عَلِيّ ــ رضي الله تعالى عنه ــ القرآن كثيراً ؛ وأمسكت عليه المصحف فقرأ علي ، توفى سنة أربع وسبعين ، وقيل : ثلاث وسبعين[(٣)] .

٢ــ أبو الأسود الدُّؤَلِيّ: ظالم بن عمرو بن سفيان ، قاضي البصرة ، ثقة جليل ، أسلم في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم.) ولم يَرَه ، فهو من المخضرمين ، يقال : إنه أول من وضع مسائل النحو بإشارة علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ أخذ القراءة عَرْضاً عن عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وروى عن عمر وأبي بن كعب وأبي ذر (رضي الله عنهم) وروى القراءة عنه ابنه أبو حرب ، ويحيى بن يَعْمَر ، توفى سنة تسع وستين بالبصرة[(٤)] .

٣ــ ابن أبي ليلى: عيسى بن عبد الرحمن بن أبي لَيْلَى الأنصاري ، الكوفي ، تابعي كبير ، عرَض القرآن على أبيه ، عن عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وعرَض عليه أخوه محمد بن

---

(١) القراءات القرآنية وملاحظات على منهج الدرس ، للدكتور/ عبد الله توفيق الصباغ ص ٥٨ . ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .

(٣) السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ص ٦٨، وغاية النهاية في طبقات القراء : ١ /٤١٣ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٩ ، ٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ، للذهبي : ١ / ٨٥ .

(٤) غاية النهاية : ١ / ٣٤٥ ، ومعرفة القراء الكبار ، للذهبي : ١ / ١٩ .

عبد الرحمن ، توفي سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : اثنتين وثمانين [1] .

وفي هذا الحصر لتلامذة عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ إشارة إلى أثره في تكوين مدارس القراءة والنحو التي نشأت بعده ، ويكفي أن نعلم أن أبا بكر عاصم بن أبي النجود ، أحد القراء السبعة ، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ ، وخلفه في موضعه ، وهو الإمام الذي انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن [2] ، كما أن حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة أيضاً ، أخذ القراءة عن ابن أبي ليْلَى ، وإلى حمزة صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم [3] .

وأما أبو الأسود الدُّؤَلِيّ ، تلميذ عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ فهو الذي ابتدأ وضع النحو ، وذلك بوضع نقط فوق الحروف ؛ لتقوم مقام الشكل الذي نعرفه اليوم ، وبعض الضوابط التي تحفظ من الخطأ في كتاب الله . يقول بعض الباحثين : " وكان أبو الأسود من القراء ، لَبِقاً ذكيا ، حاضر البديهة " [4] .

وهذا يدل على ما لعلي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ من مكانة عظيمة في مجال القراءة والنحو واللغة .

وفاته :

في سنة أربعين ، اجتمع بمكة جماعة من الخوارج ، وتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة ، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل عَليّ ، ومعاوية ، وعمروْ بن العاص ـــ رضي الله عنهم .

وقد شَجَّعَهُم على ذلك ما حَزَّ في نفوسهم من هزيمة شَنْعَاء في موقعة النَّهْرَوَان ، وما مُنُوا به خسائر جِسام ، ولم يجدوا مَفَراً من قدوم أحدهم على اغتيال عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ غِيلَةً وغَدْراً ، ووقع الاختيار في تنفيذ هذه الجريمة النكراء على عبد الرحمن بن مُلْجَم ، فذهب إلى الكوفة ، وتربص للإمام قرب المسجد ، فلما خرج عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ إلى المسجد في صلاة

(1) المصدر السابق : ١ / ٦٠٩ ، وميزان الاعتدال ، للذهبي : ٢ / ١٠٤ ، وتذكرة الحفاظ : ١ / ٥٥ .

(2) السبعة في القراءات ص ٦٩ .

(3) المصدر السابق ص ٧١ ، ٧٢ .

(4) الأستاذ محمد عبد العزيز النجار ، ضياء السالك إلى أوضح المسالك : ١ / ٩ .

الفجر طعنه ابن مُلْجَم بسيفه المسموم ، فنُقِلَ الإمام إلى داره .

وقُتِلَ ـــ رضي الله عنه ـــ ليلة الجمعة . لإحدى عشرة ، وقيل : لثلاث عشرة ، وقيل : لثماني عشرة ليلة انقضت من شهر رمضان سنة أربعين من سنى الهجرة بالكوفة [1] .

وفاضت روحه الطاهرة ليلة الأحد تاسع عشرة ، ودُفِنَ في النَّجَف الأشرف بالكوفة . وكان عُمْرُ عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ حينئذ ثلاثة وستين عاماً ، وقد استمرت خلافته خمس سنوات تقريباً .

---

(1) غاية النهاية : ١ / ٥٤٦ ، ومع الإمام علي (كرم الله وجهه) ص ٨٥ .

المبحث الثاني

قراءة علي بن أبي طالب بين القراءات القرآنية

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة : مصدر سماعي لـ (قَرَأَ) • وفي الاصطلاح : مَذْهَبٌ يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواءً أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها [1] •

ومن المفيد قبل دراسة قراءة علي بن أبي طالب ـــ رَضي الله عنه ـــ من الناحية اللغوية أن نتحدث عن سند هذه القراءة ، ومصادرها ، ومكانتها بين القراءات ، وصلة القراءات السبع بها •

١ ـ سندها :

من المعلوم لدى الباحثين في مجال علم القراءات ، أن أساس هذا العلم هو السماع والمشافهة في زمن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) وزمن صحابته الكرام البَرَرَة ، وأيام التابعين •

ولما كان القرآن الكريم قد نزل على سبعة أحرف ، كما نطقت بذلك الأحاديث الشريفة التي بلغت مبلغ التواتر ، لحكم جليلة ، وأهداف سامية •• فقد اختلف تلقي الصحابة ، وأخذهم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) •

فمنهم من أخذ القرآن عنه بحَرْف واحد •

ومنهم من أخذه بِحَرْفَيْن •

ومنهم من أخذه على أكثر من ذلك •

ثم تفرق الصحابة في الأمصار وهم يحملون ما تلقوه عن رسول الله (صـــلى الله عليـــه

---

(١) البحر المحيط (مقدمة التحقيق): ١ / ٧٧ •

وسلم) ، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابعي التابعين ، وهكذا حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين ، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها في الناس .

وما هذه القراءات المشهورة في عَصْرِنا . وفي أَعْصَار سَلَفَتْ ، إلا جزءاً من الأحرف السبعة وأثراً لها وغَيْضاً من فَيْضِها .

وقد اشتهر من الصحابة عدد كثير بإقراء القرآن الكريم ، بجميع قراءاته ورواياته ، ومن هؤلاء عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ أحد كتاب الوَحْي [1]، وأحد من جمع القرآن حِفظاً وعَرَضَهُ على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتَلَقَّاهُ عنه ، وحَفِظَهُ في قلبه وَوَعَاهُ في صدره بجميع قراءاته ورواياته التي تلقاها عن النبي (عليه الصلاة والسلام) .

وعليٌّ ــ رضي الله عنه ــ أحد عناصر الإجماع على المصحف الإمام ، إذ يذكر ابن أبي داود أنه قال حين أحرق عثمان المصاحف : " لَوْ لَمْ يَصْنَعْهُ لَصَنَعْتُهُ " [2] .

وعَلَى هذا فقراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ متصلة السند برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتلك خاصية من خواص هذه القراءة .

٢ - علاقة القراءات السبع بها :

إذا فحصنا أسانيد القراء السبعة لمعرفة وجود عليّ ــ رضي الله عنه ــ فيها وجدنا أنه إليه تنتهي قراءات أربعة قُرَّاء منهم ، وهم :

١ ــ أبو عمرو بن العلاء ، عن نصر بن عاصم ويحيى بن يَعْمَر ، وهما قرءا على أبي الأسود الدُّؤَلي وهو قرأ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب [3] .

٢ ــ عاصم بن أبي النَّجُود ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ ، وهو قرأ مباشرة عَلَى عليّ

(١) حياة اللغة العربية ، للأستاذ حفني ناصف ص ٧٨ ، وتاريخ القرآن ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص٦٩

(٢) كتاب المصاحف : ١ / ١٢ .

(٣) النشر : ١ / ١٣٣ .

ــ رضي الله عنه ــ [1] وقراءة عاصم من طريق حَفْص بن سليمان بن المُغيرة هي الشائعة الآن في أكثر بلاد المشرق .

٣ ــ حمزة الزيات ، عن جعفر الصادق ، وهو قرأ على محمد الباقر ، وهو قرأ عَلَى عليّ زين العابدين ، وهو قرأ على أبيه الحُسَيْن الذي قرأ على أبيه علي ــ كرم الله وجهه ــ [2] .

٤ ــ الكِسائي ، وقد قرأ على حمزة بسنده المتقدم [3] .

ومن ثم فقراءات هؤلاء الأربعة (أبو عَمْرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكِسائي) تنتهي إلى عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه .

٣ ـ مصادرها :

من المصادر التي عُنِيَتْ بقراءة عَلِيّ ــ كَرَّم الله وجهه ــ وكانت عَوْناً لنا في جمع قراءاته واستقصائها : كتاب " معاني القرآن " للفرّاء (ت ٢٠٧ هــ) ، فقد أورد عدداً من قراءات عليّ وحروفه ، فهو ــ لاشك ــ مصدر من المصادر الأساسية التي يعتمد عليها في جمع القراءات .

ومن المصادر في هذا الصدد أيضاً " معاني القرآن وإعرابه " للزَّجّاج (ت ٣١١ هــ) الذي تَعَرَّفْنَا على قدر من قراءات عليّ ــ رضي الله عنه ــ منه ، دون نسبة لها ولغيرها في الغالب .

كما أن ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هــ) في كتابه عن الشواذ الذي صار فيما بعد مصدراً لتلميذه ابن خالويه (ت ٣٧٠هــ) في كتاب " البديع " الذي وصل إلينا مختصره ، والذي يعد رافداً من روافد قراءة علي ــ رضي الله عنه ــ حيث نسب ابن خالويه في مختصره هذا كثيراً من القراءات لعليّ ــ كرم الله وجهه .

كذلك ساق أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هــ) في كتابه " إعراب القرآن " مجموعة

---

(١) النشر : ١ / ١٣٣ .

(٢) السابق : ١ / ١٦٥ .

(٣) السابق : ١ / ١٧٢ .

صالحة من قراءات عليّ ــ رضي الله عنه ــ وكانت له عناية واضحة بتتبع قراءته ونسب الكثير منها ، فهو بحق يُعدّ عوناً على جمع هذه القراءة . ومعرفتها .

ولا يقل كتاب " المُحتَسَب " لابن جِنّي (ت ٣٩٢ هـ) أهمية في هذا المجال . فقد ورد فيه كثير من القراءات منسوبة لعليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ مع توجيهها .

ونُضيف إلى هذه المصادر ــ أيضاً ــ كتاباً في إعراب القراءات الشواذ ، وهو كتاب " إعراب القراءات الشواذ " للعُكْبَرِيّ (ت ٦١٦ هـ) ، وإن كانت غير منسوبة إلا أن المحقق قد وثقها من مصادرها .

ومن كُتبِ القراءات التي تعد من مصادر قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ كتاب " النَّشْر في القراءات العَشْر" لابن الجَزَرِيّ (ت ٨٣٣ هـ) . وكتاب " إتحاف فُضَلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر " للبَنّاَ الدمياطي (ت ١١١٧ هـ) .

هذا ، بالإضافة إلى كتب مشاهير المفسرين كـ" جامع البيان في تأويل مشكل القرآن " للطبري ، " والكشَّاف " للزمخشري ، و" المحرر الوجيز " لابن عطية ، و" الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي ، و " إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات " للعُكْبَرِيّ. و" مفاتيح الغيب" للرازي ، و" البحر المحيط " لأبي حيان الأندلسي . و" الدر المصون " للسمين الحلبي . و" زاد المسير " لابن الجوْزي ، و " فتح القدير " للشَّوْكَانِي ، و " روح المعاني" للألُوسي ، و" إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " ، لأبي السعود ، وغيرها من كتب التفسير التي كانت لها عناية كبيرة بتتبع قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ وإبرازها حال التفسير للآيات القرآنية .

ومن كتب اللغة التي نسبت بعض القراءات إلى علي ــ كرم الله وجهه ــ : " الشوارد " للصغاني ، و" لسان العرب " لابن منظور .

وجميع هذه الكتب والمصادر التي سبق ذكرها تعد معيناً صالحاً لمن يريد جمع واستقصاء هذه القراءة استقصاءً دقيقاً ، وهذا ما لا ندعيه لما قمنا به من عمل حولها . فقد يندُّ القلم عن ذكر بعضها مما هو طَوْع الغفلة أو السهو . وقد كان جهدنا منصباً في أساسه على تتبع الظواهر اللغوية

التي تتمثل في قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ مع تجاوز تلك المواضع التي لا تمثل لوناً من ألوان النطق الذي يمثل ظاهرة لغوية بعينها .

وأرى أنه لابد في جمع أية قراءة من الوصول إلى هذه المصادر . والاطلاع عليها ، لأن القراءات القرآنية لا تؤخذ من خَطّ العَرب ، أو رَسْم المصحف ، أو اجتهاد الصحابة والتابعين ، ولا مجال للرأي والاجتهاد في تحديدها ؛ إذ نسبتها للقراء نسبة لزوم ، ورواية واشتهار ، لا نسبة اختراع ورأي واجتهاد .

٤ ـ مكانتها بين القراءات :

لم تحفظ ذاكرة التاريخ الإنساني كتاباً أوثق من القرآن ، فهو كلام الله ، المنزل على رسوله (صلى الله عليه وسلم) المتعبد بتلاوته ، المتحدي بأقصر سورة منه .

ولم يَعْرِفْ تاريخ توثيق النصوص نصاً توفر له من أسباب الرعاية والحفظ والضبط والتوثيق والنقل المتواتر تسجيلاً ومشافهة ، ما توفر لهذا الكتاب العزيز .

فقد كُتِبَتْ آياته وسُوَرُه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قِبَل كُتَّاب الوحي ، كمعاوية ، وأبان بن سعيد ، وزيد بن ثابت ، وأُبَيّ بن كعب ، وعليّ بن أبي طالب ، وثابت بن قيس ، وغيرهم [١] .

وقد انتشر هؤلاء الصحابة في الأمصار الإسلامية يعلمون الناس أمور الدين ويبلغونهم ما تلقونه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكان أعظم ما بُلّغ لأهل تلك الأمصار القرآن الكريم ، حيث أَقْرَأَ كل واحد منهم أهل مِصْرِهِ على ما كان يقرأ على عهد النبي ، وعلى ما تلقاه عنه ، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين عَلّمُوهُمْ ، وتلقوا عنهم .

ثم إن القراء بعد ذلك كثروا ، وتفرقوا في البلاد وانتشروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن المتحري ، ومنهم دون ذلك .

---

(١) ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني : ١ / ٣٦٧ .

ولا يخفى أن هذا الواقع أوجد كثيراً من القراءات المنسوبة إلى المشتهرين بالإقراء بها . ولذلك لا يسْتَغْرِبُ الناظر في الكتب المصنفة في القراءات إذا وجد من بينها كتباً اشتملت على عشرين قراءة ، أو خمسين قراءة ، أو ما يزيد على هذا أو ينقص (١) .

وإذا كانت القراءات المشهورة الآن هي السَّبْع ، وهي ما جمعه ابن مجاهد في كتابه " السَّبْعَة " . ويتلوها في الشهرة القراءات الثلاث المتممة للعَشْر (٢) ، ثم القراءات الأربع المتممة للأربع عشر (٣) ، فإن هذه القراءات بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأُوَل قَلّ من كَثْر ، وَنَذْر من بَحْر؛ وذلك أن القراء الذين أخذوا عن الأئمة المتقدمين كانوا أُمَماً لا تُحصى ، وطوائف لا تستقصى ، والذين أخذوا عنهم كانوا أكثر ، واستمر الحال على ذلك (٤) .

هذا ، وقد قطع الأئمة ــ رحمهم الله تعالى ــ بتواتر القراءات السبع، واختلفوا في القراءات العشر ، والراجح القطع بتواترها (٥) ، كما اتفقوا على أن القراءات الأربع الزائدة على العشر شاذة (٦) .

وهذه القراءات الشاذة ــ وإن لم يجز القراءة بها في الصلاة ــ فإنه يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها في الكتب ، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى واستنباط الأحكام الشرعية منها ــ على القول بصحة الاحتجاج بها ، والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية ، وفتاوي العلماء ــ قديمها وحديثها ــ مطبقة على ذلك (٧) .

فهذا ابن جني يُصَنِّفُ كتاب (المُحْتَسَب في تبيين وجوه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب) وفيه يقول : " ... وضرباً تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً ، أي : خارجاً عن قراءة

---

(١) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، للدكتور / محمد عمر بازامول : ١ / ١٢٩ .

(٢) ينظر : المبسوط في القراءات العشر ، لأبي بكر الأصبهاني ص ٢٩ ــ ٨٢ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ، للبنا الدمياطي : ١ / ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) النشر في القراءات العشر ،لابن الجزري : ١ / ٣٣ ، ٣٤ (بتصرف) .

(٥) منجد المقرئين ، لابن الجزري ص ٢٣ ــ ٢٥ ، والنشر : ١ / ٣٨ ــ ٤٧ .

(٦) إتحاف فضلاء البشر : ١ / ٧١ .

(٧) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٩ ، ١٠ .

القراء السبعة ، إلا أنه ــ مع خروجه ــ نَازِعٌ بالثقة إلى قُرَّائه ، مَحْفُوفٌ بالروايات من أمامه وورائه ؛ ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه " [١] .

وابن جني يرى أن الشذوذ لا يَعْنِي الضعف ، وإنما يَعْنِي قلة القُرَّاء الذين يقرأون هذا الضَّرْب من القراءة في الأمصار بالقياس إلى الضَّرْب الآخر وهو قراءات السبعة ، على أن هذه القلة لا تَعْنِي عدم التواتر ، فقد تداول القراءات الشاذة أئمة ثقات وقُرَّاء حَفَظَة مُتْقِنُون ، بحيث أصبحت لها صفة التواتر ، واعتمدها العلماء ، وظلت تتداولها الأجيال جيلاً بعد جيل إلى اليوم [٢] .

وقد جعل ابن جني بعض ما يسمى شاذاً من القراءات أقوى إعراباً وأنهض قياساً من المجتمع عليه [٣] ، على أننا لا نتوقف عن الأخذ بما ضَعُفَ إعرابه ؛ لأن غيره أقوى منه إعراباً ، وليس لنا أن نفاضل بين قراءتين في آية واحدة ؛ لأن القراءة سُنَّة مُتَّبَعَة يوجد فيها الفصيح والأفصح [٤] .

هذا، وقد كشفت كتب التراث في علم القراءات عن وجود علماء مَهَرُوا في القراءة والضبط حتى صاروا في هذا الباب أئمة يُعْرَض عليهم ويُؤْخَذ عنهم ، وكان الإمام عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ واحداً من هؤلاء الأعلام الذين كانت لهم رواية في القراءات غير المتواترة ــ غالباً ــ خالفوا فيها العامة من القراء ، إلا أنها لا تخالف العربية . فبالاطلاع على ما جمعناه من قراءاته تبين أن كثيراً منها وافق ما يعرف بالشاذ ، والقليل منها وافق المتواتر (السَّبْع أو العَشْر) .

وعلى ذلك فقراءة عليّ ــ كرم الله وجهه ــ تُعَدُّ من القراءات الشاذة ــ إلا ما وافق منها القراءات المتواترة ــ ومع ذلك فهي كغيرها من القراءات يحتج بها في مجال اللغة ، بل وتبنى

(١) المحتسب : ١ / ٣٢ .

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٢ .

(٣) المحتسب : ١ / ٣٣ .

(٤) التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش ، للدكتور سمير عبد الجواد ص ٢٦ .

عليها الأحكام الشرعية . كما سنرى في دراستنا هذه .

وإذا كان الأئمة ــ رحمهم الله تعالى ــ قد وضعوا شروطاً للقراءة الصحيحة . وهي : موافقة العربية ولو بوجه ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً . وصحة السند [1] .

فأَحْسَبُ أن قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ قبل التَّسْبيع قد اجتمع لها الشروط الثلاثة . أما الأولان ، فلأننا لم نر ــ فيما جمعناه من قراءته ــ مخالفة للعربية ، أو خروجاً عن الرسم إلا ما ندر ، بل وجدناه ــ رضي الله عنه ــ حريصاً كل الحرص على سلامة النص القرآني على ما هو عليه في رسم عثمان ، زاجراً كل من يريد المساس بهذا الرسم ، وذلك فيما ذكره ابن خالويه بصدد قراءته ــ عليه السلام ــ : (وطَلْعٍ مَنْضُودٍ) بالعين بدل الحاء التي جاءت بها القراءة العامة (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) ، قال : " قرأها عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ على المِنْبَرِ . فقيل له : أفلا نغيره في المصحف ؟ قال : ما ينبغي للقرآن أن يهاج ، أي لا يغير " [2] .

فأي حرص أعظم من هذا الحرص على أن يظل رسم المصحف كما هو ، دون أن يمسه أدنى تغيير ، ولو بقلب العين حاء ، أو الحاء عيناً !

وأما الثالث فأعتقد أنه كان متحققاً ؛ لتلقيه ــ رضي الله تعالى عنه ــ القراءة من فِم النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولكونه أحد كتاب الوحي ، ومن الصحابة الذين اشتهروا بإقراء القرآن .

وإذا كان قد انقطع سند قراءته ــ رضي الله عنه ــ بعد التسبيع ، كما انقطع سند كثير من القراءات الخارجة عن السَّبْع والعَشْر ، فإن هذا الانقطاع لا يعني علة في القراءة نفسها ، وإنما العلة فقدان من يحملها ويؤديها ، فقد كانت هذه القراءات جميعاً يُقْرَأُ بها في الصلاة وخارجها ، ويتلقاها المسلمون مشافهة وسماعاً ، ويتعبدون بها ، ويأخذون منها أحكام دينهم قبل أن تنقطع بضعف الهمم عنها واطراحها إلى ما هو أشيع منها [3] .

---

(1) النشر : ١ / ٩ .

(2) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥١ .

(3) قراءة عبد الله بن مسعود : مكانتها ، مصادرها ، إحصاؤها ، للدكتور محمد أحمد خاطر ص ١٢ .

فترك دراستها ، والعلم بها ، والحفاظ على ما بقي منها لا مجاز له إلا من باب العجز والوهن والقصور الذي لا يَحْمُل ، وما قال أحد ــ على امتداد التاريخ ــ ترك دراستها ، والقراءة بها لا على أنها قرآن ، وكل ما ذهب إليه الجمهور أنه لا تصح القراءة على أنها قرآن •

وعلى هذا دَوَّنَ المفسرون ، وعلماء القراءات وغيرهم ما وصلهم منها ، واحْتَجَّ بها ونَافَحَ عنها من احتج من العلماء ، على أنها قراءات صحيحة متواترة ، متصلة السند رواية ومشافهة إلى أن تُرِك ذلك منها ، واقْتُصِرَ على غيرها [1] •

ومن هذا المنطلق سنقوم ــ بإذن الله تعالى ــ بدراسة قراءة عليّ ابن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ من الناحية اللغوية : أصواتاً ، وبنية ، وتراكيب ، مع ارتباط كل هذه العناصر بالناحية الدلالية ، إذ يصعب علينا الفصل بين المستويات اللغوية الثلاثة (الصوتية ، والصرفية ، والنحوية) والمستوى الرابع وهو " المستوى الدلالي " ؛ لأن هذا الفصل يؤدي إلى عدم الربط بين الظاهرة اللغوية ودلالتها في موطن واحد من البحث ، كما أنه يؤدي أيضاً إلى تكرار الحديث عن الظاهرة اللغوية الواحدة مرتين في موضعين مختلفين •

(1) قراءة عبد الله بن مسعود : مكانتها ، مصادرها ، إحصاؤها ، للدكتور محمد أحمد خاطر ص ١٣ •

الفصل الثاني

المستوى الصوتي ودلالته

المبحث الأول

الإبدال اللغوي

الإبدال في اللغة : مصدر أبدلت كذا من كذا ، إذا أَقَمْتَهُ مقامه ، والأصل فيه . جعل شيء مكان شيء آخر كإبدال التاء من الواو في " تَاللهِ " [١] .

وفي الاصطلاح : جعل حرف مكان آخر مطلقاً [٢] ، مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة . وينظر إليه اللغويون على أنه جعل حرف مكان آخر ، أو حركة مكان أخرى [٣] . فخرج بقيد " المكان " العِوَض ، فإنه قد يكون في غير مكان المُعَوَّض عنه كتاء " عِدَة " و " زِنَة " . وهمزة " ابْن " [٤] .

والإبدال ظاهرة عامة في كل لغات البشر ، إذ هو إحدى وسائل نمو اللغة بوساطته تَكَوَّن العديد من ألفاظها ، وهو سُنَّة من سنن العرب في كلامها . قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : " ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض " [٥] .

وقد قسم العلماء الإبدال إلى : إبدال صرفي ، وإبدال لغوي . أما الإبدال الصرفي فيقع في حروف معينة [٦] ، وأما الإبدال اللغوي فهو أعم وأشمل ؛ إذ يقع في جميع حروف المعجم ، بل لم تقف نظرة اللغويين عند التغيير الذي يلحق حروف الكلمة ، فقد لاحظوا — أيضاً — التغييرات التي تلحق الحركات ، وعلى هذا فقد عَرَّفُوا الإبدال اللغوي بأنه " جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى " ، كما أسلفنا .

وأَرَى أن يُعَرَّفَ الإبدال اللغوي بأنه " وضع صوت مكان آخر " ، لأن هذا التعريف

---

(١) لسان العرب (ب د ل) .

(٢) حاشية الصبان على الأشموني: ٤ / ١٧٩، والتصريح بمضمون التوضيح : ٢ / ٣٣٦ .

(٣) اللهجات العربية نشأة وتطوراً : الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال ص : ١٢ .

(٤) انظر : شرح المفصل ، لابن يعيش : ١٠ / ٧ .

(٥) الصاحبي : ص ٣٣٣ .

(٦) انظر : شرح الأشموني : ٤ / ١٨٠ — ١٨٣ .

أشد إيجازاً من التعريف السابق ، مع الدلالة على المقصود ؛ لأن الصوت يطلق على الحركة ، وعلى الحرف [1] .

هذا ، وقد اختلف العلماء في مرجعه ، فبينما يرى بعضهم أنه من قبيل اختلاف اللهجات ، يرى آخرون أنه إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى فيكون من قبيل الإبدال ، وإلا فهو من قبيل اختلاف اللهجات [2] .

وهذا الحكم المبني على الأصالة والفرعية قد تعرض للنقد من علماء اللغة المعاصرين ، الذين يرون أن أكثر صور الإبدال ترجع إلى ضرب من التطور الصوتي ، الذي يدخل ـــ أحياناً ـــ في اختلاف اللهجات [3] .

وسأذكر ـــ فيما يلي ـــ القراءات القرآنية التي تمثل ظاهرة الإبدال اللغوي بنوعيه : في الحروف (الصوامت) ، وفي الحركات القصيرة (الصوائت) من خلال قراءات قرآنية قرأ بها عليّ بن أبي طالب ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ .

---

(1) انظر : الحذف والتعويض في اللهجات العربية ، للدكتور سلمان السحيمي ص ٩٠ .

(2) الخصائص ، لابن جني : ٢ / ٨٢ ، والمخصص لابن سيده : ١٣ / ٢٧٤ . وشرح المفصل : ١٠ / ٧ وما بعدها .

(3) من أسرار اللغة : د . إبراهيم أنيس ص ٧٥ ، واللهجات العربية : د . إبراهيم نجا ص ٧٢ ، ولهجة ربيعة دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث : د . عبد الهادي السلمون ص ٤٢ .

أولاً : الإبدال في الحروف (الصوامت)

إبدال الهمزة من الواو :

قال الله — تعالى — : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [(١)] .

قرأ الجمهور (خُطُوات) بضم الخاء والطاء ، وبالواو ، وقرأ عليّ بن أبي طالب وجماعة (خُطُؤات) بضم الخاء والطاء ، والهمزة على الواو [(٢)] .

الخُطُوات : جمع خُطْوَة ، والخُطْوَة : ما بين قدمي الماشي من الأرض التي يَخْطُو فيها . وفي هذا اللفظ ثلاث لغات:إسكان الطاء كحالها في المفرد (خُطْوَات) وهي لغة تميم وناس من قيس . وضم الطاء إتباعاً لضمة الخاء (خُطُوَات) ، وفتح الطاء (خُطَوَات) [(٣)] .

والمعنى على قراءة الجمهور : لا تَقْفُوا أَثَرَ الشيطان وعَمَلَهُ ، وما لم يرد به الشرع فهو منسوب إلى الشيطان .وقيل : المراد بـ(خُطُوَات الشيطان) : خَطاياه ، وقيل : طُرُقه [(٤)] .

وهذه أقوال متقاربة المَعْنَى صدرت من قائليها على سبيل التمثيل ، والمَعْنِيُّ بها كلها النهي عن معصية الله .

وأما قراءة عليّ — رضي الله عنه — (خُطُؤَات) فقد اختلف في توجيهها ، فقال أبو الحسن الأخفش : " ذهبوا بهذه القراءة إلى أنها جمع خَطِيئة ، من الخَطأ لا من الخَطْو، وعلى هذا فالهمزة أصل والواو بدل منها. وفسر مجاهد (خُطُؤَات الشَّيطان) بأنها خطاياه ، وتفسيره يَحْتَمِل أَنْ يكون فسر بالمرادف أو فسر بالمعنى . وقيل : (خُطُؤَات) : جمع خُطْوَة ، لكنه توهم ضمة

---

(١) البقرة : الآية (١٦٨) .

(٢) المحتسب : ١ / ١١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ١ / ٦٩٦ ، والبحر المحيط : ١ / ٦٥٤ .

(٣) لسان العرب (خ ط ا) ، والبحر المحيط : ١ / ٦٥١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ١ / ٢٤١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ٦٩٦ .

الطاء أنها على الواو فهمز ، لأن مثل ذلك قد يهمز [١] .

ويرى ابن جني أن " الهمز في هذا الموضع مردود ؛ لأنه من خَطَوْتُ لا من أَخْطَأْتُ " ثم قال : " والذي يُصْرَف هذا إليه أن يكون كما همزه العرب ولاحَظَ له الهمز ، نحو حَلَّأْتُ السويقَ ، ورَثَأَتْ زَوْجِي بأبياتٍ ... والحَمْل على هذا فيه ضَعْف ، إلا أن الذي فيه من طريق العُذْر أنه لما كان من فعل الشيطان غلب عليه معنى الخطأ ، فلما تصور ذلك المعنى أطلعت الهمزة رأسها ، وقِيل (خُطُؤَات) " [٢] .

ولكنا ــ مع كلام ابن جني هذا ــ نجد أن قراءة :" اشْتَرَؤُا الضَّلَالَةَ"، بالهمز ، لغة عن الكِسائي ، وهي عند البصريين لَحْنٌ [٣] . فالظاهرة لهجية وإن لم تقبلها قواعد البصريين ، ويزيد أمرها وضوحاً نسبتها إلى قبيلة غَنِيٍّ ، من قبائل وسط الجزيرة فما رواه ابن منظور عما سماه " همزة التوهم " ، قال : " كما رَوَى الفَرَّاء عن بعض العرب أنهم يهمزون ما لا همز فيه إذا ضارع المهموز قال : وسمعت امرأة من غَنِيٍّ تقول : رَثَأَتْ زوجي بأبياتٍ " [٤] .

التفسير الصوتي :

الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق ، كما قال المتقدمون من علماء العربية [٥] ، أما المحدثون فينسبونه إلى الحنجرة تارة [٦] وإلى المزمار تارة أخرى [٧] .

وتوصف الهمزة بأنها انفجارية (شديدة) لا هي بالمهموسة ، ولا بالمجهورة [٨] .

---

(١) ينظر : الكشاف ، للزمخشري : ١ / ٢١٣ ، والبحر المحيط : ١ / ٦٥٤ .

(٢) المحتسب : ١ / ١١٧ .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ص ٢ .

(٤) لسان العرب (حرف الهمزة) ١ / ٢١ .

(٥) الكتاب : ٤ / ٤٣٣ ، وسر صناعة الإعراب : ١ / ٤٦ .

(٦) د. كمال بشر : علم الأصوات ، ص ٢٨٨ .

(٧) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٨٩ .

(٨) الأصوات اللغوية ص ٩٠ ، وعلم الأصوات ص ٢٨٨ .

وأما الواو فمخرجها من الشفتين عند الأقدمين [١] ، ولكن الأدق أن يُقال إنها تخرج من أقصى الحنك ؛ إذ عند النطق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من الحنك [٢] .

وتُوصَف الواو بالجهر ، كما تُوصَف بأنها من الحروف اللينة ؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت [٣] .

ومما سبق نَرَى أن الصوتين متباعدان مخرجاً ، ومختلفان صفة ، ولذا فقد وصف سيبويه إبدال الهمزة من الواو المفتوحة بعدم الاطراد [٤] ، ووصف ابن يعيش هذا الإبدال بالقلة والندرة [٥] ، وقصره أبو زَيْد على السماع [٦] ولعل السبب في هذا خفة الفتحة مع الواو .

وأرى أن الإمام علياً ــ رضي الله عنه ــ قد آثر القراءة بالهمزة على القراءة بالواو ، لأن الواو ضعيفة تحذف وتبدل ، فأراد أن يضع مكانها حرفاً أجلد منها وهو الهمزة [٧] ومن الجائز أن يكون هناك سبب لهذا الإيثار وإن خفي علينا ، والله أعلم .

إبدال الياء من الهمزة :

قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ

---

(١) الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .

(٢) علم الأصوات ص ١٨٨ .

(٣) الكتاب : ٤ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٤) المصدر السابق : ٤ / ٤٣١ .

(٥) شرح المفصل : ١٠ / ١٤ .

(٦) النوادر في اللغة ص ١٧٩ .

(٧) الكتاب : ٤ / ٣٣١ .

فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١] .

قرأ الجمهور : (رِئاءَ النَّاسِ) ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (رِيَاءَ النَّاسِ) بإبدال الهمزة الأولى ياء [٢] . وقراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ هذه متواترة ، حيث قرأ بها أبو جعفر أحد القراء العشرة [٣] .

الرِّياءُ : (فِعال) مصدر رَاءَيْتَه مُرَآآة ورِياءً ، وهو أن يُرِيَ الناس ما يفعله من البر حتى يثنوا عليه ، ويعظموه بذلك لا نية له غير ذلك [٤] .

والمعنى على هاتين القِرَاءَتَيْنِ : أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ أعلم أن المَنَّ والأذى يُبْطِلان الصدقة كما تبطل نفقة المنافق ، الذي إنما يعطي وهو لا يريد بذلك العطاء ما عند الله ، إنما يُعْطِي ليوهم أنه مؤمن [٥] وقيل : المراد به الكافر المجاهر بإنفاقه ، الذي لا يريد به إلا الثناء عليه . والأول هو الراجح ؛ لأن هذا من فعل المنافق الساتر لكفره ، وأما الكافر فليس عنده رِياءٌ ، لأنه مناصب للدين مجاهر بكفره [٦] .

التفسير الصوتي :

لقد سبق الحديث عن مخرج الهمزة ، وبعض صفاتها ، حيث ذكرنا أنها صوت يخرج من أقصى الحلق ، ويُوصَف بالجهر والشدة عند الأقدمين . أما عند المحدثين فمخرجها من الحنجرة ، أو فتحة المزمار . وتوصف بأنها انفجارية (شديدة) لا هي بالمهموسة ولا بالمجهورة [٧] .

وأما الياء ــ هنا ــ فمخرجها وَسَط اللسان ، مع وَسَط الحنك ، وتُوصَف بالجهر .

---

(١) البقرة : الآية (٢٦٤) .
(٢) مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ص ١٦ .
(٣) النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري : ١ / ٣٩٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي : ١ / ٢٠٤ .
(٤) البحر المحيط : ٢ / ٣١٣ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ١ / ٣٤٧ .
(٦) البحر المحيط : ٢ / ٣٢١ .
(٧) ينظر: ص ٢٦ ، ٢٧ .

والتوسط بين الشدة والرخاوة [١] .

وعَلَى هذا فالصوتان متباعدان مخرجا، وإن اتحدا في بعض الصفات.

وقد صَرَّح الأخفش أن العرب تترك الهمزة وتلجأ إلى الياء [٢] ، طلباً للتخفيف ، وذلك إذا فُتِحَت الهمزة وكُسِرَ ما قبلها . قال سيبويه : " واعلم أن كل همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فإنك تبدل مكانها ياء في التخفيف " [٣] ؛ لأنها جنس حركة ما قبلها .

وقد عُزِىَ تخفيف الهمزة هذا إلى أهل الحجاز [٤] ، وهُذَيْل [٥] .

إبدال العين من الحاء :

قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ [٦] . قرأ الجمهور : (وَطَلْحٍ) بالحاء ، وقرأ عليّ ــ رضي الله عنه ــ : (وطَلْعٍ) بالعين [٧] .

(الطَّلْحُ) بفتح الطاء وسكون اللام : شجر المَوْز ، واحده طَلْحَةٌ ، ذكر ذلك أكثر المفسرين [٨] ، وقال بعضهم : هو شجر عِظام ، يكون بأرض الحجاز من شجر العِضاه ، كثير الشَّوْك [٩] ، وذهب آخرون إلى أنه شجر أمِّ غَيْلان ، وله نَوْرٌ كثير طيب الرائحة جداً [١٠] .

و(المَنْضُود) : المتراكب الذي نُضِّد أسفله إلى أعلاه بالحمل ، فليست له ساق بارزة

---

(١) سر صناعة الإعراب : ١ / ٤٧ ، ٦١ .

(٢) معاني القرآن ، للأخفش : ٢ / ٣٠٨ .

(٣) الكتاب : ٣ / ٥٤٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٢٠٤ .

(٥) المخصص ، لابن سيده : ٥ / ٥٤ ، ومن لغات العرب لغة هذيل ص ٨٥ .

(٦) الواقعة : الآية (٢٩) .

(٧) جامع البيان ، للطبري : ٢٧ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، ومختصر في شواذ القرآن ص ١٥١ ، والكشاف : ٤ / ٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ٦٦٠٩، والبحر المحيط : ٨ / ٢٠٦ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن : ٩/ ٦٦٠٨ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٠٦ .

(٩) تفسير ابن كثير : ٤ / ٢٨٨ .

(١٠) لسان العرب (ط ل ح) .

تظهر، بل هو مرصوص . والنَّضَدُ : هو الرَّصُّ [١].

ومعنى الآية على قراءة الجمهور (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) : أن الله — عز وجل — بيَّن منزلة أصحاب اليمين ، وهم الأبرار ، بأنهم في نعم عظيمة ، منها النَّبق الذي قُطع شوكه ، وشجر المَوْز المتراكب ، الذي رُصَّ من أسفله إلى أعلاه بالحَمْل . لقد خوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا [٢] .

وأما قراءة عليّ — رضي الله عنه — : (وَطَلْعٍ) بالعين ، فهي تحتمل وجهين :

الأول : أن يراد بـ (الطَّلْع) ما يَطْلُعُ من النخلة ثم يصير ثمراً إن كانت أنثى ، وإن كانت النخلة ذكراً لم يصر ثمراً ، بل يُؤكل طرياً ويُترك على النخلة أياماً معلومة حتى يصير فيه شيء أبيض مثل الدقيق وله رائحة ذكية فيُلقحُ به الأنثى [٣] ، وعلى هذا تكون قراءة عليّ — رضي الله عنه — (وطَلْعٍ مَنْضُودٍ) من صفة السِّدْر ، فكأنه وصفه بأنه مخضوض وهو الذي لا شَوْك فيه . وأن طَلْعَه منّضُود وهو كثرة ثَمَره [٤] .

والثاني : أن يكون معناه ومعنى (الطَّلْح) واحداً ، فقد فُسِّرَ الطَّلْح بأنه الطَّلْع ، وفُسِّر بأنه المَوْز[٥] وذكر صاحب القاموس : " أن الطَّلْحَ هو الطَّلْعُ " [٦] ، ونَصَّ ابن سيده والجوهري على أن الطَّلْحَ لغة في الطَّلْعِ [٧] .

وأَرَى أن القراءتين متحدتان في المعنى متغايرتان في الاشتقاق .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٦٠٩ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٠٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٥ / ١١٢ .

(٣) المصباح المنير ، للفيومي (ط ل ع) .

(٤) تفسير ابن كثير : ٤ / ٢٨٨ .

(٥) لسان العرب (ط ل ح) .

(٦) القاموس المحيط (ط ل ح) .

(٧) الصحاح ، واللسان (ط ل ح) .

التفسير الصوتي :

العين والحاء صوتان حلقيان ، مخرجهما من وَسَط الحلق [1] والحاء صوت رِخْو (احتكاكي) ، مهموس ، منفتح ، أما العين فهو النظير المجهور للحاء ، وهو صوت بين الشدة والرخاوة [2] .

وعلى هذا فهما متحدان مخرجاً ، ومتقاربان صفة مما سَوَّغَ الإبدال بينهما ، وربما آثر الإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ في قراءته هذه صوت العين ، لما فيه من الجهر والنصاعة .

إبدال الطاء من الصاد :

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [3] .

قرأ الجمهور: (حَصَبُ) بالحاء والصاد المهملتين ، وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة : (حَطَبُ) بالطاء [4] .

وعلى ذلك فقراءة الإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ تغاير قراءة الجمهور في الاشتقاق فهل تبع ذلك اختلاف في الدلالة ؟

وبالرجوع إلى كتب التفسير ، والقراءات ، واللغة ، نجد أن هاتين القراءتين بمعنى واحد ، فقد قال مجاهد ، وعِكْرِمة ، وقَتَادة : "حَصَبُ جَهَنَّمَ: حَطَبُها " [5]. وقال الزَّبيدي: " الحَصَبُ :

---

(1) الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .

(2) المصدر السابق : ٤ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(3) الأنبياء : الآية (٩٨) .

(4) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٢١٢ ، وتفسير الطبري : ١٧ / ٧٤ ، ومختصر في شواذ القرآن ص ٩٣ ، والمحتسب : ٢ / ٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٥٢٤ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣١٥ ، ٣١٦ ، وفتح القدير : ٣ / ٤٢٨ .

(5) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٥٢٤ .

الحَطَبُ عامة " [١]. وقال ابن جني: " الحَصب " : الحَطَب ، وفيه ثلاث لغات: حَطَب ، وحَضَب ، وحَصَب " [٢] . ورَوَى ابن حسنون بإسناده إلى ابن عباس — رضي الله عنه — أن الحَصَبَ: الحَطَب في لهجة قريش [٣] . وقال الفراء : " هي لغة أهل اليمن " [٤] . وقال أبو حيَّان : الحَصَبُ : الحَطَبُ بلغة الحبشة إذا رُمِيَ به في النار " [٥] .

والمعنى على هاتين القراءتين : إنكم أيها الكفار والأوثان التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم .

وجعل الكفار مع معبوداتهم في النار لزيادة غَمِّهم وحسرتهم برؤيتهم معهم فيها إذا عُذِّبوا بسببهم ، وكانوا يَرْجُون الخير بعبادتهم فحَصَلَ لهم الشر من قِبَلِهم [٦] .

وأرَى أنَّ بين القراءتين عموماً وخصوصاً . فقراءة الجمهور : (حَصَبُ جَهَنَّمَ) تفيد تعميم المعنى وتوسيعه ؛ لأن الحَصَبَ يشمل كل ما ألقيته في النار من حَطَبٍ وغيره [٧] .

قال أحمد بن يحى (ثعلب) : " أصل الحَصَب : الرَّمْيُ حَطباً كان أو غيره " [٨]. وقال أبو عُبَيْدة : " كل ما ألقيته في النار فقد حَصَبْتَها به " [٩]. وقال الفَرَّاء : " وأما الحَصَبُ في معنى لغة نجد : ما رميتَ به في النار ، كقولك : حَصَبْتُ الرجلَ ، أي : " رَمَيْتُهُ " [١٠] . وقال الزَّجَّاج: " قُرِئَتْ (هذه الآية) على ثلاثة أوجه : حَصَبُ جَهَنَّمَ ، وحَطَبُ جَهَنَّمَ ، وحَضَبُ جَهَنَّمَ —

---

(١) تاج العروس (ح ص ب) ١ / ٢١٤ .

(٢) المحتسب : ٢ / ٦٧ .

(٣) كتاب اللغات في القرآن : ص ٥٠ .

(٤) معاني القرآن : ٢ / ٢١٢

(٥) البحر المحيط : ٦ / ٢٩٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٥٢٤ ، والبحر المحيط : ٦/ ٣١٦ .

(٧) لسان العرب (ح ص ب) ٢ / ٨٩٣ .

(٨) المحتسب : ٢ / ٦٧ .

(٩) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٥٢٤ .

(١٠) معاني القرآن : ٢ /٢١٢ .

بالضاد المعجمة ـــ ، فمن قرأ (حَصَبُ) فمعناها : كل ما يُرْمَى به في جهنم ، ومن قال (حَطَبُ) فمعناه : ما تُوقَد به جهنم ـــ كما قال ـــ عز وجل ـــ : ﴿ وَقُودُهَا النَّـــاسُ وَالْحِجَـــارَةُ ﴾ [1] ، ومن قال : (حَضَبُ) ـــ بالضاد المعجمة ـــ فمعناه : ما تُهَيَّجُ به النار وتُذْكَى به " [2] ، وعلى هذا فالحَصَبُ : الحَطَبُ ، وما يُرْمَى به في النار وأما الحَطَبُ : فهو ما أعد من الشجر شَبُوباً للنار [3] .

وأما قراءة عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ (حَطَبُ جَهَنَّمَ) فإنها أفادت تخصيص المعنى ، وبينت أن المراد بـــ (حَصَب جَهَنّم) في قراءة الجمهور هو حَطَبُهَا .

ويرى أحد الباحثين المحدثين أنه ربما كان هذا كلمة واحدة حدث فيها تغيير في أحد أصواتها ، وأدى هذا التغيير إلى تخصيص المعنى في إحدى الكلمتين ، وتعميمه في الكلمة الأخرى [4] .

التفسير الصوتي :

العلاقة الصوتية تسوغ التبادل بين الصوتين ، فالصاد والطاء متجاوران مخرجاً ، فالأولى ـــ كما لاحظ القدماء ـــ مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا ، والثانية من أصولها [5] أو كما يقول المحدثون ـــ هما صوتان أسنانيان لثويان ، إلا أن مخرج الطاء مما بين مقدمة اللسان واللثة والأسنان العليا [6] ، وأن الصاد تخرج بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا [7] ، ويتفقان في أنهما من أصوات الاطباق [8] غير أن الطاء شديدة والصاد رخوة ، والطاء مجهورة والصاد مهموسة [9] ويرى المحدثون من علماء اللغة المصريين ـــ وفقاً لسماعهم قراء القرآن الكريم بمصر ـــ أن الطاء مهموسة [10] .

---

(1) البقرة : من الآية (٢٤) ، والتحريم : من الآية (٦) .

(2) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٤٠٦ .

(3) لسان العرب (ح ط ب) ٢ / ٩١٣ .

(4) د. عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٢٠٠ .

(5) الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .

(6) المدخل إلى علم اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب ص ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(7) المرجع السابق ص ٦٣ ، ٦٤ .

(8) الكتاب : ٤ / ٤٣٦ .

(9) المصدر السابق : ٤ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(10) ينظر : الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٦٢ ، وعلم اللغة ، للدكتور محمود السعران ص ١٦٨ ، وعلم الأصوات ، للدكتور كمال بشر ص ٣٨٩ ، والمدخل إلى علم اللغة ص ٦٠ .

ثانياً : الإبدال في الحركات (الصوائت)

الحركة في اللغة : ضد السكون [١] . واصطلاحاً : كيفية عارضة للصوت ، وهي الضم والكسر ، والفتح [٢] .

والحركات هي التي عبر عنها ابن جني بقوله : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي : الألف ، والياء ، والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث وهي : الفتحة ، والكسرة ، والضمة . فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الياء الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة [٣] وهذا عبر عنه المحدثون بأصوات اللين [٤] .

وقد عبّر بعض المستشرقين المعاصرين عن الحركات بقوله : " الحركات المقصورة " وعن الحروف : الألف ، والياء ، والواو ، بقوله : " الحركات الممدودة " [٥] .

وكما أن التبادل يقع في الحروف الممدودة فكذلك يقع في الحركات المقصورة . وفي مواضع معينة من قراءة عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ كان هذا النوع من الإبدال اللغوي في الحركات (الصوائت) شاملاً الأسماء والأفعال ، ونحن نتناولها على الوجه التالي :

---

(١) القاموس المحيط (ح ر ك) .

(٢) المعجم الوسيط (ح ر ك) ، والحذف والتعويض في اللهجات العربية ص ٨٥ .

(٣) سر صناعة الإعراب : ١ / ١٧ .

(٤) الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٣٧ ،٣٨ ، وعلم الأصوات ، للدكتور كمال بشر ص ٤٣٤ .

(٥) برجستراسر : التطور النحوي للغة العربية ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ص ٥٤ .

(أ) في الأسماء

١ ـ الضم في مقابل الكسر :

[كِسوَتهُنَّ]

في قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [١] قرأ الجمهور (وكِسْوَهُنَّ) بكسر الكاف . وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ بضمها [٢] .

الكُسْوة ، بضم الكاف أو كسرها : اللباس ، يقال : كَسَوْتُ فلاناً كُسْوةً ، بضم الكاف وكسرها ، إذا ألبستَه ثوباً أو ثياباً فاكْتَسَى ، واكْتَسَى فلانٌ إذا لَبِسَ الكُسْوَة [٣] .

وباستقراء كتب التفسير والقراءات واللغة نجد أنها تنص على أَنَّ القراءتين لغتان بمعنى واحد [٤] وما حدث فيهما من تغيير إنما هو من قبيل التبادل بين الحركات ، ومرجعه إلى اختلاف اللهجات ، وأن الخلاف بين التحريك بالكسر والتحريك بالضم هو بين الحِجاز وتَميم [٥] ، كما سيأتي .

والمعنى العام من الآية على هاتين القراءتين : أن هذا إرشاد من الله ــ تعالى ــ للوالدات أن يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ كمال الرَّضاعة وهي سَنَتَان ، وعَلَى والد الطفل نفقة الوالدات وكِسْوَهُنَّ بالمعروف ، أي بما جرت به عادة أَمْثَالِهِنَّ في بَلَدِهِنَّ من غير إسراف ولا إقتار ، بحسب قدرته في

---

(١) البقرة : من الآية (٢٣٣) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ /١١١٦ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٤٤ .

(٣) لسان العرب ، والمصباح المنير ، وتاج العروس (ك س ا) .

(٤) إصلاح المنطق ، لابن السكيت ص ١٣٠ ، وأدب الكاتب ، لابن قتيبة ص ٣٥٩ ، المنتخب من غريب كلام العرب ، لكراع النمل : ٢ / ٥٣٣ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٢٥ .

(٥) في اللهجات العربية القديمة ، للدكتور إبراهيم السامرائي ص ٣٢ .

يساره وتوسطه وإقتاره [١] .

[نِصف]

في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [٢] . قرأ الجمهور (فَنِصْفُ) بكسر النون وضم الفاء ، وقرا عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وزيد بن ثابت (فَنُصْفُ) بضم النون [٣] .

النِّصْفُ : أحد شقي الشيء ، أو هو الجزء من اثنين على السواء ، يقال : نَصَفَ الماءُ القدحَ ، أي : بَلَغَ نِصْفَهُ ، ونَصَفَ الإزارُ الساقَ ، وكل شيء بلغ نِصْفَ غيره فقد نَصَفَهُ [٤] .

والقراءتان لغتان بمعنى واحد ، فقد رَوَى الأصمعيُّ قراءةً عن أبي عمرو بن العلاء يقال : نِصْفٌ ، ونُصْفٌ ، ونَصِيفٌ ، لغات ثلاث في النِّصْفِ [٥] .

وقال الفَيْرُوزَابادي : " النَّصْفُ ، والنُّصْفُ ، والنِّصْفُ ـ مثلثة النون ـ : الشَّطْرُ " [٦] .

وقال ابن السِّيد البَطَلْيَوْسِيّ : " والنُّصْفُ ، بالضم : شَطْرُ الشيء ، لغة في النِّصْفِ " [٧] . وكذا قال أبو حَيَّان [٨] . ووصف صاحب العين ضم النون بأنه " لغة رديئة " [٩] ، وقال الفَيُّومِيّ :

---

(١) تفسير ابن كثير : ١ / ٢٨٣ .

(٢) البقرة : من الآية (٢٣٧) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ١١١٦ ، ١١١٧ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٤٤ .

(٤) لسان العرب (ن ص ف) ٦ / ٤٤٤٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ١١١٧ .

(٦) الدرر المبثثة في الغرر المثلثة ص ١٢٥ .

(٧) المثلث : ٢ / ١٩٩ .

(٨) البحر المحيط : ٢ / ٢٤٤ .

(٩) العين (ن ص ف) ٧ / ١٣٢ ، وانظر : تهذيب اللغة ، للأزهري : ١٢ / ٢٠٣ .

" وكسر النون أفصح من ضمها " [1] .

وأرَى أن الضم ــ وإن وُصِفَ بالرداءة ، وقِلة الفصاحة ــ أقيس من الكسر والفتح ، لأنه الجاري على بقية الأجزاء ، كالرُّبع ، والخُمس ، والسُّدس .

ومادام الضم قد قرأ به عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وغيره ، وعليٌّ موصوف بالفصاحة والبلاغة ، فلا داعي لوصف الضم بالرداءة .

والمعنى على هاتين القراءتين : أن المطلقة قبل المَسِيس (الجِماع) وبعد الفَرْض (الصَّدَاق) لها نِصْفُ ما فُرِض ، فالطلاق قبل الجماع وبعد الفَرْض يُوجِب تَشْطِير الصَّدَاق [2] .

[رُبِّيُّونَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [3] . قرأ الجمهور (رِبِّيُّون) بكسر الراء ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعة (رُبِّيُّونَ) بضمها ، وقرأ ابن عباس وجماعة (رَبِّيُّون) بفتحها [4] .

رَبَا الشيء يَرْبُو : إذا كَثُرَ ، و " الرِّبِّيُّون " هم الجماعة الكثيرة ، واحدها " رُبِّيّ " بضم الراء وكسرها ، منسوب إلى الرُّبَّة ، بكسر الراء ــ أيضاً ــ وضمها ، وهي الجماعة .

وقال ابن مسعود:" الرِّبِّيُّون"الألوف الكثيرة،وقال ابن زيد : " الرِّبِّيُّون " : الأتباع [5].

---

(1) المصباح المنير(ن ص ف) ٢ / ٦٠٨ .

(2) البحر المحيط : ٢ / ٢٤٤ .

(3) آل عمران : الآية (١٤٦) .

(4) زاد المسير ، لابن الجوزي : ١ / ٢٧٢ ، والبحر المحيط : ٣ / ٨٠ ، وتحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن ، للرعيني ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(5) ينظر : معاني القرآن ، للأخفش : ١ / ٤٢٣ ، ومعاني القرآن ، للفراء : ١ / ٢٣٧ ، والمحرر الوجيز ، لابن عطية : ٣ / ٢٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٥٧٥ .

والأول أعْرف في اللغة ، ومنه يقال للخِرْقَة التي تُجْمَع فيها القِداح : ربّة ، ورُبّة ، والرِّبَابُ : قبائل تَجَمَّعَتْ [(١)] .

وهذه القراءات الثلاث كلها لغات بمعنى واحد [(٢)] قال الزمخشري : " قُرِئَ بالحركات الثلاث ، والفتح على القياس ، والضم والكسر من تغييرات النسب " [(٣)] ، وقال أبو حيان : " وكلها لغات بمعنى واحد " [(٤)] .

وما يَعْنِينَا – في هذا المقام – هو قراءة الجمهور وقراءة عليٍّ – رضي الله عنه – فبينما جاءت قراءة الجمهور بكسر الراء جاءت قراءة عليٍّ – ومن معه – بضمها .

هذا ، وقد عُزِيَ الضم إلى تميم ، قال ابن جني : " الضم في (رِبِّيُّون) تَمِيمِيَّة " [(٥)] ، كما عُزِيَ الضم إلى تَميم – أيضاً – في المعجمات العربية [(٦)]؛ ولذلك فقد جانب الصواب ابن عَطِيّة وتبعه أبو حَيَّان في عَزْوِهِما الفتح لبني تَمِيم . قال ابن عَطِيّة : " قال أبو الفتح (ابن جني) : الفتح في الراء لغة تميم " [(٧)] .

وإذا كان الضم لتميم – كما قال ابن جني وغيره – فإن ذلك يَتَمَشَّى والدراسات اللهجية المعاصرة .

وأما الكسر فهو للحجازيين ؛ إذ قرأ به السبعة ، ومنهم : نافع ، وابن كَثِير ، كما وُصِفَ الكسر بأنه قراءة الجمهور ؛ ولذلك قال الزَّجَّاج : " (رِبِّيُّونَ) تُقْرَأُ – وهو الأكثر – بكسر الراء ... " [(٨)] .

---

(١) المحرر الوجيز : ٣ / ٢٥٥ ، وزاد المسير : ١ / ٤٧٢ ، وفتح القدير ، للشوكاني : ١ / ٢٨٦ .

(٢) ينظر : الصحاح ، ولسان العرب ، وتاج العروس (ر ب ١) .

(٣) مفاتيح الغيب ، للرازي : ٤ / ٤٨١ ، والبحر المحيط : ٣ / ٨٠ .

(٤) البحر المحيط : ٣ / ٨٠ .

(٥) المحتسب : ١ / ١٧٣ .

(٦) الصحاح ، ولسان العرب ، والمصباح المنير ، وتاج العروس (ر ب ١) .

(٧) المحرر الوجيز : ٣ / ٢٥٥ ، وبنصه في البحر المحيط : ٣ / ٨٠ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٤٧٦ ، والقراءات المثلثة وصلتها باللهجات العربية ، للدكتور سيد أحمد علي الصاوي ص ٥٤ ، ٥٥ .

والللافت للنظر أن الله ـــ تعالى ـــ قد مدح هؤلاء الرِّبِّيُّون بصفتين : صفة النفي ، وصفة الإثبات . أما صفة النفي فهي قوله ـــ تعالى ـــ : " فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا " (١) . وأما صفة الإثبات فقوله ـــ تعالى ـــ : " وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " (٢) .

والآية مع ما قبلها عتاب من الله ـــ عز وجل ـــ لمن انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قُتِل ، فعَذَلَهم الله على فِرارهم ، وتركهم القتال (٣) .

[قِنوَانٌ]

في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ (٤) . قرأ الجمهور (قِنْوَانٌ) بكسر القاف ، وقرأ عليٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ وجماعة (قُنْوَانٌ) بضمها (٥) .

القِنْوُ : حِمْل الكِباسة ، أي عُنْقُود النخلة (٦) ، وقد نطق العرب جمع هذا اللفظ بصيغ أربع ، فقال الحجازيون : قِنْوَان ، وقالت قَيْس : قُنْوَان (٧) ، وهو عند تميم وضَبَّة قُنْيَان ، وعند كَلْب قِنْيَان (٨) ، وجاء الجمع على لفظ الاثنين .

وقد نُسِب الكسر إلى أهل الحجاز ؛ لأنه أخف ، ونسب الفَرَّاء الضم إلى أهل الحجاز

(١) آل عمران : من الآية (١٤٦) .

(٢) آل عمران : الآية (١٤٧) .

(٣) تفسير ابن كثير : ١ / ٤١٠ ، وقراءة يحي بن يعمر ، للدكتور عبد الهادي السلمون ص ٢٩ .

(٤) الأنعام : من الآية (٩٩) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ٣٩ ، والبحر المحيط : ٤ / ١٩٣ .

(٦) المصباح المنير (ق ن ا) ٢ / ٥١٨ ، و (ك ب س)٢ / ٥٢٤ .

(٧) تهذيب اللغة (ق ن ا) ٩ / ٣١٥ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥١٨ ، وفي اللهجات العربية القديمة للدكتور إبراهيم السامرائي ص٣٣ .

(٨) لسان العرب (ق ن ا) ٥ /٣٧٦٢ ، ولغة تميم ، للدكتور ضاحي عبد الباقي ص١٧٦ .

فرده أبو حيان قائلاً : " وهو مخالف لما نقلناه من أن لغة الحجاز (قِنْوان) بكسر القاف " [١] .

وعلى هذا فقراءة الجمهور (قِنْوَانٌ) بكسر القاف ، وقراءة عَليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (قُنْوَانٌ) بضمها ، لغتان واردتان عن العرب بمعنى واحد ، وليس من فرق بينهما إلا التبادل بين الكسرة والضمة ، الذي يعد من قبيل إبدال الحركات ، الذي يرجع بدوره إلى اختلاف اللهجات.

ولاشك أن الكسر أنْسَبُ لأهل الحجاز، لأنه أخف ــ كما قلنا ــ ويلائم البيئة الحضرية ويكون الضم مناسباً لقيس وغيرهم من أهل البدو .

والغرض في الآية ذكر القدرة ، والامتنان بالنعمة . فَطَلْعُ النخلة : ما يُرَى من عِذْقِها . ومعنى (دَانِية) : قريبة ، ينالها القائم والقاعد [٢] .

[مِرْيَةٌ]

في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣] . قرأ الجمهور (في مِرْيَةٍ) بكسر الميم ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعة (في مُرْيَةٍ) بضمها [٤] .

المُرْيَةُ بالكسر والضم : الشك والجَدَل . يقال : مَارَيْتُ الرجلَ أُمارِيهِ مِراءً ، إذا جادلتُهُ ، وامْتَرَى في أمره : شَكَّ [٥] .

وباستقراء كتب اللغة والتفسير تبين أن القراءتين لغتان بمعنى واحد ، فقد ذكر يُونس بن حبيب (ت ١٨٣ هـ) في نوادره أن : " أهل الحجاز مِرْيَة ، وتميم مُرْيَة " [٦] ، وقال ثعلب (ت

---

(١) البحر المحيط : ٤ / ١٩٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٥٧٠ .

(٣) هود : الآية (١٧).

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ٥٩ .

(٥) لسان العرب (مر ا) ٦ / ٤١٨٩ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥٧٠ ، والقاموس المحيط ص ١٧١٩ .

(٦) المزهر ، للسيوطي : ٢ / ٢٧٦ ، ولغة قريش ، لمختاز سيدي الغوث ، ص ٢٦٤ .

٢٩١ هـ) هما لغتان [١]، دون عَزْوِهما . ونسب أبو حَيَّان وصاحب الإتحاف الضم إلى أَسَد بالإضافة إلى تَمِيم عند عرض هذه الآية [٢] .

والمعنى على هاتين القراءتين : النهي من الله ـ تعالى ـ عن الشك في القرآن ؛ لأنه حق من الله ـ عز وجل ـ لا مِرْيَة ولاشَكَّ فيه ، كما قال تعالى : " الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ " [٣] .

وقال الكَلْبي : المعنى : فلا تك في شك في أن الكافر في النار [٤] ، والأول أرجح ، لأنه يتفق مع سياق الآية ، والخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، والمراد : جميع المكلفين .

التفسير الصوتي لإبدال الكسرة ضمة :

أثبتت الدراسات الصوتية المعاصرة أن الكسرة والضمة متشابهتان من الناحية الصوتية ؛ لأنهما من أصوات اللين الضيقة [٥] ، وذلك لأن اللسان مع كل منهما يبلغ أقصى ما يمكن إليه من صعود نحو الحنك ، والفراغ بينهما أضيق ما يمكن أن يصل إليه للنطق بصوت لين [٦] .

ومما يؤيد ذلك ما جاء في الروايات العربية القديمة ، التي دلت على أن الضمة والكسرة قد تتناوبان المكان الواحد من الكلمة [٧] ؛ نظراً للتقارب الشديد بينهما .

وتتكون الضمة بتحرك أقصى اللسان ، في حين تتكون الكسرة بتحرك أدناه ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه ، لذلك فالضمة تحتاج جهداً عضلياً أكثر ـ حال النطق ـ من

(١) لسان العرب (م ر ا) ٦ / ٤١٨٩ .

(٢) البحر المحيط : ٥ / ٢١٢ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ١٢٣ .

(٣) السجدة : الآيتان (١) ، (٢) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٣٣٦ .

(٥) في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٩١ ، والأصوات اللغوية ، له ص ٢٧ ، ٤١ .

(٦) الأصوات اللغوية ص ٣٦ ، ولهجة ربيعة في ضوء علم اللغة الحديث ص ١٠٠ .

(٧) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط ، للدكتور عبد العزيز مطر ص ٦١ ، والقراءات القرآنية في كتاب " التبيان في إعراب القرآن ، للعكبري وصلتها باللهجات العربية " ص ١٢٩ ، (رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بالقاهرة) ، للدكتور علي طه ياسين عبد الحميد .

الكسرة ، ومن ثم فإن الكسر أيسر من الضم وأرق منه نطقاً واستعمالاً (١) .

ومن المعروف في الدراسات اللغوية المعاصرة أن الضم صفة من صفات الخشونة والشدة التي يحرص عليها البدوي ، والتي يدرك أنها تميزه من غيره ، ولذلك استمسك بها وتعصّب لها في غالب الأحيان (٢) .

وفي المقابل فإن الكسر دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية ، فهو حركة المؤنث في اللغة العربية ، والتأنيث عادة محل الرقة ، أو ضعف الأنوثة ، كما أن الياء التي هي فرع عن الكسرة تعد العلامة الأساسية للتصغير في لغتنا العربية ، بل إن من المحدثين من يؤكد أن الكسرة في كثير من اللغات ترمز إلى صِغَر الحجم والرقة وقِصَر الوقت (٣).

ومن هنا جاءت نسبة الضم للقبائل البدوية بوجه عام ، ونسبة الكسر للقبائل المتحضرة كالحجاز .

ولسنا نَعْنِي بهذا أن لهجات البدو ، كتميم وغيرهم ، قد خلت من الكَسْرَات ، أو أن لهجات الحضر لا تعرف الضَّمَّات ، فقد تميل تَمِيم إلى الكسر في أوائل طائفة من المفردات ، في مقابل جنوح أهل الحجاز إلى الضم كما هو ظاهر في الإتباع ، والإمالة ، والمماثلة (٤) .

والذي نهدف إليه أَنَّ الكلمة إذا رويت بروايتين : إحداهما تشتمل على ضم في موضع معين من هذه الكلمة ، والأخرى تشتمل على كسر في نفس هذا الموضع رَجَّحْنَا أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى بيئة بدوية ، وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئة حضرية .

واللافت للنظر ـ هنا ـ أن علياً ـ رضي الله عنه ـ آثر الضم على الكسر في القراءات السابقة ، وهذا لا يتفق مع بيئة الحضرية التي تميل إلى الكسر ومن حقنا أن نتساءل عن

(١) في اللهجة العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٣) السابق ص ٩١ .

(٤) لهجة تميم ، للمطلبي ص ١٣٦ وما بعدها ، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ، للدكتور صاحب أبو جناح ص ٩٤ .

الحكمة في أن يقرأ عليٌّ القرشيّ الحضريّ بالضم الذي هو سِمَةٌ بدوية ؟

والجواب عن هذا يسير ، فإلى جانب أنه قرأ وأقرأ بالرواية العثمانية (أَعْـني بـالقراءة القرشية) فإن منهجه ومنهج ذلك الجيل كان منهجاً تعليمياً ، يؤدي اللفظ حيناً بلسانه ، وحينـاً بلسان غيره .

يضاف إلى ذلك أن طريقة البدو في نطقهم كانت محببة إلى أهـل الحاضـرة . وكـانوا يحاولون نقل تقاليدها إلى لسانهم ، ومن ذلك ــ مثلاً ــ نقل ظاهرة (الهمز) البدوية إلى ألسـنة الفصحاء في شمالي الجزيرة ، حتى ساد الهمز تقليداً عاماً يحرص عليه أصحاب اللغة في المجَال الجِدِّيّ وفي المناسبات الأدبية ، بعد أن كان تقليداً لهَجياً بدوياً . فمن المحتمل أن يكون هذا الميل العام هو الذي حدا بعليّ ــ رضي الله عنه ــ أن يقرأ على هذه الصورة البدوية فيما أثر عنه من روايات ، هي في المحل الثاني ، بعد أن نذكر أن قراءة قريش كانت لديه في المحل الأول (١) .

وربما كان إيثاره الضم على الكسر في هذه القراءات ، لضرب من الانسجام الصـوتي ، وهو أيضاً من خصائص القبائل البدوية .

وهذا يدل على أن العربي يختار ما يستحسن من الحركات ، فقـد تكـون الحركـة في موطن حسنـة ، وفي موطن آخر قبيحة،كما يدل على أن اللهجات ظواهر اجتماعية لا تعـرف الاطراد (٢) .

٢ ـ الفتح في مقابل الضم :.

[لَغُوب]

في قوله تعالى : ﴿ الَّذي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَة منْ فَضْله لا يَمَسُّنَا فيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فيهَا لُغُوبٌ ﴾ (٣). قرأ الجمهور (لُغُوبٌ) بضم اللام ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنـه ــ والسُّـلَميّ ،

---

(١) تاريخ القرآن ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) لهجة ربيعة ص ١٠٠ .

(٣) فاطر : الآية (٣٥) .

وسعيد بن جُبَيْر (لَغُوبٌ) بفتحها [١].

اللُّغُوبُ ، بالضم : التعب والإعياء ، يقال : لَغَبَ يَلْغُب ، بالضم لُغُوباً ولَغْباً: أَعْيَا أشد الإعياء ، واللَّغُوبُ ، بفتح اللام ، لغة فيه [٢]، وقال بعضهم : النَّصَبُ : التَّعَبُ . واللُّغُوبُ : الإعياء [٣] .

وقيل : النَّصَبُ : تَعَبُ البدن ، واللُّغُوبُ : تَعَبُ النفس ، وهو لازم عن تَعَب البَدَن [٤] .

وبالنظر في كتب التفسير والقراءات واللغة نجد أن العلماء يصرحون بأن القراءتين مصدران بمعنى . قال أبو حيان : " قرأ الجمهور بضم اللام ، وعَلِيٌّ ، والسُّلَمِيُّ ، وطلحةُ ، ويعقوبُ بفتحها ، وهما مصدران ، الأول مقيس ـ وهو الضم ـ ، وأما الفتح فغير مقيس كالقَبُول والوَلُوع ، وينبغي أن يضاف إلى تلك الخمسة التي ذكرها سيبويه ، وزاد الكِسائي الوَزُوع فتصير سبعة " [٥] .

وهذا ما أكده الصَّغَاني في وروده للصيغ الخمسة التي ذكرها سيبويه (القَبُول ، والوَلُوع والوَزُوع ، والوَضُوء ، والوَقُود) وأن (اللَّغُوب) مثلها [٦] .

وأورد الفَيُّوميّ أن (لَغَبَ) الماضي يأتي على صيغتين : الأولى : (لَغَبَ) على وزن (قَتَلَ) والثانية : (لَغِبَ) على وزن (تَعِبَ) والثانية لغة في الأولى [٧] .

وأيد ذلك الزَّبيدِي حين ذكر أن قراءة الفتح (اللَّغُوب) إذا كانت من (فَعِلَ) فهي

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ١٢٤ ، والمحتسب : ٢ / ٢٠٠ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٠٠ .

(٢) الصحاح ، والمفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ولسان العرب (ل غ ب) .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٢٦٢٣ .

(٤) البحر المحيط : ٧ / ٣٠٠ .

(٥) المصدر السابق : ٨ /١٢٨ ، وانظر : الدر المصون : ١٠ / ٣٥ ، وروح المعاني : ٢٦ / ١٩٢ .

(٦) الشوارد ص ٣١ .

(٧) المصباح المنير (ل غ ب) ٢ / ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

صحيحة وعلى وزنه (فَعَلَ) ، ثم قال : " اللُّغُوب ، بالضم والفتح ، والمفتوح مصدر (لَغِبَ) كـ (فَرِحَ) على القياس ، واللُّغُوب الأول بالضم على قياس (فَعَلَ) كالوَضُوء ، والقَبُول . وهذا تحقيق حسن " (١) .

أما ابن جني فقد أجاز أن يكون (اللَّغُوب) بفتح اللام مصدراً ، وأجاز أن يكون صفة لمصدر محذوف ، حيث قال : " لك فيه وجهان : إن شئت حملته على ما جاء من المصادر على (الفَعُول) ... وإن شئت حملته على أنه صفة لمصدر محذوف ، أي لا يمسنا فيها لُغُوبٌ لَغُوبٌ . على قولهم : شِعْرٌ شَاعِرٌ ، ومَوْتٌ مَائِتٌ ، كأنه يصف (اللُّغُوب) بأنه قد (لَغَبَ) ، أي : أعيا وتَعِب ، وهذا ضَرْبٌ من المبالغة " (٢) .

هذا ، وقد قال الفَرَّاء : " الكلام (لُغُوبٌ) بضم اللام " (٣) ، وقال الزَّجَّاج : " والضم أكثر " (٤) .

ومعنى الآية على هاتين القراءتين أن الله ـــ تعالى ـــ يُخْبِرُ أن هؤلاء المُصْطَفَيْنَ من عباده يقولون : الحمد لله الذي أَحَلَّنَا دارَ الخلود ، وهي الجنة ، من فضله ومَنِّه ورحمته ، لا بأعمالنا ، لا يصيبنا فيها تَعَبٌ ولا إعياءٌ من التَّعَب (٥) .

[دُحُوراً]

في قوله تعالى : ﴿ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ (٦) . قرأ الجمهور: (دُحُوراً) بضم الدال ، وقرأ عليٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ والسلمي ، وابن أبي عَبْلَة (دَحُوراً) بفتحها (٧) .

---

(١) تاج العروس (ل غ ب) ١./ ٤٧٣ .

(٢) المحتسب : ٢ / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ويراجع ٢ / ٢٨٥ .

(٣) معاني القرآن : ٢ / ٣٧٠ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٢٧١ .

(٥) المصدر السابق : ٤ / ١٧١ .

(٦) الصافات : الآية (٩) .

(٧) مختصر في شواذ القرآن ص ١٢٧ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٣٩ .

الدُّحُورُ بالضم : الطرد والإبعاد والدفع ، يقال : دَحَرَهُ يَدْحَرُهُ دَحْراً ودُحُوراً دَفَعَهُ وأَبْعَدَهُ [1] .

وقراءة الجمهور (دُحُوراً) بضم الدال ، على أنه مصدر ، لأن معنى (يُقْذَفُونَ) : يُدْحَرُونَ ، دَحَرْتُهُ دَحْراً ودُحُوراً ، أي : طَرَدْتُهُ [2] .

والمعنى أن الشياطين يرمون من كل جانب بالشُّهُب طرداً وإبعاداً لهم .

وأما قراءة عليّ — رضي الله عنه — (دَحُوراً) بفتح الدال ، فتحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك مما جاء من المصادر على (فَعُول) بفتح الفاء ، كالقَبُول ، والوَلُوع ، والوَضُوء ، وعلى هذا يعمل فيه معنى (يُقْذَفُون) ، أو يُقَدّر له يُدْحَرُونَ دَحُوراً [3] .

والثاني : أن يُقَدَّر على أنه اسم فاعل على المبالغة ، أي : ويُقْذَفُونَ من كل جانب بِدَاحِرٍ ، أو بما يَدْحَرُ ، أي : بِدُحُورِهِم ، ثم حذف الباء ، والكوفيون يستعملون هذا كثيراً [4] وعليه قول جرير :

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا [5]

وعلى الوجه الأول — وهو الراجح — تتحد القراءتان معنى ، فليس من فرق بينهما إلا التبادل بين الضمة والفتحة ، وهذا يعد من قبيل إبدال الحركات .

وقد أفادت الآية أن مُسْتَرِقِي السمع يرمون ويُزْجَرُون من كل جهة يصعدون إلى السماء منها ، مطرودين ، ومُبْعَدِين ، ولهم عذاب دائم موجع يصل وجعه إلى القلب [6] .

---

(1) لسان العرب ، والقاموس المحيط (د ح ر) .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٣ .

(3) المحتسب : ٢ / ٢١٩ ، والكشاف : ٣ / ٣٣٧ ، وإعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٣٧٥ ، وفتح القدير : ٤ / ٣٨٧ .

(4) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٨٣ ، والمحتسب : ٢ / ٢١١٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٤ .

(5) صدر بيت،وعجزه : " كلامكم علي إذاً حرام ! "والتقدير:تمرون بالديار . ينظر : لسان العرب (م ر ر).

(6) البحر المحيط : ٧ م ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

[دُولَةً]

في قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (١) . قرأ الجمهور (دُولَةً) بضم الدال ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ والسُّلَمِيّ (دَوْلَةً) بفتحها (٢) .

الدُّولَةُ ، بالضم : اسم الشيء الذي يُتداول من الأموال (٣) . ومعنى قراءة الجمهور كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يُعطى للفقراء بُلْغَةً يعيشون بها مُتَداولاً بين الأغنياء يتكاثرون به (٤) .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (دَوْلَةً) بفتح الدال ، فمن العلماء من يجعلها بمعنى قراءة الجمهور ، ويقول هما لغتان بمعنى واحد ، ومن هؤلاء : عيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، والأصمعي ، وابن منظور ، والفيومي (٥) ، ومن العلماء ــ أيضاً ــ من يفرق بينهما ، فالكِسائي وحُذَّاق البصرة يقولون : الفتح في المُلْك ، بضم الميم . لأنها الفَعْلَة في الدهر . والضم في المِلْك ، بكسر الميم (٦) .

وقال أبو عُبَيْدة ، والزَّجَّاج : الدُّولَةُ ، بالضم : اسم الشيء الذي يُتداول من الأموال . والدَّوْلَةُ ، بالفتح : الفِعْلُ والانتقال من حال إلى حال (٧) .

وأرى أن القراءتين تتفقان في الدلالة ، فهذا يونس بن حبيب يقول : " أما أنا فلا أدري ما بينهما " (٨) ، وأن المعنى على هاتين القراءتين : فعلنا ذلك في هذا الفيء ، كي لا تقسمه

---

(١) الحشر : من الآية (٧) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥٤ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٤٤ .

(٣) لسان العرب (دول) ٢ / ١٤٥٥ .

(٤) البحر المحيط : ٨ / ٢٤٤ .

(٥) العين (دول) ٨ / ٧٠، والمخصص : ١٥ /٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ /٦٧٤٠ ، ولسان العرب (دول) ٢ / ١٤٥٥ ، والمصباح المنير (دول) ١ / ٢٠٣ .

(٦) البحر المحيط : ٨ / ٢٤٤ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٦٧٤٠ .

(٨) إصلاح المنطق ، لابن السكيت ص٢٩ .

الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء ، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا غَنِمُوا أخذَ الرئيس ربعها لنفسه ، وهو المِرْباع ، ثم يصطفي منها ــ أيضاً ــ بعد المِرْباع ما شاء . يقول : كي لا يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية [1] .

التفسير الصوتي لإبدال الضمة فتحة :

من المعلوم أن الفتح أخف الحركات ، وهو أخف ــ أيضاً ــ من السكون ، فقد قالوا : إن المفتوح لا يخفف ، أي : لا يسكن لخفة الفتحة ، وأما الضم فهو أثقل الحركات .

وقد تبين من الإحصاء أن نسبة شيوع الفتحة في العربية هي حوالي ٤٦٠ بالألف ، وشيوع الكسرة ١٨٤ ، وشيوع الضمة ١٦٤ [2] كما تم اختيار خمسمائة سطر من مائة كتاب حديث النشر بواقع خمسة أسطر من الكتاب الواحد في مواقع مختلفة ، وروعي أن تكون الكتب متنوعة في موضوعاتها ، وقد بلغ عدد الأصوات اللغوية في هذه العينات موضع التحليل ٤٦٠٢٩ صوتاً ، وظهر أن نسبة شيوع الفتحة (١٦,٧٤ %) من الأصوات ، ونسبة شيوع الكسرة (١٠,٦٣ %) ، ونسبة شيوع الضمة (٥,٤٢ %) [3] ، وهذا يتوافق مع مبدأ شيوع الأسهل والأخف نطقاً .

وينقل الرواة ويؤكد الدارسون أن الفتح سمة من سمات النطق الحضري عند أهل الحجاز ومن لَفَّ لَفَّهُم كثَقِيف ، وهُذَيْل ، وأن الضمة سمة من سمات النطق البدوي عند أهل نَجْد ، وتَمِيم ، وأَسَد ، وأهل العالية [4].

والضم مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ، في حين أن الفتح مظهر التحضر واللين والخفة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٦٧٤٠ .

(٢) الألسنية العربية ، لريمون طحان : ١ / ٩٦ ، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ، للدكتور صاحب أبو جناح ص ٧٣ .

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ، للدكتور محمد علي الخولي ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٤) البحر المحيط : ٥ / ١١٢ ، واللهجات العربية في التراث ، للدكتور أحمد علم الدين الجندي : ١ / ٢٦٠، ٢٦١، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٢٠، ١٢١ .

ولا يميل البدو إلى الفتح إلا إذا كان يحقق لهم قدراً من الاقتصاد في الجهد العضلي والانسجام في نطق الأصوات ٠

وباستعراض القراءات التي حدث فيها إبدال الضمة فتحة تبين أن العلماء قد نسبوا هذه القراءات إلى الإمام عليّ ــ رضي الله عنه ــ فحين يكون الخيار بين الضم والفتح يختار الفتح ، وفي اختياره ــ رضي الله عنه ــ للفتح وإيثاره على الضم صنيع يتفق ومنهج البيئة الحضرية التي نشأ فيها ، وهي البيئة الحجازية التي تميل إلى التخفيف ٠ فالفتح ــ كما قلنا ــ هو أخف الحركات العربية ، والضم أثقلها ٠

٣ ـ التبادل بين الكسر والفتح :

[أَرْبِعِينَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) قرأ الجمهور (أَرْبَعِينَ) بفتح الباء ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وعيسى بن عمر (أَرْبِعِينَ) بكسرها (٢) ٠

وقراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ لا تغاير قراءة الجمهور من حيث المعنى ٠ فالأربعين من العدد معروف ، ومع هذا فقد وَصَفَ أبو حيان لغة الكسر بالشذوذ (٣) ، والمراد بالشذوذ ــ هنا ــ شذوذ القياس لا شذوذ الاستعمال ٠

ولعل السر في وصف هذه اللغة بالشذوذ ، أنه قد أُثِرَ عن بعض العلماء أن الحرف الذي قبل حرف الحلق أو حروف الاستعلاء يفتح ، وذلك أن أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً ، وتلك هي الفتحة (٤) ، كما أن الحروف المستعلية لها

---

(١) البقرة : الآية (٥١)٠

(٢) البحر المحيط : ١ / ٣٥٧ ٠

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها ٠

(٤) في اللهجات العربية ص ١٧٠ ، وينظر : المنصف ، لابن جني : ١ / ١١٥ ٠

صفة القوة ، إذ فيها يعلو اللسان إلى الحنك أطبقت أو لم تطبق ، ولهذا آثرت الفتحة لخفتها •

ومع هذا لا ينبغي أن توصف هذه اللغة بالشذوذ ، وخاصة أنها جاءت عليها قراءة قرآنية قرأ بها الإمام عليٌّ ـــ رضي الله عنه •

والتفسير الصوتي لهذه القراءة ، أنه قد حدث تَجَاوُر بين الفتحة والكسرة نتج عنه تأثر إحداهما بالأخرى تأثراً أدى إلى تماثلهما ، بأن كانتا كسرتين ، تحقيقاً للانسجام الصوتي ، وتيسيراً لعملية النطق ، واقتصاداً في الجهد العضلي ، " فلاشك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح ، والعكس يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض " (١) •

والتماثل ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه •

واللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلام الحديثة مالت ميلاً كبيراً إلى هذا التأثر إذ نلحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثر أصوات الكلام بعضها ببعض في أثناء النطق (٢) •

والمحدثون من علماء الأصوات اللغوية قرروا أنه قد يتجاور صوتان لغويان ، ويتأثر الأول منهما بالثاني ، كما حدث في قراءة الإمام عليّ ـــ رضي الله عنه ـــ (أَرْبِعِينَ) بكسر الباء ، وقد اصطلحوا على تسمية هذا النوع من التأثر بالرجعي (**Regressive**) وهو كثير الشيوع في اللغة العربية،وقد يتأثر الصوت الثاني بالأول،ويسمى هذا التأثر التقدمي(**Progressive**)(٣)

وقد اعترف بذلك اللغويون العرب القدماء ، وسماه ابن جني : " تقريب الصوت من الصوت " (٤) وأطلق عليه بعض المعاصرين " الانسجام الصوتي " (٥) وسماه بعضهم

---

(١) في اللهجات العربية ص ٦٧ ، ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، للدكتور عبد العزيز مطر ص ٢١٢ •

(٢) الأصوات اللغوين ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٧٨ •

(٣) المرجع السابق ص ١٨٠ •

(٤) الخصائص : ٢ /١٤٣ •

(٥) ينظر : مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، العدد (٨) ، ص ٧ ، (بحث بعنوان " إتباع الحركات في القراءات " ، للدكتور محمد أحمد خاطر) •

بـ " المماثلة " [١] ، وبعضهم بـ " التوافق الحركي " [٢] ، وبعضهم بـ " المناسبة " [٣] ، وقد آثر بعضهم أن يسميه بـ " الإتباع " [٤] ، وهذه التسمية هي التي ذكرها الأقدمون في كتبهم .

والمراد بـ" أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " في الآية السابقة : ذو القَعْدَةِ ، وعَشْرٍ من ذي الحجةِ ، هذا عند أكثر المفسرين ، وقيل : ذو الحجةِ ، وعَشْرٍ من المُحَرَّم [٥] .

والله ـــ سبحانه وتعالى ـــ يقول لبني إسرائيل : " اذكروا نعمتي عليكم في عَفْوِي عنكم لمَّا عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمر المواعدة ، وكانت أَرْبَعِين يوماً ، بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر " [٦] .

[إدًّا]

في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾ [٧] قرأ الجمهور (إدًّا) بكسر الهمزة ، وقرأ عليُّ ابن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ (أدًّا) بفتحها [٨] .

الإدُّ ، بكسر الهمزة : العَجَبُ ، والأمر الفظيع ، والمنكر . يقال : أَدَّ يَؤُدُّ أَدّاً فهو آدٌّ ، والاسم : الإدُّ ؛ إذا جاء بشيء عظيم منكر[٩] ، وقال الآخر:

قَدْ لَقِيَ الأَقْرَانُ مِنِّي نُكْراً   داهِيَةً دَهْيَاءَ إدًّا إمْراً [١٠]

---

(١) الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٧٨ ، واللهجات العربية في التراث : ١ / ٢٢٦ .

(٢) د . محمود فهمي حجازي : أسس علم اللغة ص ٤٣٢ .

(٣) د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٧٣ .

(٤) د. عبد الغفار هلال : اللهجات العربية نشأة وتطوراً ص ٢٩٧ ، ومعنى الإتباع : أن تتبع الحركة حركة أخرى سابقة ، أو لاحقة ، فتغير عما حقها أن تكون عليه ، لتماثل الحركة المتبوعة .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٤٣٥ ، والبحر المحيط : ١ / ٣٥٧ .

(٦) تفسير ابن كثير : ١ / ٩١ .

(٧) مريم : الآية (٨٩) .

(٨) مختصر في شواذ القرآن ص ٨٦ ، والشوارد ، للصغاني ص ٢٨ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٠٥ .

(٩) لسان العرب (أ د د) ١ / ٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٣٢٨ .

(١٠) لسان العرب (أ م ر) ١ / ١٢٩ .

ومعنى قراءة الجمهور : أن اليهود والنصارى ، ومن زعم أن الملائكة بنات الله جاءوا بمنكر عظيم حين نسبوا لله ــ تعالى ــ الوَلَد [١] .

وأما قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ (أَدًّا) بفتح الهمزة ، فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها بمعنى قراءة الجمهور ، وأن الإدّ والأدّ ، بكسر الهمزة وفتحها معناهما واحد ، وهو العَجَبُ ، أو الشيء العظيم من المنكر ، أو الكفر . قال الفَرَّاء : " وقوله : (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً) قَرَأَت القُرَّاءُ بكسر الألف ، إلا أبا عبد الرحمن السُّلَمِيّ فإنه قرأها بالفتح (أدًّا) ومن العرب من يقول : لقد جئت بشيء آدٍّ مثل مادّ ، وهو في الوجوه كلها بشيء عظيم " [٢] .

وقال الزَّجَّاج ــ معلقاً على قراءة الجمهور (إدًّا) بالكسر ــ : " وتقرأ (أدًّا) بالفتح ، ومعناه شيئاً عظيماً من الكفر ، وفيها لغة أخرى ، لا أعلم أنه قُرِئَ بها ، وهي : (شيء آدّ) .. ومعناه كله : جئتم شيئاً عظيماً " [٣] .

وقال أبو حيان : " (الأَدّ) و (الإدُّ) بفتح الهمزة وكسرها : العَجَبُ ، وقيل : العظيم المنكر " [٤] .

وجعل الصَّغاني والثَّعْلَبي (الأَدّ) بالفتح لغة . قال الصغاني: " الأَدّ : لغة في الإدّ " [٥] وقال الثَّعْلَبِيُّ : فيه ثلاث لغات (إدًّا) بالكسر ، وهي قراءة العامة ، و (أدًّا) بالفتح ، وهي قراءة السُّلَمِيّ ، و (آدّ) مثل مادّ ، وهي لغة لبعض العرب ؛ رويت عن ابن عباس وأبي العالية [٦] .

وذهب ابن جني إلى أن قراءة الفتح (أدًّا) تغاير قراءة الجمهور (إدًّا) بالكسر ، حيث قال : " الأَدُّ ، بالفتح : القوة . قال :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٣٢٧ ، ٤٣٢٨ .

(٢) معاني القرآن : ٢ / ١٧٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٣٤٦ .

(٤) البحر المحيط : ٦ / ١٨٧ .

(٥) الشوارد ص ٢٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٣٢٨ .

نَضَوْنَ عَنّيِ شِرَّةً وأَدًّا ... مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ صُمُلاً نَهْدًا [1]

فهو إذاً على حذف المضاف ، فكأنه قال : لقد جئتم شيئاً ذا أَدٍّ ، أي: ذا قوة ، فهو كقولهم : رَجُلٌ زَوْرٌ [2] وعَدْلٌ وضَيْفٌ ، تصفه بالمصدر إن شئت على حذف المضاف ، وإن شئت على وجه آخر أصْنَع من هذا وأَلْطَف ، وذلك أن تجعله نفسه هو المصدر للمبالغة ، كقول الخَنْسَاء :

تَرْتَعُ مَا غَفَلَتْ حَتَّى إذَا ادَّكَرَتْ ... فإنما هي إقبالٌ وإدْبارُ

إن شئت على ذات إقبال وإدبار ، وإن شئت جعلتها نفسها هي الإقبال والإدبار ، أي : مخلوقة منهما " ويرى أن الوجه الثاني هو " المَعْنِيُّ عندهم لا على حذف المضاف " ، ويستدل بقول الله ـ سبحانه ـ : (خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ) [3] ، أي : من العَجَلَةِ " [4] .

وأرى أن تفسير (الأَدّ) بفتح الهمزة ، بمعنى القوة يُعَضِّدُ قراءة الجمهور ولا يتعارض معها ؛ لأن الشيء العظيم لابدَّ أن يكون قوياً ، ومن ثم فقد وَضَحَتْ قراءة عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ أن الذي جاءوا به كان منكراً عظيماً .

ومعنى الآية : قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا : لقد جئتم شيئاً عظيماً من الكفر مُنْكَراً .

التفسير الصوتي لتبادل الكسرة والفتحة :

الفتحة والكسرة صوتان متقاربان مخرجاً مما يسوغ تبادلهما ، والفرق بينهما أن اللسان مع الأولى يكاد يكون مستوياً في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في مؤخره [5] ، وأما مع الثانية فإن مقدم اللسان يرتفع نحو الحنك إلى أقصى درجة ، بحيث لا يخرج عن كونه حركة .

---

(1) الشرة : النشاط والحدة ، والصمل : الشديد الخلق من الإنسان والإبل والجبال ، والنهد : المشرف الجسيم

(2) رجل زور : زائر .

(3) الأنبياء : من الآية (٣٧) .

(4) المحتسب : ٢ / ٤٥ ، ٤٦ .

(5) الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٣٢ .

والفتحة أقرب ما تكون إلى المقياسين (a ، a) من مقاييس دانيال جونز أو هي بينهما من حيث جزء اللسان ، وأما الكسرة فإنها أقرب ما تكون إلى المقياس (i) [١] .

ووضع اللسان مع الحركتين يرينا أن الفتح أيسر في نطقه من الكسر الذي يحتاج إلى جهد عضلي أكبر ، ولهذا يمكننا نسبة الفتح ــ هنا ــ إلى القبائل الحضرية ، كأهل الحجاز خاصة ، ونسبة الكسر إلى القبائل البدوية ، كتميم ، وربيعة ، وقيس [٢] .

وربما آثر الإمام عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ الكسر مرة ، لما فيه من تجانس الأصوات وتوافقها ، كما قلنا سابقاً ، وآثر الفتح أخرى ، لسهولة النطق به ، وأنه أوضح الحركات الثلاث في السمع وأقواها [٣] .

---

(١) علم الأصوات ، للدكتور كمال بشر ص ٤٦٦ .

(٢) لغة تميم ص ٢٣٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ص٢٧ ، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(ب) في الأفعال

الضم في مقابل الكسر :

تشير المصادر إلى أن في عين مضارع (فَعَلَ) إن لم يكن فيه داعٍ من دواعي الكسر أو الفتح أو الضم [(١)] وجهان :الضم ، والكسر ، نحو: ضَرَبَ يَضْرِبُ ، وشَكَرَ يَشْكُرُ ، وليس فيهما عند العرب قياس معروف ، ولا ترجيح لأحدهما على الآخر [(٢)] ، قال أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) : " كلاهما قياس ، وليس أحدهما أولى به من الآخر ، إلا أنه ربما كسر أحدهما في عادة ألفاظ الناس حتى يطرح الآخر ويقبح استعماله ، فإن عرف الاستعمال فذاك . وإلا استعملا معاً ".[(٣)] .

ويبدو مما ذكر بعض اللغويين القدامى أن الضم والكسر كانا يستعملان عند القبيلة الواحدة ، وربما عند الفرد الواحد ، كما يبدو من قول أبي زيد : " طُفْتُ في عُلْيَا قَيْس وتَمِيم مدة طويلة ، أسأل عن هذا الباب (أي : فَعَلَ يَفْعُلُ ويَفْعِلُ) صغيرهم وكبيرهم ؛ لأعرف ما كان منه بالضم أولى ، وما كان منه بالكسر أولى ، فلم أجد لذلك قياساً ؛ وإنما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستخف ، لا على غير ذلك " [(٤)] .

ومقتضى هذا القول أن ما يُرَى من خلاف بين (يَفْعِلُ) و (يَفْعُلُ) ليس مَرَدّه إلى اختلاف اللهجات . إلا أن المصادر تشير ــ أحياناً ــ إلى أنَّ كسر العين لقبيلة وضمها لقبيلة أخرى ، وهذا مناقض لقول أبي زيد . على أن من نسب صيغة إلى قبيلة ، وأخرى إلى غيرها ، ربما كان مُرَاده أنها في استعمالها أشيع من الأخرى ، لا أنها تلتزم واحدة وتهمل الأخرى .

وقد حاول بعض اللغويين أن يفاضل بين (يَفْعِلُ) و (يَفْعُلُ) من حيث الفصاحة كما

---

(١) أي : لم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ، ولا حروف الحلق .

(٢) المزهر : ١ / ٢٠٧ .

(٣) الخصائص : ١ / ٣٨٥ ، وشرح الشافية : ١ / ١١٧ .

(٤) المزهر : ١ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

فَعَلَ ثعلب (ت٢٩١هـ) حين اختار الكسر في يَنْفِرُ وَيَشْتِمُ [١] ،لكن ابن دُرُسْتَوَيْه (٣٣٧ هـ) انتقد صنيعه وقال : إنه نَقْضٌ لمذهب العرب والنحويين ، إذ قرروا أهما سواء [٢] . ولكنه في ختام انتقاده قال : إن الذي فَضَّلَ واحداً على الآخر وجذه " أكثر استعمالاً عند بعضهم ، فجعله أفصح من الذي قل استعماله عندهم . وليست الفصاحة في كثرة الاستعمال ولا قلته ، وإنما هاتان لغتان مستويتان في القياس والعلة ، وإن كان ما كثر استعماله أعرف وآنس ؛ لطول العادة به " [٣] ، وفي الحق أن الأنس وطول العادة باللغة هما مقياس الفصاحة عند اللغويين ، وإقراره بهذا ، كأنه تراجع عما بدأ به .

ومع أن اللغويين يساوون بين الضم والكسر ، ربما فضلوا أحدهما على الآخر ، ويبدو أنهم يميلون إلى تفضيل كسر عين المضارع على ضمها ، كما قال الفارسي (ت ٣٧٧هـ): " ... كُلَّمَا اسْتَقْرَيْنَا باب (فَعَلَ) الذي يَعْتَقِبُ عليه المثالان (يَفْعِلُ) و (يَفْعُلُ) وجدنا الكسر فيه أفصح ، وذلك للخِفَّة " [٤] .

ويبدو أن الحجازيين كانوا أميل إلى كسر المضارع ــ أيضاً ــ كما سيتضح من القراءات الآتية :

[تَنكِصُونَ]

في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴾ [٥] . قرأ الجمهور (تَنْكِصُونَ) بكسر الكاف ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ (تَنْكُصُونَ) بضمها [٦] .

---

(١) تصحيح الفصيح وشرحه ، لابن درستويه ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) السابق ص ٣٦ .

(٤) المخصص : ١٤ / ١٢٣ .

(٥) المؤمنون : الآية (٦٦) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٦٦٩ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣٨٠ .

النُّكُوص : الإحجام والانقداع عن الشيء ، نَكَصَ عن الأمر يَنكِصُ ويَنْكُصُ نَكْصاً ونُكُوصاً : أَحْجَمَ ، ونَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ : رَجَعَ عما كان عليه من الخير ، ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة ، ونَكَصَ الرجلُ يَنْكِصُ : رَجَعَ إلى خَلْفِه [١] . وجميع ما ذكر من معاني لفظ النُّكُوص يدل على الإحجام والرجوع عن الخير .

وباستقراء كتب التفسير واللغة نجد أن القراءتين لغتان بمعنى واحد، وليس بينهما إلا التبادل بين الكسر والضم .

ويمكن عَزْو قراءة الجمهور (تَنْكِصُونَ) ، بالكسر ، إلى أهل الحجاز ، لأنها الأكثر والأشهر ؛ لتواترها وإجماع السبعة عليها ، على حين يمكن نسبة لغة الضم لبني تميم .

والمعنى على هاتين القراءتين : قد كانت آيات القرآن تُتْلَى عليكم ، أي : تُقْرأ عليكم فكنتم تُحْجِمُونَ وتَرْجِعُونَ وتَتَباعَدُونَ من سماعها ، وهو هنا استعارة للإعراض عن الحق [٢] .

[يَصُدُّونَ]

في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [٣].

قرأ الجمهور (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد، وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ (يَصُدُّونَ) بضمها [٤] .

والقراءتان متواترتان ، فقد قرأ نافع ، وابن عامر ، والكِسائي بضم الصاد ، وقرأ باقي السبعة بكسرها [٥] .

مادة (ص د د) في اللغة دالة على أكثر من معنى ، كما جاء الفِعْل منها متعدياً ولازماً ،

---

(١) لسان العرب (ن ك ص) ٦ / ٤٥٤١ ، ٤٥٤٢ ، والمصباح المنير (ن ك ص) ٢ / ٦٢٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٦٦٩ .

(٣) الزخرف : الآية (٥٧) .

(٤) البحر المحيط : ٨ / ٢٥ .

(٥) السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ص٥٨٧ ، والنشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٦٩ .

ففي المعجمات العربية : صَدَّ عنه يَصِدُّ صُدُوداً : أَعْرَضَ ، وصَدَّ يَصُدُّ ويَصِدُّ : ضَجَّ وعَجَّ . ويقال : صَدَّهُ عن الأمر يَصُدُّهُ صَدّاً : مَنَعَهُ وصَرَفَه عنه [1] .

والمطالع لكتب التفسير، والقراءات يجد أن اختلاف الدلالة بين القراءتين قوي ، وأن القول بأنهما لغتان بمعنى واحد ضعيف ؛ لأنه نقل بصيغة التمريض .

قال مكيّ بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) : " وحُجَّةُ من ضَمَّ أنه على مَعْنَى : يَعْدِلُون ويُعْرِضُون عما جئتم به . فالمعنى : إذا قومك من أجل المَثَل يَعْدِلُون عما جئتم به . وحُجَّة من قرأ بالكسر أنه على مَعْنَى : يَضِجُّونَ ، وقيل : معناه يَضْحَكُونَ ، أي : يَضْحَكُونَ من ضَرْبِ المَثَل . وقيل : إنهما لغتان بمعنى : يَضِجُّونَ " [2] .

وأما المطالع لكتب اللغة ومصادرها فيجد أن من اللغويين من قال باتحاد معنى القراءتين ، ومنهم من قال باختلاف المعنى بينهما . قال الكِسائي (ت ١٨٣ هـ): " هما لغتان لا يختلفان في المعنى ، والعرب تقول : (يَصِدُّ عَنِّي ، ويَصُدُّ عَنِّي) مثل : (يَشِدُّ ، ويَشُدُّ) [3] .

وقال الفَرَّاء (ت ٢٠٧ هـ) : " يَصِدُّونَ ، ويَصُدُّونَ لغتان بمعنى واحد ، كما يقال : نَمَّ يَنِمُّ ويَنُمُّ ، وشَدَّ يَشِدُّ ويَشُدُّ " [4] ، وأَكَّدَ الزَجَّاج (ت ٣١١ هـ) هذا فقال : " يَصِدُّونَ . ويُقْرَأُ (يَصُدُّونَ ـ بضم الصاد ـ والكسر أكثر، ومعناهما جميعاً : يَضِجُّونَ " [5] .

وقد نقل القرطبي (ت ٦٧١ هـ) عن قُطْرُب (ت ٢٠٦ هـ) أنه قال : إنه بالضم (يَصُدُّ) من الصدود وهو الإعراض ، وبالكسر (يَصِدُّ) من الضَّجيج . ونقل عن أبي عُبَيْدة (ت ٢٠٩ هـ) أن من ضَمَّ فمعناه : يَعْدِلُون ؛ فيكون المعنى : من أجل المَثَل يَعْدِلُونَ . ومن

(١) لسان العرب ، والمصباح المنير ، والقاموس المحيط (ص د د) .

(٢) الكشف : ٢ / ٢٦٠ ، وينظر : إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٤٥١ ، ٤٥٢ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٥ والتفسير الكبير : ٢٧ / ٢٢١ ، وروح المعاني : ٢٥ / ٩٢ .

(٣) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٦٥٢ .

(٤) معاني القرآن : ٣ / ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٤١٦ .

كسر فمعناه : يَصِجُّونَ ، والمعنى : يَصِجُّونَ مِنْهُ [١] .

وأَرَى أن القول بأن ضم الصاد وكسرها لغتان بمعنى واحد أقوى ، فقد قال به الكِسائي والفرّاء ، والزّجّاج وهم أئمة اللغة ، كما أن أصحاب المعجمات العربية كابن منظور وغيره ، قالوا بذلك ، ورد بعضهم على من قال باختلاف المعنى ، ثم إن المعنى الذي وضعته المعاجم للقراءتين (ضَجَّ أو أَعْرَضَ) يتفق والمعنى الذي تطلبه الآية .

ومن ثَمَّ نستطيع أن نقول : إن القراءتين لغتان واردتان عن العرب بمعنى واحد ، وأن الكسر لغة أهل الحجاز ، بدليل قراءة ابن عباس وابن كثير بها [٢]، وقد ضبطت الكلمة بها في المصحف مما يَعْني كثرة استعمالها، ويكون الضم لغير الحجازيين ، كالبدو من تَميم . وهو أنسب لهم [٣] .

وعلى القول باختلاف معنى القراءتين فلا تضاد بينهما ، بل كل منها تعانق الأخرى في تأدية المعنى المراد ، فقراءة الضم أفادت أن قومَ النبي (صلى الله عليه وسلم) لما ضُرِبَ ابنُ مريمَ مثلاً صَدُّوا غيرهم عن الإيمان ، وقراءة الكسر أفادت أن قومَ النبي (صلى الله عليه وسلم) لمَّا ضُرِبَ ابنُ مريمَ مَثلاً صَدُّوا في أنفسهم ، وكلا المعنيين حاصل منهم [٤] .

وفي سبب نزول الآية يقول القرطبي : " لما أنزل الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [٥] تعلق المشركون بأمر عيسى وقالوا: ما يريد محمد إلا أن نتخذه إلهاً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم إلها .

ورُوِى عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لقريش : يا معشر قريش لا خير في أحد يُعْبَدُ من دون الله . قالوا : أليس تزعم أن عيسى كان عبداً نبياً وعبدا

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٥٠ .

(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٦٩ .

(٣) اللهجات العربية في شرح شعلة علي الشاطبية ، للدكتور سيد أحمد علي الصاوي ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٥٠ .

(٥) الزخرف : الآية (٤٥) .

صالحاً ؟ فإن كان كما تزعم فقد كان يُعبد من دون الله ! . فأنزل الله ـ تعالى ـ : " وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ " (1) .

[لَمْ يَطْمِثْهُنَّ]

في قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ (2) . قرأ الجمهور (يَطْمِثْهُنَّ) بكسر الميم ، وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة (يَطْمُثْهُنَّ) بضمها (3) .

والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة ، ونافع بكسر الميم ، وقرأ الكسائي بضمها (4) .

الطَّمْثُ : الافْتِضَاضُ ، وهو النكاح بالتَّدْمِية ، يقال : طَمَثَ الرجلُ امرأتَه يطْمِثُهَا طَمْثاً : افْتَضَّهَا وافْتَرَعَهَا (5) .

وباستقراء كتب التفسير ، والقراءات ، واللغة نجد أن القراءتين لغتان بمعنى واحد ، قال أبو زُرْعَةَ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة : " هما لغتان : (طَمَثَ يَطْمِثُ ، وَيَطْمُثُ) مثل : (عَكَفَ يَعْكِفُ ، ويَعْكُفُ) ، والمعنى : لم يمسهن ولم يفتضهن " (6) وقال بمثل هذا ـ أيضاً ـ الزَّجَّاج ، والقُرطبيّ، والفَيْرُوز آبادي ، والدِّمياطيّ (7) .

والمعنى على هاتين القراءتين : لم يُصِبْهُنَّ بالجماع قبل أزواجهن هؤلاء أحد ، بل هن أبكار عُرُب أَتْرَاب . وقيل : " لَمْ يَطْمِثْهُنَّ " لم يَمَسُّهُن. والأول أَعْرَفُ وأَشْهَرُ ، وهذا وصف

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٤٩ ، ٦١٥٠ .

(2) الرحمن : الآية (٧٤) .

(3) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ١١٩ ، والجامع لأحكام القرآن: ٠ / ٦٥٩٠ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٩٦ .

(4) السبعة ، لابن مجاهد ص ٦٢١، والنشر : ٢ / ٣٨٢ .

(5) لسان العرب (ط م ث) ٤ / ٢٧٠١ .

(6) حجة القراءات ص ٦٩٤ .

(7) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٠٢ ، ١٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن: ٩ / ٦٥٩٠ ، والقاموس المحيط (ط م ث) ص ٢٢٠ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٥١٢ .

للحور العين [١] ، وفي هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس ٠

تعقيب على تبادل الصوائت القصيرة (الحركات) :

رأينا فيما سبق أن الصوائت القصيرة ، وهي : الفتحة ، والكسرة ، والضمة قد وقع التبادل بينها ، ولهذا التبادل أسباب تبدو فيما يأتي :

١ ــ الانسجام الصوتي ، أو التوافق الحركي ، فقد وجدنا بعض القراء يختار الضم في بعض الكلمات ، على حين يختار بعض القراء الكسر ، وربما اختار بعضهم الكسر . واختار الآخرون الفتح ٠٠ وهكذا ، وما ذلك إلا ضرب من تقريب الأصوات بعضها من بعض ، مما يؤدي إلى انسجامها ٠

٢ ــ الخفة والسهولة في النطق ، فالصوائت القصيرة (الحركات) ليست على درجة واحدة من الخِفَّة والثقل ، فأخفها الفتحة ، وأثقلها الضمة ، أما الكسرة فبينهما ، أي : أخف من الضمة ، وأثقل من الفتحة ٠

٣ ــ المنهج التعليمي الذي كان متبعاً في القراءة ، فالقارئ قد يؤدي اللفظ حيناً بلسانه ، وحيناً بلسان غيره [٢] ٠

٤ ــ الميل إلى تقليد طريقة معينة في النطق ، فطريقة البدو في نطقهم كانت محببة إلى أهل الحاضرة ، وكانوا يحاولون نقل تقاليدها إلى لسانهم ، ومن ذلك ــ مثلاً ــ نقل ظاهرة (الهمز) البدوية إلى ألسنة الفصحاء في شمالي الجزيرة العربية [٣] ٠

٥ ــ يضاف إلى ذلك أن العربي قد يختار ما يستحسن من الحركات ، فقد تكون الحركة في موطن حسنة ، وفي موطن آخر قبيحة [٤] ٠

---

(١) الجامع لأحكام القرآن :٩ / ٦٥٨١ ٠

(٢) تاريخ القرآن ، للدكتور / عبد الصبور شاهين ص١٩٤ ،١٩٥ ٠

(٣) المرجع السابق ص ١٩٥ ٠

(٤) لهجة ربيعة ص.١٠٠ ٠

المبحث الثاني

تسكين الحركة

أطلق النحاة على حذف الحركة مصطلح " التسكين " فالتسكين : هو حذف الحركة ، وإحلال السكون محلها . فالحركة موجبة ، والتسكين سلب الحركة عن الحرف ، من أجل هذا تعد الحركة قسيماً للسكون (١) .

وتلجأ بعض القبائل العربية التي تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة إلى تسكين وسط الكلمة المتحرك ، ومن هذه القبائل : تميم ، وبكر بن وائل التي كانت تجاور تميماً في نجد وشرقي الجزيرة العربية ، وكذلك عموم ربيعة (٢) .

وقد حاولت العربية أن تنظر إلى حركات الحروف وسكونها فوضعت الحركات المناسبة في أماكنها الطبيعية القابلة لها ، وسمحت للسكون بأن يكون في الوضع الذي لا يتنافى معه الانسياب النطقي ، والذلاقة اللسانية ، وهذا يصور لنا بجلاء منطق الفصاحة البنائية العربية ، وهي توالي البناء بحركات لا تتناقض عدداً وشكلاً مع السهولة ، وهكذا الحال بالنسبة لمكان السكون (٣) .

وتسكين الحركة ــ غالباً ــ ما يكون في المضموم والمكسور اسماً كان أو فعلاً ، وقلما يكون في المفتوح لِخفَّتِه ، وقد أشار إلى ذلك سيبويه فقال : " وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء (أي بكر بن وائل ــ من ربيعة ــ وتميم) يخففون أيضاً ، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين ... وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء كما تكره الياءان ... وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه ، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر ، كما أن الألف أخف من الواو والياء (٤) .

---

(١) ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، للدكتور أحمد عفيفي ص ٢٢٤ .

(٢) الكتاب : ٢ /٢٥٧ ، وشرح الشافية : ١ / ٤٠ ، وفي اللهجات العربية ص ١٦١ ، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص ٣٥ .

(٣) أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي ، للدكتور عبد الغفار هلال ص ٢٠ .

(٤) الكتاب : ٤ / ١١٤ ، ١١٥ .

وقد أورد سيبويه في كتابه باباً تحت عنوان : " ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك : ، وعَزَا ذلك إلى بكر بن وائل وأناس كثير من بني تَمِيم [(١)] .

والواضح أن ما اختاره الإمام عليّ ــ رضي الله عنه ــ وَرُوِيَ عنه من حروف تمثلت فيها هذه الظاهرة ، لا يمكن تفسيره في أقرب الفروض ، إلا على أنه مظهر من مظاهر التأثر بلهجة تَمِيم وقبائل شرقي الجزيرة .

وقد وردت في قراءات علي أنواع من تسكين المتحرك نوردها على النحو التالي :

- **[أَلَمْ تَرْ]** :

في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ [(٢)] . قرأ الجمهور(أَلَمْ تَرَ) بتحريك الراء ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ (أَلَمْ تَرْ) بتسكينها [(٣)] .

الهمزة في (أَلَمْ تَرَ) للاستفهام التقريري ، وقد دخلت على حرف النفي (لَمْ) ، فصار الكلام تقريراً ، فيمكن أن يكون المخاطب علم بهذه الصفة قبل نزول هذه الآية ، ويجوز أن يكون لم يعرفها إلا من هذه الآية ، ومعناه التنبيه والتعجب من حال هذا الكافر .

والرُّؤْيَة ــ هنا ــ علمية ، وضُمِّنَتْ معنى ما يتعدى بإلى فلذلك لم يتعد إلى مفعولين . وكأنه قيل : ألم ينتبه علمك إلى كذا ؟ [(٤)] .

وقال الزَّجَّاج : " (أَلَمْ تَرَ) هذه كلمة يُوقَف بها المخاطب على أمر يُعْجَبُ منه ، ولفظها لفظ استفهام ، تقول في الكلام : أَلَمْ تَرَ إلى فلان صَنَعَ كَذا وصَنَعَ كَذا . وهذا مما أُعْلِمَهُ النبي (صلى الله عليه وسلم)حجةً على أهل الكتاب ومشركي العرب ، بوحي من الله ــ عز وجل ــ [(٥)] ويجوز أن يكون الخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، ويجوز أن يكون لكل سامع .

---

(١) الكتاب : ٤ / ١١٣ .

(٢) البقرة : من الآية (٢٥٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٢١٠ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٩٧ .

(٤) البحر المحيط : ٢ /٢٥٨ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٣٤٠ .

وتسكين الراء في قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ يحتمل ثلاثة وجوه :

الأول : أن يكون من إجراء الوصل مجرى الوقف ، وقد جاء في القرآن كإثبات ألف (الظُّنُونَا) و(السَّبِيلَا) و(الرَّسُولَا) في الوصل [1] . قال سيبويه : " وقد يقول بعض العرب : ارْمِ في الوقف ، واغْزُ ، واخْشَ . حدثنا بذلك عيسى بن عمر ، ويونس . وهذه اللغة أقل اللغتين ، جعلوا آخر الكلمة حيث وصلوا إلى التكلم بها ، بمنزلة الأواخر التي تحرك مما لم يحذف منه شيء ، لأن من كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع ما هو فيه " [2] .

والثاني : أن يكون أصل (أَلَمْ تَرَ) : (أَلَمْ تَرْءَ) ، ثم حذفت الهمزة حذفاً من غير إلقاء لحركتها على الراء قبلها ، أو بإلقائها عليها على عبرة التخفيف في نحو ذلك ، وصار حرف المضارعة كأنه بدل من الهمزة ، وهو قولهم : أَنْتَ تَرَى وهو يَرَى ونحن نَرَى ، وكذلك أَفْعَلُ منه .

وعلى هذا فأصل الحرف : رَأَى يَرْأَى كرَعَى يَرْعَى [3] ، قال الزَّجَّاج : " والعربُ مجمعةٌ على ترك الهمزة في هذا " [4] ، وقال سيبويه : " ومما حذف في التخفيف لأن ما قبله ساكن قوله أَرَى وتَرَى ويَرَى ونَرَى ، غير أن كل شيء كان في أوله زائدة سوى ألف الوصل من رأيت فقد اجتمعت العرب على تخفيفه لكثرة استعمالهم إياه ، جعلوا الهمزة تعاقب . وحدثني أبو الخَطَّاب (الأخفش الأكبر) [5] أنه سمع من يقول : قد أَرْآهُمْ ، يجيء بالفعل من رَأَيْتُ على الأصل ، من العرب الموثوق بهم " [6] .

والثالث : قالوا : إن سكون الراء (تَرْ) على توهم أن الراء آخر الكلمة ، قال

(1) المحتسب : ١ / ٣٦١ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٥٨ .
(2) الكتاب : ٤ / ١٥٩ .
(3) المحتسب : ١ / ١٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ١١٤٢ .
(4) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٣٢٢ .
(5) هو عبد الحميد بن عبد المجيد ، مولى قيس بن ثعلبة ، أحد الأخافشة الثلاثة المشهورين ، كان إماماً في العربية ، لقي الأعراب وأخذ عنهم وعن أبي عمرو بن العلاء ، أخذ عنه سيبويه ، والكسائي ، ويونس ، بغية الوعاة ص ٢٩٦ .
(6) الكتاب : ٣ / ٥٤٦ .

الرَّاجِزُ [1] :

قَالَتْ سُلَيْمَي اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا وَاشْتَرْ فَعَجِّلْ خَادِمًا لَبِيقَا [2] .

فاسكن الراء من (اشْتَر) على توهم أها آخر الكلمة .

ويرى ابن جني أن تسكين الراء ــ هنا ــ فيه ضعف ؛ " لأنه إذا حذف الألف للجزم فقد وجب إبقاؤه للحركة قبلها دليلاً عليها ، وكالعوض منها لاسيما وهي خفيفة ، إلا أنه شبه الفتحة بالكسرة المحذوفة في نحو هذا ؛ استخفافاً . قال الشاعر :

وَمَنْ يَتَّقْ فإنَّ اللهَ مَعَهُ ورِزْقُ اللهِ مُؤْتَابٌ وَغَادِي [3] .

فأسكن قاف (يَتَّق) لما ذكرنا " [4] .

ويَرْوِي أبو زيد عن أبي حاتم أن هذا التسكين مُنْكَر في العربية [5] .

ومعنى (حَاجَّ إبراهيمَ فِي رَبِّهِ) ، أي : عارض حجته بمثلها ، أو أتى على الحجة بما يبطلها ، أو أظهر المغالبة في الحجة ، والذي فعل ذلك هو نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح [6] .

[لَنْ تُغْنِي]

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً

---

(1) هو العذافر ، وهو من كندة ، ينظر / النوادر في اللغة ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(2) البحر المحيط : ٢ / ٢٥٨ .

(3) مؤتاب : راجع ، من ائتاب بمعنى آب ، الخصائص : ١ / ٣٠٦ ، ٢ / ٣١٧ ، ولسان العرب : (أ و ب) و (و ق ى)

(4) المحتسب : ١ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(5) النوادر في اللغة ص ٣٠٧ .

(6) البحر المحيط : ٢ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [1] قرأ الجمهور (لَنْ تُغْنِيَ) بفتح الياء ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ (تُغْنِي) بسكونها [2] .

يقال : أَغْنَى عنه : دَفَعَ عنه ومَنَعَهُ . والإغناءُ : الدفعُ والنَّفْعُ . وفلان عظيم الغِنَى ، أي : الدَّفْع والنَّفْع [3] .

قراءة الجمهور(تُغْنِيَ) بفتحة ظاهرة على الياء ، لتقدم أداة النصب (لَنْ) على الفعل وهو معتل الآخر بالياء .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (تُغْنِي) بإسكان الياء لاستثقال الحركة في حرف اللين ، وإجراء المنصوب مجرى المرفوع [4] .

وقد خَصَّ بعض النحويين هذا بالضرورة [5] وينبغي ألا يُخَصَّ بها ؛ إذ كَثُرَ ذلك في كلامهم . قال ابن جني : " سكون الواو من المضارع في موضع النصب قليل ، وسكون الياء فيه أكثر . وأصل السكون في هذا إنما هو للألف ؛ لأنها لا تحرك أبداً ، وذلك كقولك : أُريدُ أن تَحْيَا ، وأُحِبُّ أن تَسْعَى، ثم شبهت الياء بالألف لقربها، فجاء عنهم مجيئاً كالمستمر . وكان أبو العباس (أحمد بن يحى ثعلب) يَذْهَبُ إلى أن إسكان هذه الياء في موضع النصب من أحسن الضرورات ؛ وذلك لأن الألف ساكنة في الأحوال كلها ، فكذلك جُعِلَتْ هذه ، ثم شُبِّهَتْ الواو في ذلك بالياء " [6] .

وأَرَى أن تسكين الياء في قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ لغة ، فقد حكاه أبو زيد عن

(1) آل عمران : الآية (١٠) .

(2) مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ص١٩ ، والبحر المحيط : ٢ / ٤٠٥ .

(3) لسان العرب (غ ن ى) ، والبحر المحيط : ٢ / ٣٨٨ .

(4) البحر المحيط : ٢ / ٤٠٥ .

(5) ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك : محمد عبد العزيز النجار : ١ / ٨٠ .

(6) المحتسب : ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ .

الكِلَابِيِّين [١] كما نسب تسكين أواخر المُعْرَبَات ــ بوجه عام ــ إلى القبائل النجدية ، ومنها تَمِيم ، وأَسَد [٢] .

والمعنى على هاتين القراءتين : إن الذين كفروا بآيات الله ، وكذبوا رسله ، وخالفوا كتابه ، ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه لن تدفع أو تمنع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً ، وهم وَقُود النار ، أي : حَطَبُها الذي تُسْجَرُ به [٣] .

[قَطِرَان]

في قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [٤] . قرأ الجمهور (قَطِرَانٍ) بفتح القاف وكسر الطاء ، وقرأ عمر بن الخطاب ، وعليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنهما ــ (قَطْرَانٍ) بفتح القاف وإسكان الطاء [٥].

القَطِرَانُ : هو ما يُحْلَبُ من شَجَر الأَبْهَل ، فيُطْبَخُ ويُهْنَأُ (تُطْلَى) به الإبل الجَرْبَى ، فيحرق الجَرَب بِحَرِّه وحدته ، وهو أقبل الأشياء اشتعالاً [٦] .

وباستقراء كتب التفسير ، والقراءات ، واللغة نجد أن القراءتين لغتان بمعنى واحد ، قال ابن كَثِير : " القَطِرَانُ : هو الذي تُهْنَأُ به الإبلُ ، أي: تُطْلَى . ويقال فيه : قِطْرَان ، بفتح القاف وكسر الطاء ، وتسكينها ، وبكسر القاف وتسكين الطاء " [٧]. وقال أبو حَيَّان: يقال فيه : قَطْرَان بوزن سَكْرَان ، وقِطْرَان بوزن سِرْحَان [٨] .وقال ابن مَنْظُور: " القَطْرَانُ والقَطِرَانُ :

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ١٦ .

(٢) النشر: ٢ / ٢١٣ ، وإتحاف فضلاء البشر: ١ /٣٩١ ، وهمع الهوامع : ١ / ١٨٧ .

(٣) تفسير ابن كثير : ١ / ٣٤٦ .

(٤) إبراهيم : الآية(٥٠).

(٥) البحر المحيط : ٥ / ٤٢٨ .

(٦) المصدر السابق : ٥ / ٤١٩ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥٠٨ .

(٧) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٥٤٥ .

(٨) البحر المحيط : ٥ / ٤١٩ .

عُصارة الأُهْلِ ، والأَرُزِ ، ونحوهما ، يُطْبَخُ فيَتَحَلَّبُ منه ثم تُمْنَأُ به الإبلُ " [1] .

وقال ابن جني : " وأما القَطِرَانُ ففيه ثلاث لغات : قَطِرَان على فَعِلَان ، وقَطْرَان بفتح القاف وإسكان الطاء ، وقِطْرَان ، بكسر القاف وإسكان الطاء ، والأصل فيها قَطِرَان فأَسْكَنَا على ما يقال في كَلِمَة : كَلْمَة وكِلْمَة ، لغة تَمِيمِيَّة " [2] .

التفسير الصوتي لقراءة التسكين :

قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ (قَطْرَان) بإسكان الطاء ، للتخفيف ، وهو على لغة تَمِيم ــ كما قال ابن جني ــ وكان الحافز على ذلك كراهة الانتقال من الأَخَفّ ، وهو الفتح ، إلى الأثقل ، وهو الكسر ، لذا آثرت تميم تسكين العين في هذا كله ، والسكون أخف من الحركة [3] .

قال سيبويه : " وإنما حملهم على هذا ، أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور ، والمفتوح أَخَفّ عليهم ، فكرهوا أن ينتقلوا من الأَخَفّ إلى الأثقل " [4] .

وقال الرَّضي ــ مُعَلِّلاً لهذه الظاهرة ــ : " وإنما سَكَّنُوا العين ؛ كراهة الانتقال من الأخَفّ ، أي : الفتح إلى الأقل منه ، أي : الكسر في البناء المبني على الخفة ، أي بناء الثلاثي المجرد (فَعِل) نحو : فَخِذ ، وكَبِد فسَكَّنُوهُ ، لأن السكون من الفتح فيكون الانتقال من الفتح إلى أخَفّ منه " [5] .

من هذا التعليل الصوتي نفهم أن أصحاب هذه اللهجة يخففون من الجهد العضلي ، بطَرْح أحد الصوائت ــ وهو الكسر ــ من اللفظ ، لأنه يؤدي إلى الانتقال من حركة إلى حركة أخرى

---

(1) لسان العرب (ق ط ر) ٥ / ٣٦٦٩ .

(2) المحتسب : ١ / ٣٦٧ .

(3) اللهجات العربية في التراث : ١ / ٢٣٨ .

(4) الكتاب : ٤ / ١١٤ .

(5) شرح الشافية ، للرضي : ١ / ٤١ ، ٤٢ .

ليست من جنسها [1] .

وهذا التخفيف يتفق ومنهج القبائل البدوية التي تميل إلى السرعة في النطق ، الذي يؤدي إلى الاقتصاد في الجهد ؛ لأن في خفة الحركة تيسيراً واقتصاداً ، وهو ما يهدف إليه البدوي بعكس الحجازي المتحضر الذي يهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان [2] .

ومعنى الآية : " إن المجرمين ثيابهم وقُمُصُهُمْ التي يلبسونها في النار ستكون من قَطِرَان الإبل الذي تُهْنَأُ به ، وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم [3] .

[غَلَبِهِمْ]

في قوله تعالى : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [4] . قرأ الجمهور(غَلَبِهِمْ) بفتح الغين واللام ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ ، وابن عمر ، ومعاوية بن قُرَّة (غَلْبِهِمْ) بفتح الغين وإسكان اللام [5] .

الغَلْبُ ، بفتح اللام وسكونها : القَهْرُ ، يقال : غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غَلْباً وغَلَباً ، وهي أفصح : قَهَرَهُ . وقالوا : لمن الغَلَبُ والغَلَبَةُ ؟ ولم يقولوا : لِمَنَ الغَلْبُ [6] .

ويرى بعض العلماء أن صيغة (فَعَل) بفتح الفاء والعين لا تفريع فيها ؛ لأن الفتح خفيف فلا داعي للخروج عنه . قال سيبويه : " وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه ، لأن الفتح أخَفّ عليهم من الضم والكسر ، كما أن الألف أخَفّ من الواو والياء ، وذلك نحو : (جَمَلٍ وحَمَلٍ) ونحو ذلك " [7] فلا يقولون : (جَمْلٌ وحَمْلٌ) .

---

(1) اللهجات العربية ،للدكتور عبد محمد الطيب ص ٧٢ ، ولهجة ربيعة ص١١٣ .

(2) اللهجات العربية في التراث : ١ / ٢٤٤ ــ ٢٤٦ .

(3) جامع البيان عن تأويل مشكل القرآن ، للطبري : ١٣ / ٢٥٦ .

(4) الروم : الآيات (١) ، (٢) ، (٣) .

(5) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٦ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٥٧ .

(6) لسان العرب (غ ل ب) ٤ / ٣٢٧٨ ، ٣٢٧٩ .

(7) الكتاب : ٤ / ١١٥ .

ويرى آخرون أن التخفيف يكون في المفتوح ، كما يكون في المضموم والمكسور ، لأن الفتح وإن كان خفيفاً فإن السكون أَخَفّ منه [1].

أما ابن جني فقد وافق سيبويه في عدم جواز تخفيف المفتوح مرة ، وأجاز ذلك مرة ثانية قال : " وتسكين الفتحة لا يجوز ، لأن المفتوح لا يُخَفَّف ، وإنما ذلك في المكسور والمضموم ، كإبِلٍ وفَخِذٍ ، وطُنُبٍ وعَضُدٍ ، وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذ لا يقاس عليه ، نحو قوله :

وَمَا كُلُّ مُبْتَاعٍ وَلَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ بِرَاجِعِ مَا قَدْ فَاتَهُ بِرَدَادِ [2].

يريد : (سَلَفَ) فأسكن مضطراً . قال : والأولى أن يكون مُسَكَّناً من (سَلِف) بكسر اللام ، ويكون لغة ، ولكن استغنى عنها بالمفتوحة ، فلما سَكَّنَ استعمل المكسورة ، وسبب ذلك أن الفتحة خفيفة فلا تُسَكَّن ، فكذلك أقول في (شَجَر) .ويُحْتَمَل أن يكون سَكَّن المفتوح لأن السكون أخف من الفتحة على كل حال " [3] .

وقال في موضع آخر : " وينبغي أن يكون هذا الساكن لغة في المتحرك ، كالحَلْبِ والحَلَبِ ، والطَّرْدِ والطَّرَدِ ... وقد دللنا في (الخصائص) على تقاود الفتح والسكون ، ولأنهما يكادان يجريان مجرى واحداً في عدة أماكن " [4] .

فما ذكره ابن جني ــ فيما سبق ــ يدل على أنه لم يلتزم قولاً بعينه في تسكين المفتوح ، فبينما نراه يمنعه تارة ــ تبعاً لسيبويه ــ ويَعُدُّ ما وَرَدَ منه في فصيح الشعر من قبيل الشذوذ ، نَرَاهُ يُجيزُهُ تارة أخرى .

ولئن سلمنا بشذوذ ما قاله ابن جني في ذلك ، فهو ــ في رأينا ــ شاذ عن القاعدة التي

---

(١) قراءة يحيى بن يعمر في ضوء علم اللغة المعاصر ، للدكتور عبد الهادي السلمون ص ٦٦ .

(٢) البيت من الطويل ، وقائله الأخطل وهو في ديوانه ص ٨٤ ، والمنصف ، لابن جني : ١ /٢١ ، وشرح شواهد الشافية ص ١٨ / ٢١ .

(٣) المحتسب : ١ / ٥٣ ، والمنصف : ١ / ٢١ .

(٤) المحتسب : ١ / ٥٤ ، وينظر : الخصائص : ٢ / ١٠٨ ، ١١٣ ، وشرح الشافية ، للرضي : ١ / ٤١ / ٤٢ .

قال بها ، لا عن الواقع اللغوي الوثيق المطرد ، وإن جاز أن تكون أمثلة المفتوح المسكن أقل نسبياً من المضموم والمكسور منهما [١] .

وأَرَى بعد هذا العَرْض أن التسكين ــ هنا ــ لغة في المفتوح . قال القرطبي : " هما لغتان ، مثل الظَّعْن والظَّعَن " [٢] . وهذا التسكين من خصائص القبائل البدوية كتميم ، وربيعة ، وعامة قَيْس . وربما آثر الإمام عليّ ــ رضي الله عنه ــ اختيار قراءة التسكين ــ هنا ــ تجنباً لتوالي ثلاثة مقاطع متحركة بالفتح والثابت أن معظم اللهجات العربية تنفر من توالي المقاطع المتحركة [٣] .

والمعنى العام من هذه الآيات : أن الله ــ تعالى ــ لما أخبر أن فارس كانت قد غلبت الروم وقهرهم في أرض الشام بين أَذْرِعَات وبصرى ، ذكر أن الروم سَيَغْلِبُوْن فارس بعد تسع سنين [٤] . وهذه الآيات تدل على أن القرآن من عند الله ، لأنه أنبأ بما سيكون .

تعقيب :

تلك هي بعض أوجه التخفيف التي جاءت في قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ ويمكن أن نستخلص منها ما يلي :

١ ــ مَيْلُ القبائل البدوية للتقصير في الصِّيَغ ، وهذا يتناسب مع طابعها الذي يتميز بالاستعجال والسرعة ، وبالتالي إلى حذف بعض الأصوات للانتهاء من الكلمة والانتقال إلى أخرى ، ويلاحظ هذا في حياتهم الاجتماعية التي لا تعرف الاستقرار في مكان واحد ، بل هم ــ دائماً ــ في ترحال وتنقل أكسبهم طابع السرعة والاستعجال .

٢ ــ أن البيئات المتحضرة تحتفظ بالصيغ دون حذف أو تغيير ، فالصيغ عندهم ثابتة ، وهم يهدفون إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان .

---

(١) فلسفة ابن جني اللغوية في بعض القراءات الشاذة ، للدكتور حسن فرغلي ص ٣١٠ ، وقراءة أبي السمال له أيضاً ص ١٥٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٦٢ .

(٣) في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٦١ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٢٦ .

٣ ــ أن هذا الحذف للحركة تارة ، واكتمالها تارة أخرى نراه ــ أيضاً ــ في اللغات السامية ، كما رأيناه في لهجات العربية • ففي الأكادية (uznu) بالحذف ، وفي العبرية (ozen) باكتمال الحركة [١] •وفي الوقت نفسه نجدها في العربية (أذن) باكتمال الحركة تارة ، وبحذفها تارة أخرى ، وذلك في قراءة نافع : (وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ) [٢] ونافع حجازي (مدني) وقد خالف بيئته التي لا تسكن في مثل هذا الحرف [٣] ، وكذا فعل الإمام عليّ ــ رضي الله عنه ــ في بعض القراءات التي ذكرت فيما سبق •

(١) تاريخ اللغات السامية ، لولفنسن (أبو ذئيب) ص ٢٨٣ •

(٢) المائدة : من الآية (٤٥) ، وينظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ص ٢٤٤ ، والتبصرة لمكي بن أبي طالب ص ١٨٧ •

(٣) اللهجات العربية في التراث : ١ / ٢٥١ •

المبحث الثالث

الفك والإدغام

من الظواهر الصوتية التي تُمَيِّزُ بين اللهجات الخاصة واللغة المشتركة ، والتي وردت في القراءات القرآنية ظاهرة الفك والإدغام ، ولا تكون هذه الظاهرة إلا في الأصوات الصامتة .

ومعنى الفك في اللغة : إزالة الارتباط بين أمرين ، من قولهم : فككت الشيء : خلصته ، وكل مشتبكين فصلتهما فقد فككتهما [1] .

وفي الاصطلاح : إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في المظهر [2] .

أما الإدغام فمعناه في اللغة : إدخال شيء في شيء ، فمعنى أدغمت الحرف في الحرف : أدخلته فيه .

وفي الاصطلاح عرفه ابن يعيش بقوله : " أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف ، فيصيران ، لشدة اتصالهما كحرف واحد ، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة ، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل " [3] .

وعرفه ابن الجزري بقوله: " هو اللفظ بحرفين كالثاني مشدداً " [4].

وهناك تعريفات أخرى للإدغام متقاربة تدل على أن الإدغام ما هو إلا النطق بالحرفين حرفاً واحداً بحيث لو نطق بالحرفين منفردين فلا يسمى إدغاماً .

وظاهرة الإدغام هي ظاهرة التقريب بين الأصوات عند ابن جني ، وفي ذلك يقول : " قد

---

(١) الصحاح : ٤ / ١٦٠٣ ، ولسان العرب ٥ / ٣٤٥١ (ف ك ك) .

(٢) نهاية القول المفيد ، لمحمد مكي نصر ص ١٥٧ .

(٣) شرح المفصل : ١٠ / ١٢١ .

(٤) النشر في القراءات العشر : ١ / ٢٧٤ .

ثبت أن الإدغام المألوف ــ المعتاد ــ إنما هو تقريب صوت من صوت "

ويطلق عليه المعاصرون من علماء اللغات المماثلة [٢] وفي هذه المماثلة أو التقريب ــ كما يراه ابن جني ــ يحدث التشابه بين الأصوات من ناحية المخرج أو الصفة ، لأن التماثل أو التقارب لابد أن يشتمل على جهتين : جهة المخرج ، وجهة الصفة ، والإدغام لا يحدث إلا بهذا [٣] .

والنحويون لا يتصورون الإدغام على أنه فناء للصوت الأول في الصوت الثاني ، بل يجعلونهما لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة ، ومثل هذا التعبير وارد في كلام سيبويه حيث قال : " باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه " [٤] .

فاللغويون يجعلون الإدغام شاملاً لقلب الصوت إلى نظيره لإدخاله فيه ... على حين يقصره النحويون على مجرد النطق بمثلين : ساكن فمتحرك . فعملية القلب منفصلة عن عملية الإدغام عندهم [٥] .

أما الهدف المقصود من وراء هذه الظاهرة فهو التخفيف النطقي ، واقتصاد الجهد العضلي المبذول من اللسان جراء نطقه بحركات متماثلة متتالية ، لذا يلجأ اللسان إلى دمج هذه الحركات المتماثلة ، ويُكَوِّنُ حركة واحدة .

ومما جاء من قراءات تحقق فيها الفك (الإظهار) عند الأمام عليّ ــ رضي الله عنه ــ والإدغام عند غيره :

[المطَّهِّرِينَ]

في قوله تعالى : ﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ

(١) الخصائص : ٢ /١٣٩ .

(٢) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ، للدكتور أحمد مختار عمر ص٣٣٢ .

(٣) اللهجات العربية في التراث : ١ / ٤٩١ .

(٤) الكتاب : ٤ / ٤٣٧ .

(٥) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص ١٢٣ .

تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (١) . قرأ الجمهور (الْمُطَّهِّرِينَ) بضم الميم وتشديد الطاء مفتوحة ، وقرأ عليٌّ بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ (الْمُتَطَهِّرِينَ) بضم الميم وفتح التاء والطاء (٢) .

التَّطَهُّرُ : الاستنجاءُ بالماء ، والتَّطَهُّرُ ـــ أيضاً ـــ التَّنَزُّهُ والكف عن الإثم ومالا يَجْمُلُ (٣) .

وقراءة الجمهور (الْمُطَّهِّرِينَ) بالإدغام ، من(اطَّهَّرَ) والأصل : تَطَهَّرَ ، تجاورت التاء والطاء ، وهما صوتان متجانسان ، وأحدهما مجهور والآخر مهموس ، فأدغمت التاء في الطاء واجتلبت ألف الوصل .

والتَّمِيمِيُّون ـــ غالباً ـــ هم الذين يذهبون إلى الإدغام ؛ طلباً للتخفيف (٤) ، بالإضافة إلى ما في ذلك من الانسجام الذي يخفف عبء النطق (٥) .

وأما قراءة عليٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ (الْمُتَطَهِّرِينَ) بالفك (أي : الإظهار) فجاءت على الأصل ؛ لأن الإظهار أصل ، والإدغام داخل لعلة . وقد سَمَّي سيبويه الإظهار اللغة القديمة ، حيث قال : " ودعاهم سكون الآخر في المِثْلَيْن أن بَيَّنَ أهل الحجاز في الجَزْم فقالوا : أُرْدُدْ ولا تَرْدُدْ . وهي اللغة العربية القديمة الجيدة " (٦) .

ويرى سيبويه أن الإدغام في هذا أقوى ، فقد قال : " ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد... قولهم : (يَطَّوَّعُونَ) في(يَتَطَوَّعُونَ) ... والإدغام في هذا أقوى ... والبيان فيهما عربي حسن ؛ لأنهما متحركان ... وتصديق الإدغام قوله تعالى : " يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى "(٧)(٨).

---

(١) التوبة : الآية (١٠٨) .

(٢) البحر المحيط : ٥ / ١٠٣ .

(٣) لسان العرب (ط هـــ ر) ٤ / ٢٧١٣،٢٧١٢ .

(٤) الخصائص ، لابن جني : ٢ / ١٤١ .

(٥) اللهجات العربية في شرح شعلة علي الشاطبية ، للدكتور سيد أحمد علي الصاوي ص ١٦٥ .

(٦) الكتاب : ٤ / ٤٧٣ .

(٧) الأعراف : من الآية (١٣١) .

(٨) الكتاب ٤ / ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

وإنما كان الإدغام أقوى — في رأي سيبويه — ؛ لأن القبائل البدوية التي تجنح إلى الإدغام يصعب عليها الانتقال من مُرقّق إلى مُطْبَق ، فآثرت المُطْبَق ؛ لما فيه من وضوح في السمع ، ومَزَجَتْ فيه الصوت المُرَقَّق (١) .

وتلتقي قراءة الإمام عليّ — رضي الله عنه — مع قراءة الجمهور في المعنى . فمعناهما : أن الله — عز وجل — أثنى على من أحب الطهارة وآثر النظافة ، وهي مروءة آدمية ووظيفة شرعية ، وذلك بأن أحبهم وأحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (٢) .

والآية نزلت في الأنصار ، وكانوا إذا أَحْدَثُوا أَتْبَعُوا الحجارة بالماء ، فأثنى الله — تعالى — عليهم بذلك .

[لِيَدَّبَّرُوا]

في قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) قرأ الجمهور (لِيَدَّبَّرُوا) بياء الغيبة وشد الدال ، وقرأ عليٌّ — رضي الله عنه — (لِيَتَدَبَّرُوا) بالإظهار (٤) .

التَّدَبُّرُ في الأمر: التفكر فيه . يقال : تَدَبَّرَ الأمرَ تَدبُّراً : نَظَرَ في عاقبته وآخره (٥) .

وقد جاءت قراءة الجمهور (لِيَدَّبَّرُوا) بالإدغام ، والأصل : (لِيَتَدَبَّرُوا) حيث تجاورت التاء والدال ، وهما من مخرج واحد (أسنانيان لثويان) إلا أن الدال صوت مجهور، والتاء صوت مهموس ، فتأثر المهموس بالمجهور — وهو تأثر رجعي — وتَحَوَّلَ إليه ؛ لقوة المجهور ، ثم أدغم فقرئ (لِيَدَّبَّرُوا) .

وأما قراءة عليٍّ — رضي الله عنه — (لِيَتَدَبَّرُوا) فقد جاء على الأصل، وهو الإظهار،

---

(١) اللهجات في الكتاب ، لصالحة راشد غنيم ص ٢٠١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣١٨٧ ، والبحر المحيط : ٥ / ١٠٣ .

(٣) ص : الآية (٢٩) .

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٠، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٨٣٤ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٧٩ .

(٥) لسان العرب :٢ / ١٣٢١ ، والمصباح المنير : ١ / ١٨٩ ، والقاموس المحيط ص ٤٩٩ (د ب ر) .

ومعنى القراءتين واحد ، وهو أن الله ــ عز وجل ــ أنزل القرآن على محمد (صلى الله عليه وسلم) ليتفكر أصحاب العقول في آياته ويتأملوا فيها تأملاً يفضي إلى النظر في عواقبها فيتبعوها ولا يتعدوا عنها [1] .

تعقيب :

لقد آثر الإمام عليّ ــ رضي الله عنه ــ الفك (الإظهار) على الإدغام في القراءتين السابقتين ، وهذا يتفق ونهج البيئة التي نشأ فيها ، وهي بيئة الحجاز ، حيث تَتَّسِم لهجة الحجاز بوضوح الأصوات ، وتَمْيِيز الحروف بعضها من بعض ، وإعطائها حقها من المخارج والصفات غير مَشُوبَة بغيرها [2] ، فقبائل هذه البيئة أكسبها الاستقرار المعيشي تُؤَدَة في النطق وأَنَاة تُعْطِي كل صوت حقه من الأداء [3] ، على حين تميل القبائل الأخرى ، وخاصة تلك التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها كتميم ، وأَسَد ، وغَنِيّ ، وعبد القَيْس ، وبكر بن وئل ، وكَعْب، ونُمَيْر [4] ، ومعظمها قبائل بادية ، إلى مَزْج الأصوات وتقريب بعضها من بعض ، مما يؤدي إلى التخفيف والسرعة في الكلام .

هذا ، وقد ظن بعض الباحثين أن الإدغام هو النمط اللغوي الأمثل ؛ لسعة انتشاره وكثرته في العربية وشيوعه في القرآن [5] . ولكن من يتتبع مقارنة اللغويين بين الإظهار والإدغام ، من حيث الفصاحة ، يجد الإظهار ــ عندهم ــ آثر جداً بالفصاحة من الإدغام . وما أكثر ما ترَى سيبويه يُرَدِّدُ عبارات كهذه : " والبيانُ فيها أَحْسَن " [6] ، و " البيان فيها أَمْثَل " [7] ، و" البيان

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٨٣٣ ، ٥٨٣٤ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٧٩ .

(2) لغة قريش ص ١٠٢ .

(3) اللهجات في الكتاب ص ٢٠٣ .

(4) في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٧٣ .

(5) اللهجات العربية في التراث : ١ : ٣١٣ .

(6) الكتاب : ٤ / ٤٦٢ .

(7) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

عربي جَيّد " (١) ، وهو يتكلم عن إدغام المتقاربين والمتجانسين . وقد وَضَعَ لفصاحة الإظهار والإدغام معياراً ، فقال : " فالإظهار في الحروف التي من مخرج واحد وليست بأمثال سواء ، أحسن ؛ لأنها قد اختلفت ، وهو في المختلفة المخارج أحسن ؛ لأنها أشد تباعداً ، وكذلك الإظهار كلما تباعدت المخارج ازداد حسناً " (٢) .

ورَأْيُ سيبويه في الإدغام هو رَأْيُ أكثر اللغويين والقراء ، ولاسِيَّمَا الإدغام الكبير ، الذي تَفَرَّدَ به أبو عمرو ، فقد أهمله جمع كبير من علماء القراءات في كتبهم ؛ لأنهم لا يستجيزون منه إلا ما كان واجباً (٣) . وعَلَّلُوا كراهيته بأنه يَلْبِس على الناس وجه الإعراب وقد يوهم خلاف المقصود (٤) .

وفَضَّلَ بعضهم الإظهار في قراءة القرآن الكريم خاصة ، مع أنه يُجيزُ الإدغام ، لأن القرآن " بُنِيَ على التَّرَسُّلِ والترتيلِ وإشباع الكلام " (٥) . وكان بعض القراء يكره الإدغام في الصلاة ، كحمزة الزيات (٦) .

والإدغام الجائز في القرآن ليس بالكثرة التي ظنها بعضهم ، فأكثر ما فيه منه من قبيل الإدغام الصغير ، وهو ينحصر في كلمات قليلة وحروف معدودة (٧) .

وأخيراً أرَى أن الإظهار هو الحكم السائد في القرآن وقراءاته ، وهو الاستعمال الفصيح الذي يفضله القراء واللغويون .

---

(١) الكتاب : ٤ / ٤٦٦ .

(٢) السابق : ٤ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٣) النشر : ٢ / ٢٧٥ ، وإبراز المعاني ، لأبي شامة ص ٦١ .

(٤) إبراز المعاني ص ٦١ .

(٥) معاني القرآن ، للفراء : ١ / ٤٤١ .

(٦) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : ١ / ١٢٦ .

(٧) لغة قريش ص ١١٥ .

الفصل الثالث

المستوى الصرفي ودلالته

تمهيد :

إذا كان الحديث فيما سبق عن العناصر الصغرى التي تتكون منها اللغة ، وهي الأصوات، فإن الحديث في هذا المستوى يتناول عناصر أكبر منها ، وهي الصيغ والأبنية ، وعلاقاتها التصريفية والاشتقاقية .

وعن العلاقة بين المستوى الصوتي والصرفي يقول أحد الباحثين المحدثين : " الحق أنه لا يزال هناك اختلاط كبير بين منهج الدرس الصوتي وبين الصرف . فإذا كانت دراسة الأصوات تختص في العناصر الأولى البسيطة التي تتكون منها اللغة . فإن كثيراً من الموضوعات التي يدور حولها الصرف إنما تبنى على قوانين صوتية مرجعها ذلك التأثر المتبادل بين الحروف حين تتألف ويتصل بعضها ببعض " [(١)] .

ويُعَدُّ " التوجيه والتعليل الصرفي حَلَقَة وُسْطَى بين دراسة الأصوات التي تتكون منها الكلمات أو الصيغ الصرفية ، ودراسة التراكيب التي تنتظم فيها الكلمات " [(٢)] .

وللأبنية اللغوية في العربية فلسفتها الخاصة التي لم تتوفر لأية لغة من لغات العالم ، فهي تستجيب للاستفهام ، وتجيب السائل عنه . وذلك عن أصالة وإبداع في تكوينها . فكل أصل لغوي معلل بعلة ، لا أنه سِيقَ اعتباطاً. أو بلا أهداف يَرْمِي إليها [(٣)] .

والصِّيغ الصرفية ــ بوصفها قوالب للألفاظ ــ وسيلة التوليد والارتجال في اللغة ؛ لأن كل صيغة منها تدل على معنى ، ولا تختلف دلالات الكلمات باختلاف قوالب صيغها فَحَسْب . بل إن ثَمَّةَ صيغاً لكلمات تختلف دلالتها باختلاف حركة أحد حروفها فقط ، كما في صيغتي (مَفْعَل) و (مِفْعَل) بفتح الميم وكسرها . فالدلالة الصرفية تستمد من طريق الصيغ بأوزانها وحركاتها .

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٥٩ .

(٢) أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، للدكتور كريم زكي حسام الدين ص ١٨٣ .

(٣) أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي ص ٨ .

والمجال الصرفي ـ لاشك ـ يحتاج إليه المشتغلون بالعربية ؛ لأنه الطريق الذي يتوصل به إلى تطويرها ، ومواكبتها لجميع تطورات العصور الحالية والمستقبلة ، كما أنه لا يتوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به [1] .

وفي قراءة الإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ عدد من الأبنية والصيغ اختلفت فيها هذه القراءة عن غيرها من قراءات قرآنية أخرى في الكلمة الواحدة ، سواء أكان بطول البنية أم بقصرها في الأسماء أو الأفعال ، وقد يكون مرجع هذا الاختلاف اختلاف اللهجات العربية في بنية بعض الألفاظ عن طريق اختلاف الحركة ، أو الزيادة ، أو النقصان في البنية بحثاً عن الخفة في النطق والاستعمال [2] " فاللغة العربية تتصرف ـ أحياناً ـ في أبنيتها تصرفاً يخرجها عن نطاق القواعد المبنية عليها ، إذا ترتب على الموافقة العامة ما يتعارض والخفة المطلوبة في النطق والاستعمال " [3] .

وسأذكر ـ فيما يلي ـ ما ورد من قراءات فيها اختلاف في الصيغ الصرفية بين قراءة الجمهور وقراءة علي ـ رضي الله عنه ـ محاولاً بيان الفروق الدلالية بين هذه الصيغ .

---

(1) ينظر: الخصائص ، لابن جني :٢ /١٥٣ ، والمزهر ، للسيوطي : ١ / ٣٨٤ ، وأصول الكلمات ، للدكتور محمد يعقوب تركستاني ص ٦٠ .

(2) قراءة شيبة بن نصاح دراسة في ضوء علم اللغة المعاصر ، للدكتور سيد أحمد علي الصاوي ص ١٥٤ .

(3) أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي ص ٢٤ .

المبحث الأول

الأبنيـــة

أولاً : أبنية الأفعال ودلالتها :

١ ـ فَعَلَ . و فَعِلَ :

[هَوَى . وهَوِى]

في قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (تَهْوِي) بفتح التاء وكسر الواو وسكون الهاء . وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة (تَهْوَى) بفتح التاء والواو وسكون الهاء (٢) .

الهَوَى ، مقصور مصدر (هَوِيتُه) من باب تَعِبَ إذا أَحْبَبْتُه وعَلِقْتَ . ثم أُطْلِقَ على مَيْل النفس وانحرافها نحو الشيء . وقال اللغويون : الهَوَى : محبة الإنسان الشيء وغَلَبَتُهُ على قلبه . يقال : هَوِيَ يَهْوَى هَوًى . أي : أَحَبَّ . ويقال : هَوَى يَهْوِي هُوِيّاً . إذا هَبَطَ (٣) .

قراءة الجمهور (تَهْوِي إِلَيْهِمْ) بكسر الواو ، مضارع (هَوَى) بفتحها ، تحتمل أربعة معان :

الأول : تميل إليهم ، أي تحبهم ، فهذا في المعنى كقولهم : فلان يَنْحُطُّ في هواك ، أي يُخْلِدُ إليه ويُقِيمُ عليه (٤) .

---

(١) إبراهيم : الآية (٣٧) .

(٢) المحتسب : ١ / ٣٦٤ ، والبحر المحيط : ٥ / ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٣) تهذيب اللغة ، ولسان العرب ، والمصباح المنير (هـ و ا) .

(٤) المحتسب : ١ / ٣٦٤ .

والثاني : تُسْرِع إليهم وتطير نحوهم شَوْقاً [١] .

والثالث : قال ابن عباس ومجاهد : (تَهْوِي إِلَيْهِمْ) : أي : تَحِنُّ إليهم [٢].

والرابع : قال الفَرَّاءُ : معنى (تَهْوِي إِلَيْهِمْ) : تُرِيدُهُم ، كقولك : رأيتُ فلاناً يَهْوِي نَحْوَكَ ، أي يُرِيدُكَ [٣] .

وبالنظر في هذه المعاني نجد أنها متقاربة ، والمراد من ذلك : اجْعَلْ قلوبَ جماعة من الناس تحبهم وتميل وتنزع إليهم وتطير نحوهم شوقاً ؛ لأنها تريدهم وتَحِنُّ إليهم .

وأما قراءة عليٍّ – رضي الله عنه – (تَهْوَى إِلَيْهِمْ) مضارع (هَوِيَ) فمعناها : تَهْوَاهُمْ وتَمِيلُ إليهم وتُحِبُّهم فهي من هَوِيتُ الشيءَ إذا أَحْبَبْتَهُ ، وعدى الفعل بإلى حملاً على المعنى، وهو تَمِيلُ وتَنْزِعُ إليهم [٤] .

وعلى هذا ، فالقراءتان بمعنى واحد، وقد اختار الزَّجَّاج القراءة الأولى [٥] .

٢ - فعل . وأفعل :

من المعلوم لدى علماء العربية أن لكل صيغة معنى ، ولكن قد تأتي صيغتان بمعنى واحد عند قبيلتين من العرب ، ومن ذلك صيغتا : (فَعَل) . و(أَفْعَل) .

قال سيبويه : " وقد يجيء فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ ، المعنى فيهما واحد ، إلا أن اللغتين اختلفتا ، زعم ذلك الخليل ، فيجيء به قوم على فَعَلْتُ ، ويُلْحِقُ قوم فيه الألف فيَبْنُونَهُ

---

(١) البحر المحيط : ٥ / ٤٢١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٧١١ .

(٣) معاني القرآن : ٢ / ٧٨ .

(٤) معاني القرآن: ٢ / ٧٨ ، والمحتسب : ١ / ٣٦٤، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٦٥ ، وإعراب القراءات الشواذ : ٣ / ٣٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٧١١ ، والبحر المحيط : ٥ / ٤٢٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٦٥ .

على أَفْعَلْتُ "[1] .

وقد أكد ابن دُرُسْتَوَيْه كلام سيبويه فقال : " ولا يكون (فَعَلَ) و(أَفْعَلَ) بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ؛ فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما يظن كثير من النحويين واللغويين "[2] .

وذكر ابن منظور أن (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) كثيراً ما يَعْتَقِبَان على المعنى الواحد، نحو : حَدَّ وأَحَدَّ، وصَدَدْتُهُ عن كذا وأَصْدَدْتُه ، وقَصَرَ عن الشيء وأَقْصَرَ "[3] .

ويكاد اللغويون يتفقون على أن (فَعَلَ) إذا استعمل (أَفْعَلَ) بمعناه فالأول حجازي والثاني لتميم وقيس ورَبِيعة أو لإحداهم[4] . هذا هو الغالب وربما ورد عكسه قليلاً ، يستعمل الحجازيون المزيد ويستعمل غيرهم المجرد .

ولعل سبب ذلك أن لغة قريش حافظت على الصيغة المجردة من الفعل أكثر من اللهجات الأخرى . التي تطورت فيها إلى الصيغة المزيدة[5] . كما أن بدء الفعل عند تميم بمقطع مغلق قصير متسق مع نهجها في بدء الكلمة بهذا النوع من المقاطع .

وهذا الوزن الذي مالت إليه تميم (أَفْعَلَ) ليس خاصاً بالعربية دون أخواتها الساميات . فهو في الحَبَشِيَّة والآرَامِيّة والعِبْرِيّة ، كما أن هذا الوزن يوجد في اللغات العربية الجنوبية، ولكن باستبدال الهاء بالهمزة في السَّبَئِيَّة، والسين في بقية اللغات(وهي المعينية ، والحضرمية، والقتبانية، والأوسانية). فيقال مثلاً : (هَحْدَثَ) في السَّبَئِيَّة ، و (سَحْدَثَ)

---

(1) الكتاب : ٤ / ٦١ .

(2) تصحيح الفصيح وشرحه ص ٧٠ .

(3) لسان العرب (ك س ا) ٥ / ٣٨٧٩ .

(4) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٩٤ ، والصحاح ، وتاج العروس (ف ت ن) ، واللهجات العربية نشأة وتطورا ص ٢٨٤ .

(5) لغة قريش ص ٢٨١ .

في غيرها [١] .

والصيغة المجردة (فَعَلَ) هي المفضلة عند اللغويين ، فقد عد ابن خَالَويه استعمال المزيد مع وجود المجرد غير جائز ، حيث قال : " إذا جاء المتعدي من الثلاثي فلا يجوز المجيء به من غيره بتعديته بالهمزة أو التضعيف " [٢] وفي (المزْهر) : " وحيث كان للمعنى الواحد كلمتان : ثلاثية ورباعية ولا مرجح لإحداهما على الأخرى ، كان العدول إلى الرباعية عدولاً عن الأفصح ، ولم يوجد في القرآن الكريم " [٣] .

وفي الحق أن القرآن يجيء فيه المجُرَّد والمزيد معاً ، نحو: سَرَى وأَسْرَى ، ودَبَرَ وأَدْبَرَ، ولعل هذا الرأي ينظر إلى أن الثلاثي أَوْجز من الرباعي ، والإيجاز مفضل على الإطناب إذا استويا في المعنى . بَيْدَ أن هذا حُكْم بلاغيّ ، والفصاحة اللغوية مقياسها الاستعمال [٤] .

وفيما يلي ما ذكرت المصادر من قراءات لـ (عليّ بن أبي طالب) خالف فيها قراءة الجمهور، وبيانها كالتالي:

[سبت . وأسبت]

في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [٥] . قرأ الجمهور (يَسْبِتُونَ) بفتح ياء المضارعة، من(سَبَتَ) ، وقرأ عليٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ (يُسْبِتُونَ) بضم ياء المضارعة ، من (أَسْبَتَ) [٦] .

السَّبْتُ : هو اليوم المعروف ، ومن معانيه الرَّاحَةُ ، والقَطْع ، يقال : سَبَتَت اليهودُ ، إذا

---

(١) لغة تميم ص ٣٨٠ ، وتاريخ العرب قبل الإسلام . للدكتور جواد علي : ٧ / ٩٢ .

(٢) ليس في كلام العرب ص ١٥ (المقدمة) .

(٣) المزهر ، للسيوطي : ١ / ٢٠٠ .

(٤) لغة قريش ص ٢٨٢ .

(٥) الأعراف : الآية (١٦٣) .

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص ٤٧ ، والبحر المحيط : ٤ / ٤٠٨ .

عَظَّمتْ سَبْتَهَا ، بترك الصيد ، والانقطاع عن المعيشة والاكتساب ، والاشتغال بالتعبد [1] .

وقراءة الإمام عليّ — رضي الله عنه — (يُسْبِتُونَ) جاءت على بناء (أَسْبَتَ) على وزن (أَفْعَلَ) ، على حين جاءت قراءة الجمهور (يَسْبِتُونَ) على بناء (سَبَتَ) على وزن (فَعَلَ) .

وبالرجوع إلى كتب التصريف نجد أن العلماء قد ذكروا لصيغة (أَفْعَلَ) معاني عدة لأصل معنى الفعل ، منها : الدخول في شيء مكاناً أو زماناً ، كأَشْأَمَ وأَعْرَقَ . وأَصْبَحَ ، وأَمْسَى . أي دَخَلَ في الشام ، والعراق ، والصباح ، والمساء [2] .

وعلى هذا فمعنى قراءة عليّ — رضي الله عنه — (لَا يُسْبِتُونَ) : لا يدخلون في السَّبْتِ . يقال : أَسْبَتَ الرجلُ ، إذا دَخَلَ في السبتِ ، أي : أنهم يوم لا يدخلون في التعبد في هذا اليوم ولا يتركون الصيد لا تأتيهم حيتان البحر مطلقاً ، وقيل : لا تأتي ظاهرة على وجه الماء وأن ما أتى منها يكون قليلاً يَتْعَبُ بِصَيْدِهِ [3] .

وأما قراءة الجمهور (لَا يَسْبِتُونَ) فمعناها : لا يُعَظِّمُونَ السبتَ بالاشتغال بالتعبد وترك الصيد [4] .

ويرى بعض اللغويين أن (أَسْبَتَ) لغة في (سَبَتَ) [5] وعلى هذا فالقراءتان بمعنى واحد والمعنى : أن اليهود يَعْتَدُونَ في يوم السبت ويخالفون أمر الله فيه بالوَصَاة به إذ ذاك إذ تأتيهم حيتانهم يوم سَبْتِهِم ظاهرة على الماء ، وقيل : من كل مكان وتختفي عنهم في اليوم الحلال لهم صَيْده [6] .

---

(1) لسان العرب ، والمصباح المنير ، والقاموس المحيط (س ب ت) .

(2) شذا العرف في فن الصرف ، للشيخ أحمد الحملاوي ص ٣٩ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٨٣٣ ، ٢٨٣٤ ، والبحر المحيط : ٤ / ٢٠٨ ، ٤٠٩ .

(4) البحر المحيط : ٤ / ٤٠٨ .

(5) الفيومي ، المصباح المنير (س ب ت) ١ / ٢٦٢ .

(6) تفسير ابن كثير : ٢ / ٢٥٧ .

[مدّ ، وأمدّ]

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ (١) قرأ الجمهور (نَمُدُّ) بفتح النون وضم الميم من الفعل (مَدَّ) ، وقرأ عليٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (نُمِدُّ) بضم النون وكسر الميم من الفعل (أَمَدَّ) (٢) .

المَدُّ : الإمهال . يقال : مَدَّهُ في الغَيِّ والضلال يَمُدُّهُ مَداً ، ومَدَّ لَهُ : أَمْهَلَهُ وطَوَّلَ لَهُ . ومَدَّهُ غَيْرُهُ مَداً : زَادَهُ (٣) .

وقراءة الجمهور تحتمل وجهين :

الأول : أن تكون بمعنى : نُطَوِّلُ له من العذاب الذي يُعذب به المستهزئون وتُملي له ونُمْهِلُه .

والثاني : أن تكون بمعنى : نَزِيدُه عذاباً فوق عذاب. ونُضاعف له المَدَد (٤) .

وأما قراءة عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ فإنها تغاير قراءة الجمهور في البِنْيَة ، وتتفق معهما في المعنى . قال أبو حيان : " يقال : مَدَّهُ وأَمَدَّهُ بمعنى " (٥) فربما جاء المهموز أَفْعَلَ كأصله (فَعَلَ) (٦) صاحب اللسان (أَمَدَّ) لغة قليلة في (مَدَّ) . قال : " وأَمَدَّهُ في الغَيِّ لغة قليلة (٧) .

وهذه الآية نزلت في العَاصِ بن وائل ، وهي رَدٌّ عليه بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيحفظ عليه قوله وحكمه لنفسه بما يتمناه ، وكفره بالله العظيم ، فيُجازيه به في الآخرة وسيزيده عذاباً فوق عذاب (٨) .

---

(١) مريم : الآية (٧٩) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٨٦ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٠١ .

(٣) لسان العرب : ٦ / ٤٢٥٦ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥٦٦ ، والقاموس المحيط ص ٤٠٦ (م د د) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٣١٩ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٠١ .

(٥) البحر المحيط : ٦ / ٢٠١ .

(٦) شذا العرف ص ٤٠ .

(٧) ابن منظور ، لسان العرب (م د د) ٦ / ٤٢٥٧ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٣١٩ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ١٣٦ .

[دَخَلَ ، وأَدْخَلَ]

في قوله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (١) . قرأ الجمهور (أَدْخِلُوا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الخاء . وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ (ادْخُلُوا) بوصل الهمزة مضمومة وضم الخاء (٢) ، والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ نافع وحمزة والكسائي وحَفْص (أَدْخِلُوا) بقطع الهمزة المفتوحة ، وكسر الخاء، وقرأ ابن عامر وابن كَثير وعاصم وأبو عمرو بوصل همزة (ادْخُلُوا) وضم الخاء (٣) .

قراءة الجمهور (أَدْخِلُوا) أمْرٌ من (أَدْخَلَ) رُباعياً ، وهي قراءة أهل الحجاز كما قال الفَرَّاء (٤) ، ومعناها : أنه إذا كان يوم القيامة قال الله ــ تعالى ــ للملائكة ــ على جهة الأمر ــ أَدْخِلُوا آلَ فرعون أشد العذابِ ، وهو الهاوية ، أي يأمرهم أن يُدْخِلوهُمْ (٥) .

وحجة من قرأ بذلك أن الكلام أتى عَقِيب الفعل الواقع بهم . وهو قوله : " النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا " فهم حينئذ مَفْعُولُون . فجعل الإدخال واقعاً بهم ليأتلف الكلام على طريق واحد (٦) .

ومعنى (أَفْعَلَ) ــ هنا ــ التعدية. فالفعل (دَخَلَ) كان متعدياً لواحد فصار متعدياً لاثنين. هما : (آل) ، و(أشد) .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (ادْخُلُوا) فهي أمر من (دَخَلَ) ثلاثياً ، ومعناها : ويوم تقوم الساعة نقول : ادْخُلُوا يا آلَ فرعون . على الأمر لهم بالدخول .

---

(١) غافر : الآية (٤٦) .

(٢) البحر المحيط : ٧ / ٤٤٨ .

(٣) السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ص ٥٧٢ ،والنشر : ٢ / ٣٦٥ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٤٣٨ .

(٤) معاني القرآن : ٣ / ١٠ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٩٦٩ .

(٦) حجة القراءات ، لأبي زرعة : ص ٦٣٣ .

وحجة هذه القراءة قوله : " ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ " [١] . وقال : " ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ " [٢] ، [٣] .

وانتصب (آلَ فرعون) على النداء ، و(أَشَدَّ العذاب) في موضع مفعول به ، وحذف الجار فانتصب انتصاب المفعول به .

والمعنى العام من هذه الآية : أن فرعون ومن كان على دينه ومذهبه يُعْرَضُون على النار صباحاً ومساءً مادامت الدنيا ، ويوم القيامة يَدْخُلُون الهاوية ، وهي أشد العذاب . وفي هذه الآية دليل على عذاب القبر في الدنيا .

٢ - فعل ، وأفعل

[علم ، وأعلم]

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [٤] . قرأ الجمهور (فَلَيَعْلَمَنَّ بفتح الياء واللام ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ (فَلَيُعْلِمَنَّ) بضم الياء وكسر اللام [٥] .

العِلْمُ : نقيضُ الجهل . والعِلْمُ بالنسبة لله ــ تعالى ــ هو العِلْمُ القديم بقدمه القائم بذاته ، فيستحيل عليه الجهل ؛ لأنه تعالى يعلم ما كَانَ وما يَكُونُ وما لا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ [٦] .

وقراءة الجمهور (فَلَيَعْلَمَنَّ) مضارع (عَلِمَ) ، أي : فَلَيَرَيَنَّ الله الذين صدقوا في إيمانهم

---

(١) غافر : من الآية (٧٦) .

(٢) الأعراف : من الآية (٣٨) .

(٣) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٦٣٣ .

(٤) العنكبوت : الآية (٣) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٤ ، والمحتسب : ٢ / ١٥٩ ، والكشاف : ٣ / ١٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣١٤ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٤٦ ، وفتح القدير : ٤ / ١٩٢ .

(٦) المصباح المنير (ع ل م) ٢ / ٤٢٧ ، والتعريفات ، للجرجاني ص ٨٩ .

قال الزَّجَّاج : " المعنى : وَلَيَعْلَمَنَّ صِدْقَ الصادقِ بوقوع صِدْقِه منه ، وكَذِبَ الكاذبِ بوقوع كَذِبِه منه، وهو الذي يُجازي عليه، والله قد عَلِمَ الصادقَ من الكاذبِ قبل أن يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يُجازي عليه "[١] .

وقال ابن جني : " أما (فَلَيَعْلَمَنَّ) فإنما من إقامة السبب مقام المُسَبَّبِ ، والغرض فيه : فَلَيُكَافِئَنَّ اللهُ الذينَ آمنُوا ، وذلك أن المكافأة على الشيء إنما هي مُسَبَّبَةٌ عن علمٍ ، ولو لم يُعْلَمْ لما صَحَّتْ المكافأة ، ومثله من إقامة السَّبب مقام المُسَبَّب قول الله ــ سبحانه ــ : (كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ)[٢] ، فهذا سبب قضاء الحاجة المَكْنِيّ بذكره عنها "[٣] .

ويرى بعضهم أن المعنى : فَلَيُبَيِّنَنَّ الله الذين صَدَقُوا فقالوا نحن مؤمنون واعتقدوا مثل ذلك، والذين كَذَبُوا حين اعتقدوا غير ذلك[٤] .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (فَلَيُعْلِمَنَّ) ، فهي من (أَعْلَمَ) رباعياً ، وتحتمل ثلاثة معان :

الأول : أن يُعْلِمَ في الآخرة هؤلاء الصادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه ، وبأعمالهم في الدنيا ، بمعنى يُوقِفُهُمْ على ما كان منهم .

والثاني : أن يكون المفعول الأول محذوفاً تقديره . فَلَيُعْلِمَنَّ الناسَ . والعالم هؤلاء الصادقين والكاذبين . أي : يَفْضَحُهُمْ ويَشْهَرُهُمْ . هؤلاء في الخير وهؤلاء في الشر . وذلك في الدنيا والآخرة .

والثالث : أن يكون ذلك من العلامة . أي يَضَع لكل طائفة علامة تشتهر بها[٥] .

قال ابن جني : " وأما قوله : (فَلَيُعْلِمَنَّ) فمعناه : فَلَيُعَرِّفَنَّ الناسَ مَنْ هم ؟ فحَذفتَ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ١٦٠ ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢١٣ .

(٢) المائدة : من الآية (٧٥) .

(٣) المحتسب : ٢ / ١٥٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٥٣١٤ .

(٥) المصدر السابق . نفس الصفحة .

المفعول الأول . كما قال الله ــ تعالى ــ : (يَوْمَ يُدْعَى كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) [١] وإن شئت لم تَحْمِلْهُ على حذف المفعول لكن على أنه من قولهم : ثَوْبٌ مُعْلَمٌ ، ومن قولهم : فَارِسٌ مُعْلَمٌ . أي : أَعْلَمَ نَفْسَهُ في الحرب بما يُعْرَفُ به من ثَوْبٍ أو غيره . فكأنه قال : فَلَيُشْهِرَنَّ الذين صَدَقُوا ولَيُشْهِرَنَّ الكاذبين ، فيَرْجِعُ إلى المعنى الأول ؛ إلا أنه ليس على تقدير حذف المفعول . وإن شئت كان على حذف المفعول الثاني لا الأول . كأنه قال : فَلَيُعْلِمَنَّ اللهُ الصادقين ثوابَ صِدْقِهِم . والكاذبين عقاب كذبهم " [٢] . أي : فَلَيُعَرِّفَنَّ اللهُ المؤمنينَ جزاءَ إيمانهم والمنافقين وبالَ نفاقهم .

٤ ـ فعل . وفاعل :

[مرى . ومارى]

في قوله تعالى : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ [٣] قرأ الجمهور : (أَفَتُمَارُونَهُ) بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها . وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعة : (أَفَتَمْرُونَهُ) بفتح التاء ، وسكون الميم ، مضارع (مَرَيْتُ) [٤] ، والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ونافع (أَفَتُمَارُونَهُ) بضم التاء والألف ، وقرأ حمزة ، والكِسائي (أَفَتَمْرُونَهُ) بفتح التاء بغير ألف [٥] .

المِراءُ : الجِدالُ . مَارَيْتُ الرجلَ أُمَارِيهِ مِراءً ، إذا جَادَلْتُه . والمِرْيُ : الجَحْدُ . يقال مَرَانِي وهو يَمْرِينِي حَقِّي مَرْياً : جَحَدَنِي [٦] .

وقد غايرت قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ قراءة الجمهور في البِنْيَة والمعنى . فقراءة الجمهور (أَفَتُمَارُونَهُ) من (مَارَى) على وزن (فَاعَلَ) ، ومعناها : أفَتُجَادِلُونَهُ في أنه رَأَى

---

(١) الإسراء : من الآية (٧١) ، و(يُدْعَى) قراءة الحسن كما في البحر المحيط : ٦ / ٦٠ .

(٢) المحتسب : ٢ / ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) النجم : الآية (١٢) .

(٤) إعراب القرآن ، للنحاس : ٤ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٥٦ .

(٥) السبعة في القراءات ص ٦١٤ ، ٦١٥ ، والنشر : ٢ / ٣٧٩ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٥٠١ .

(٦) لسان العرب (م ر ا) ٦ / ٤١٨٩ ، ٤١٩٠ .

الله ـــ عز وجل ـــ بقلبه ، وأنه رَأى الكُبْرَى من آياته [١] ، وقال أبو حَيَّان : " المعنى : أفَتُجادِلُونَهُ على شيء رآه ببصره وأبصره ، وعدى بعلي لما في الجدال من المغالبة " [٢] .

وحجة من قرأ هذه القراءة : إجماع الجميع على قوله : ﴿ ألا إِنَّ الَّذينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ [٣] .

وأما قراءة عليٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ (أَفَتَمْرُونَهُ) فإنها من (مَرَى) على وزن (فَعَلَ) ، ومعناها : أَفَتَجْحَدُونَهُ . واختار أبو عُبَيْد هذا المعنى . وقال : لم يُمَارُوهُ وإنما جَحَدُوهُ [٤] . قال الشاعر :

لَئِنْ هَجَوْتَ أَخا صِدْقٍ ومَكْرُمَةٍ   لَقَدْ مَرَيْتَ أَخاً مَا كَانَ يَمْرِيكَا [٥]

أي : جحدته . وقال المُبَرِّد : يقال : مَرَاهُ عن حقه ، إذا مَنَعَهُ منه ودَفَعَهُ عنه [٦] .

وأرى أن القراءتين متداخلتان في المعنى ؛ لأن مجادلتهم جحود . وقيل : إن الجحود كان دائماً منهم وهذا جدال جديد . قالوا : صِفْ لنا بيْتَ المقدس ، وأَخْبِرْنَا عن عِيرِنَا التي في طريق الشام .

---

(١) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٩٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٥ / ٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٤٩٥ .

(٢) البحر المحيط : ٨ / ١٥٦ .

(٣) الشورى : من الآية (١٨) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٤٩٤ .

(٥) البيت من الهزج ، ولم أهتد لقائله . ينظر : الكشاف : ٤ / ٤٢٠ ، وروح المعاني : ٢٧ / ٤٩ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٥٧ ، وروى (سخرت) بدل (هجوت) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٤٩٤ ، ٦٤٩٥ .

[جزَى ، وجازَى]

في قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾ [١] . قرأ الجمهور (وَجَزَاهُمْ) على وزن (فَعَلَ) ، وقرأ عليٌّ – رضي الله عنه – (وَجَازَاهُمْ) على وزن (فَاعَلَ) [٢] .

الجَزَاءُ : المكافأة على الشيء . يقال : جَزَاه به وعليه جَزَاء ، وجَازَاه مُجَازَاةً وجَزَاءً [٣] .

والقراءتان متغايرتان في البنية ، ولكنهما تتحدان في المعنى ، فربما كان (فَاعَلَ) بمعنى (فَعَلَ) ، كدَافَعَ ودَفَعَ ، وسَافَرَ وسَفَرَ .

قال الفَرَّاءُ : " وقد سَمِعْتُ (جَازَيْتُ) في معنى (جَزَيْتُ) وهي مثل : عَاقَبْتُ وعَقَبْتُ ، الفِعْلُ مِنْكَ وَحْدَكَ " [٤] ، وقال الجَوْهَرِيُّ : " جَزَيْتُهُ بما صَنَعَ جَزَاءً وجَازَيْتُهُ بمعنى " [٥] .

وقال القرطبي : " (جَازَى) يقع بمعنى (جَزَى) مجازاً [٦] .

والمعنى على هاتين القراءتين : كافأهم على الفقر أو على الصوم والجوع ثلاثة أيام . وقيل : بِصَبْرِهِم على طاعة الله ، وصَبْرِهِم على معصية الله ومحارمه . والفاعل هو الله سبحانه وتعالى ، وذلك بأن أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير . والآية نزلت في جميع الأبرار ومن فَعَلَ فِعْلاً حَسَناً [٧] .

وفَرَّقَ بعضُ العلماء بين (جَزَى) و(جَازَى) في المعنى فقال : " وأما المؤمن

---

(١) الإنسان : الآية (١٢) .

(٢) البحر المحيط : ٨ / ٣٨٨ .

(٣) لسان العرب (ج ز ى) ١ / ٦١٩ .

(٤) معاني القرآن : ٢ / ٣٥٩ .

(٥) الصحاح(ج ز ى) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٥٥٧ .

(٧) المصدر السابق : ١٠ / ٧١٧٢ .

فيُجْزَي ؛ لأنه يُزَادُ ويُتَفَضَّلُ عليه ولا يُجَازَى، ألا ترى أنه قال (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) [(١)] ولم يقل (جَازَيْنَاهُمْ) [(٢)] .

والأول أرجح ، وذلك لأن المُجَازَاة تكون للكافر وللمسلم ، فالمؤمن يُجَازَي بأن يُكَفِّرَ اللهُ ــ تعالى ــ عنه سيئاته ، والكافر يُجَازَى بكل سُوءٍ عَمِلَهُ .

هذا ، وقد بَيَّنَتْ قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ المرادَ من قراءة الجمهور ، وهو أن المُجازاة كانت في الخَيْرِ .

٥ ـ فَعَلَ ، وفَعَّلَ :

[قَتَلَ ، وقَتَّلَ]

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ [(٣)]. قرأ الجمهور (وَلَا تَقْتُلُوا بفتح التاء الأولى وضم الثانية وسكون القاف ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ (وَلَا تُقَتِّلُوا) بضم التاء الأولى وفتح القاف وكسر الثانية مشددة على التكثير [(٤)] .

القَتْلُ : إزهاق الرُّوحِ . يقالُ : قَتَلَهُ إذا أَمَاتَهُ بضربٍ أو حَجَرٍ أو سُمٍّ أو عِلَّةٍ [(٥)] .

وقراءة الجمهور (وَلَا تَقْتُلُوا) بالتخفيف تحتمل ثلاثة معان :

الأول : النهي عن قتلِ الإنسان نَفْسَهُ لضَرَرٍ نَزَلَ بِه ، أو ظُلْمٍ أصابه .

والثاني : النهي عن أن يَقْتُلَ بعضُ الناس بعضاً ، وقد أجمع أهل التأويل على أن هذا هو المراد بهذه الآية . وعلى هذا المعنى أضاف القتل إلى أنفسهم ؛ لأنهم كنفس واحدة ؛ أو من جنس

(١) سبأ : من الآية (١٧) .

(٢) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٥٥٧ .

(٣) النساء : الآية (٢٩) .

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص٢٥، والكشاف : ١ / ٥٢٢ ، والبحر المحيط : ٣ /٢٤٢ .

(٥) لسان العرب (ق ت ل) ٥ / ٣٥٢٨ ، والمصباح المنير (ق ت ل) ٢ / ٤٩٠ .

واحد ، أو من جوهر واحد ، ولأنه إذا قَتَلَ قُتِلَ على سبيل القصاص ، وكأنه الذي قَتَلَ نَفْسَهُ .

والثالث : النهي عن ارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه ، بأكل أموال الناس بالباطل ، أو بطلب المال والانهماكِ فيه ، وعلى هذا فالمراد مجاز القتل [1] .

وأما قراءة عليٍّ — رضي الله عنه — (وَلَا تُقَتِّلُوا) بالتشديد ، فإنها تلتقي مع قراءة الجمهور في المعنى ، فقد تأتي صيغتا (فَعَلَ) و (فَعَّلَ) بمعنى واحد [2] .

وقد أفاد التشديد في هذه القراءة المبالغة والتكثير ، أما المبالغة ، فلأن مَنْ قَتَلَ نَفْساً كان كمن قَتَلَ الناس جميعاً ، وأما التكثير ، فلأن الأشياء التي تؤدي إلى قتل النفس كثيرة فشدّد ليناسب ذلك . والتخفيف في قراءة الجمهور يصلح للقليل والكثير [3] .

والمعنى العام من الآية : أن الله — تعالى — نهاكم عن إتلاف النفوس ، وعن أكل الحرام ، وبين لكم جهة الحِلِّ التي ينبغي أن يكون قِوَامُ الأنفس وحياتُها بما يكتسب منها ، لأن طيّب الكَسْبِ ينبني عليه صلاح العبادات وقبولها . وكان النهي عن أكل المال بالباطل متقدماً على النهي عن قتل أنفسهم ، لأنه أكثر وقوعها ، وأَفْشَى في الناس من القتل ، لاسِيَّمَا إن كان المراد ظاهر الآية ، من أنَّهُ نهى أن يقتل الإنسان نفسه ، فإن هذه الحالة نادرة [4] .

[أَمَرَ ، وأَمَّرَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ [5] . قرأ الجمهور (أَمَرْنَا) بتخفيف الميم ، وقرأ عليٌّ — رضي الله عنه —

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٨٢٢ ، والبحر المحيط : ٣ / ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(2) المبدع في التصريف ، لأبي حيان ص١١٢ ، ودروس في التصريف ، للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ص ٧٤ .

(3) الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي : ٥ / ٢٠٩ .

(4) البحر المحيط : ٣ / ٢٤٢ .

(5) الإسراء : الآية (١٦) .

(أَمَّرْنَا) بتشديدها [١] .

وقد خالفت قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ قراءة الجمهور في البِنْيَةِ فهل تبع ذلك اختلاف في المعنى ؟

وبالرجوع إلى كتب التفسير والقراءات واللغة تبين أن قراءة الجمهور تحتمل المعاني الآتية :

١ ــ أَنَّ (أَمَرْنَا) من الأمر الذي هو ضدّ النهي ، أي أمرناهم بالطاعة إعذاراً وإنذاراً وتخويفاً ووعيداً ، فخرجوا عن الطاعة عاصين لنا ؛ وذلك لأنَّ المُتْرَفَ إذا أُمِرَ بالطاعة خالف إلى الفسوق [٢] .

٢ ــ أن معنى (أَمَرْنَا) : كَثَّرْنَا ، أي : كَثَّرْنَا مُتْرَفِيهَا ، يقال : أَمَرَ اللهُ القومَ ، أي : كَثَّرَهُمْ . وقال الوَاحِدي : العرب تقول : أمر القوم ، إذا كَثُرُوا ، وأَمَرَهُمُ الله ، إذا كَثَّرَهُم . ووَصَفَ أبو علي الفارسي هذا المعنى بأنه جيد ، واستدل أبو عُبَيْدَة على صحته بما جاء في الحديث : " خَيْرُ المالِ سِكَّةٌ مأبُورَةٌ ومُهْرَةٌ مَأمُورَةٌ " أي : كثيرة النِّتَاج والنَّسْلِ . وهو من باب المطاوعة ، أَمَرَهُم الله فَأَمِرُوا ، كقولك : شَتَرَ اللهُ عَيْنَهُ فَشَتَرَت ، وثَلَمَ سِنَّهُ فثَلمَتْ [٣] .

٣ ــ قيل : (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) بمعنى جعلناهم أُمَرَاءَ ؛ لأن العربَ تقول : أَمِير غير مأمور ، أي مؤمر [٤] .

وأما قراءة عليّ ــ رضي الله عنه ــ فتحتمل ما يأتي :

١ ــ أن يكون معنى (أَمَّرْنَا) : سَلَّطْنَا مُتْرَفِيهَا ، أي جعلنا لهم إِمْرَةً وسلطاناً ، فَعَصَوْا فيها ، فإذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٩٦١ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٥ ، ١٧ .

(٢) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ١١٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٣ / ٢٣١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٩٦٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٣ / ٢٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٩٦٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٩٦٢ .

فَعَلُوا ذلك أهلكناهم . والمراد بـ(المُتْرَفِينَ) : الرؤساء ، أو الأَشْرَار (١) قال أبو عثمان النهدي : جعلناهم أُمَرَاء مسلطين . يقال : تَأَمَّرَ عليهم : تَسَلَّطَ عليهم (٢) .

٢ ــ أن يكون (أَمَّرْنَا) بالتشديد منقولاً من أَمَرَ الرجلُ ، إذا صار أميراً . وأُمِّرَ علينا فُلان : إذا وَلِيَ . والمعنى : وَلَّيْنَاهُم وصَيَّرْناهم أُمَرَاء .

٣ ــ أن يكون هذا الفعل منقولاً من أَمِرَ القومُ ، أي : كثروا ، كعَلِمَ وعَلَّمْتُهُ ، وسَلِمَ وسَلَّمْتُهُ ، والمعنى : كَثَّرْنَا مُتْرَفِيهَا (٣) .

ويقول أبو حَيَّان عن هذه القراءة : " ورأيتُ في النوم أني قَرَأْتُ وقُرِئَ بحَضْرَتِي ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ الآية ، بتشديد الميم ، فأقول في النوم : ما أفصح هذه القراءة " (٤) .

واختار أبو عُبَيْد وأبو حاتم قراءة الجمهور . قال أبو عُبَيْد : وإنما اخترنا (أَمَرْنَا) ، لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها ، من الأَمْرِ ، والإِمَارَةِ ، والكَثْرَة (٥) .

وأَرَى أن معنى القراءتين متقارب ، فقراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ تلتقي مع قراءة الجمهور في معنيين من الثلاثة ، هما : الإِمَارَة ، والكَثْرَة ، بل إن ابن جني يقول : " وإن شئت كان (أَمَّرْنَا) : كَثَّرْنَا ، وإن شئت كان من الأَمْرِ والإِمَارَة (٦) .

وهذا يؤيد ما ذكرناه ــ سابقاً ــ من أن صيغتي (فَعَلَ) ، و(فَعَّلَ) قد تأتيان بمعنى واحد .

---

(١) معاني القرآن ، للفراء : ٢ /١١٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٩٦١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٣٩٦١ .

(٣) المحتسب : ٢ / ١٧، وإعراب القراءات الشواذ : ١ / ٧٨١، والبحر المحيط : ٦ /١٧ .

(٤) البحر المحيط : ٦ / ١٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٩٦٢ .

(٦) المحتسب : ٢ / ١٧ .

[فرَقَ ، وفرَّقَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ (١) . قرأ الجمهور (فَرَقْنَاهُ) بتخفيف الراء ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعة (فَرَّقْنَاهُ) بالتشديد (٢) .

قراءة الجمهور (فَرَقْنَاهُ) بصيغة الفعل المجرد (فَعَلَ) تحتمل وجهين :

الأول : بيَّنَّاهُ وأوْضَحْنَاهُ ، وفَرَقْنَا فيه بين الحق والباطل ، وبين الحلال والحرام (٣) .

والثاني : فَصَّلْنَاهُ وأحْكَمْنَاهُ، كما قال: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (٤)، أي : يُفَصَّلُ .

فقد فَصَّلَهُ الله ــ تعالى ــ من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نَزَلَ مُفَرَّقاً مُنَجَّماً على الوقائع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٥) .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (فَرَّقْنَاهُ) فمعناها : فَصَّلْنَاهُ وَنَزَّلْنَاهُ شيئاً بعد شيء ، وآيةً آيةً مُبَيَّناً ومُفَسَّراً ، ولهذا قال : (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) ، أي : لِتُبَلِّغَهُ الناسَ وَتَتْلُوهُ عليهم على مَهْلٍ (٦) .

ويلتقي معنى القراءتين في أن الله ــ عز وجل ــ أنزل القرآن الكريم مُفصَّلاً ، ولم يُنْزِلْهُ جملةً واحدة .

وإن كانت قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ قد أَوْضَحَتْ أن الغَرَضَ من إنزال القرآن

---

(١) الإسراء : الآية (١٠٦) .

(٢) المحتسب : ٢ / ٢٣، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤٠٦٨ ، والبحر المحيط : ٦ / ٨٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤٠٦٨ ، والبحر المحيط : ٦ / ٨٤ .

(٤) الدخان : الآية (٤) .

(٥) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ١٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤٠٦٨ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ٦٨ .

(٦) البحر المحيط : ٦ / ٨٤ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ٦٨ .

الكريم آيةً آيةً ، لِيبلِّغَهُ الرسولُ (صلى الله عليه وسلم) الناس ، ويتلوه عليهم على مَهْل حتى يفهمه الناس ويتبينوا ما في آياته من الأمور التي اشتملت عليها .

[حرَق ، وحرَّق]

في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بضم النون وفتح الحاء وتشديد الراء ، مضارع (حَرَّقَ) ، وقرا عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس ، وأبو جعفر (لَنَحْرُقَنَّهُ) بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء ، مضارع (حَرَقَ) (٢)، وهي قراءة متواترة ، لأن أبا جعفر أحد القراء العشرة.

وقرأ الحسن وغيره (لَنُحْرِقَنَّهُ) بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء مضارع (أَحْرَقَ) (٣) .

الحَرَقُ ، بالتحريك : النار ، وأَحْرَقَهُ بالنار وحَرَّقَهُ ، شُدِّدَ للكثرة ، وحَرَقْتُ الشيءَ أَحْرُقُهُ وحَرَّقْتُهُ : بَرَدْتُهُ ، وحَكَكْتُ بعضَه ببعض (٤) .

وعلى ذلك فالآية فيها ثلاث قراءات ووزنها على الترتيب (فَعَّلَ) ، و(فَعَلَ) ، و (أَفْعَلَ) .

وقراءة الجمهور تحتمل معنيين :

الأول : الإحراق بالنار مَرَّةً بعد مَرّة ، فالتشديد يدل على التكثير ، ويؤيده قراءة ابن مسعود

---

(١) طه : الآية (٩٧) .

(٢) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ١٩١ ، ومختصر في شواذ القرآن ص ٨٩ ، والمحتسب : ٢ / ٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٤١٦ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٥٧ ، والنشر : ٢ / ٣٢٢ .

(٣) زاد المسير في تفسير الكتاب العزيز ، لابن الجوزي : ٥ / ٣١٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٤١٦ .

(٤) الصحاح ، ولسان العرب (ح رق) .

(لَنَذْبحنه ثُمَّ لَنحْرُقنَّهُ) ، وهذا يدل على أن الإِلَهَ الذي كانوا يعبدونه هو ذلك الحيوان المعروف ؛ لأن الذهب لا يمكن إحراقه بالنار ٠

والثاني : المراد لَنبَرْدَنَّهُ بالمِبْرَدِ ، وهذا يعني أن ذلك العِجْلَ كان من ذَهَبٍ ، وتكــون (حَــرَّقَ) مبالغة في (حَرَقَ) ، وقد ذكر ذلك أبو علي الفارسي ، والزَّجَّاج ، وابــن سِــيدَه ، وابن منظور [١] ، ويُرَجِّحُهُ قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (لَنَحْرُقَنَّهُ) من (حَــرَقَ) ثلاثياً ، وقد تأتي (فَعَّلَ مطاوعة لــ (فَعَلَ) [٢] ٠

أما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (لَنَحْرُقَنَّهُ) ، فهي من قولك : حَرَقْتُهُ بــالمِبْرَدِ إذا حَتَتَّهُ به ، وحَكَكْتَ بعضَه ببعض ، ومعناها : لَنبْرُدَنَّهُ بالمِبْرَد ، ويقال للمِبْرَدِ : المِحْرَقُ [٣] ٠ قــال الفَرَّاءُ : " وقوله (لَنُحْرِقَنَّهُ) بالنار و(لَنَحْرُقَنَّهُ) : لَنبْرُدَنَّهُ بالحديدِ بَرْداً ، من حَرَقْــتُ أَحْرُقُــهُ ، وأَحْرِقُهُ لغتان ، وأنشدني المُفَضَّلُ : [٤]

بِذِي فِرْقَيْنِ يَوْمَ بَنُو حَبِيبٍ نُيُوبَهُمْ عَلَيْنَا يَحْرُقُونَا [٥]

وعلى ذلك فقراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ تُرَجِّحُ المعنى الثاني في قراءة الجمهور ، وهو أن العِجْلَ المعبود ــ من دون الله ــ كان من ذَهَب ، ويُؤَيِّد ذلك ما رواه ابن كثير عن ابن عباس أن هارون (عليه السلام) مر بالسَّامِرِيِّ ــ وهو يَنْحَتُ العِجْلَ ــ فقال له : ما تَصْنَعُ ؟ فقــال : أَصْنَعُ ما يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ، فقال هارون : اللهم أَعْطِهِ ما سَأَلَكَ على ما في نَفْسِهِ [٦] ٠

وعن عليٍّ ــ رضي الله عنه وكَرَّمَ الله وجهه ــ قال : " إن موسى لما تَعجَّل إلى رَبِّهِ عَمَدَ السَّامِرِيّ فجَمَعَ ما قَدَرَ عليه من حُلِيِّ نساءِ بني إسرائيل ، ثم صَوَّرَهُ عِجْلاً ، قال : فَعَمَدَ موسى إلى

(١) مفاتيح الغيب ، للرازي : ١١ / ٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٤١٦ ، وزاد المسير : ٥ / ٣١٩ ، ولسان العرب (ح ر ق) ٠

(٢) شرح الشافية : ١ / ٩٥ ٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٤١٦ ، ومفاتيح الغيب : ١١ / ٣٧ ، وتفسير أبي السعود : ٦ / ٤٠ ٠

(٤) البيت لعامر بن شقيق الضبي كما في لسان العرب (ح ر ق) ، وذو فرقين : موضع ٠

(٥) معاني القرآن : ٢ / ١٩١ ٠

(٦) تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٢ ٠

العِجْلِ فوَضَعَ عليه المبَارِدَ فَبَرَدَهُ بها وهو على وَسَطِ نَهْرٍ ، فلم يَشْرَبْ أَحَدٌ من ذلك الماء — ممن كان يعبد العِجْلَ — إلا اصْفَرَّ وَجْهُهُ مثل الذهب ، فقالوا لموسى : ما تَوْبَتُنَا ؟ قال : يقتل بعضكم بعضاً ، وهكذا قال السُّدّي " (١) .

على أنه يمكن الجمع بين القراءات الثلاث على المَعْنَيَيْنِ ، بأن يكون أُحْرِقَ ثم بُرِدَ بالمِبْرَدِ ، قال القُرْطبيّ : " والقراءتان الأُولَيَان (أي قراءة الجمهور ، وقراءة الحَسَن) معناهما : الحرق بالنار ، وقد يمكن جمع ذلك فيه ، قال السُّدّي : ذَبَحَ العِجْلَ فَسَالَ منه كما يَسِيلُ من العِجْلِ ، ثم بَرَدَ عِظامَهُ بالمِبْرَدِ وأَحْرَقَهُ (٢) .

[نَزَلَ ، ونَزَّلَ]

في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (٣). قرأ الجمهور (يَنْزِلُ) بفتح الياء وسكون النون وكسر الزاي مخففة وقرأ عليٌّ — رضي الله عنه — والسُّلَمِيُّ (يُنَزِّلُ) بضم الياء وفتح النون وشد الزاي (٤) .

النُّزول : الحُلول . يقال : نَزَلَ من عُلْوٍ إلى أَسْفَلَ يَنْزِلُ نُزُولاً ، ويتعدى بالحرف والهمزة والتضعيف فيقال : نَزَلْتُ به وأَنْزَلْتُهُ ونَزَّلْتُهُ (٥) .

قراءة الجمهور(يَنْزِلُ) من (نَزَلَ) على (فَعَلَ) ، ومعناها : وما يَنْزِلُ من السماءِ من الأمطار والثلوج والبَرَدِ والصواعقِ والأرزاقِ والمقاديرِ والبركات (٦) .

وأما قراءة عليٍّ — رضي الله عنه — (يُنَزِّلُ) فمن (نَزَّلَ) على (فَعَّلَ) وأصله (نَزَلَ) وقد دلت هذه القراءة على أن الفاعل هو الله — عز وجل — وأفادت التكثير في المفعول ، أي

(١) المصدر السابق : ٣ /١٦٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٤١٦ ، وتفسير أبي السعود : ٦ / ٤٠ .

(٣) سبأ : الآية (٢) .

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ١٢١ ، والبحر المحيط : ٧ / ٢٤٨ .

(٥) لسان العرب ، والمصباح المنير ، والقاموس المحيط (ن ز ل) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٥٢٨ .

كَثْرَة ما ينزل من السماء من الأشياء السابقة ، والتضعيف للتكثير لغة عامة العرب [١] .

والمعنى العام المستفاد من الآية : أَنَّ الله ــ تعالى ــ يعلم ما يَدْخُلُ في الأرض من قَطْرٍ وغيره ، وما يَخْرُجُ منها من نباتٍ وغيره ، وما يَنْزِلُ من السماء من الأَقْضِيَةِ والأحوالِ ، وما يَعْرُجُ فيها من الملائكة وأعمال العباد [٢] .

[كَذَبَ ، وكَذَّبَ]

في قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٣]. قرأ الجمهور (تُكَذِّبُونَ) من التكذيب ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ والمُفَضَّل عن عاصم (تَكْذِبُونَ) بفتح التاء مخففاً ، من الكَذِب [٤] .

الكَذِبُ : نقيضُ الصدقِ . وكَذَبَ الرجلُ : أَخْبَرَ بالكَذِب . والتكذيب : النسبة إلى الكَذِب . يقال : كَذَّبْتُهُ تَكْذِيباً : نَسَبْتُهُ إلى الكَذِبِ ، أو قُلت له : كَذَبْتَ [٥] .

قراءة الجمهور (تُكَذِّبُونَ) بتشديد الذال ، والمعنى على هذه القراءة : وتجعلونَ شُكْرَ ما رَزَقَكُم الله من إنزال المطر، أو إنزال القرآن عليكم تَكْذِيبَكُم بذلك ، بأن تقولوا عند نُزُول المطر عليكم : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، تَنْسُبُونَ السُّقْيَا إلى الأَنْوَاءِ ، وتجعلونَ حَظَّكُمْ من كتاب الله أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ [٦] .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (تَكْذِبُونَ) بتخفيف الذال ، فمعناها : أنكم تقولون في القرآن : سِحْرٌ وافْتِرَاءٌ ، وفي المَطَرِ من الأَنْوَاءِ .

(١) الدر المصون : ٣ /١٥٣، وروح المعاني : ٢٥ / ٣٠، وشرح الشافية : ١ / ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٥٢٨ .

(٣) الواقعة : الآية (٨٢) .

(٤) البحر المحيط : ٨ / ٢١٤ .

(٥) لسان العرب ، والمصباح المنير (ك ذ ب) .

(٦) البحر المحيط : ٨ / ٢١٤ .

وجَعَلَ القُرْطبي هذه القراءة بمعنى قراءة الجمهور ، حيث قال : " ومعناه ما قدمناه من قَوْلِ من قال : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا " (١) .

[قَتَلَ ، وقتَّلَ]

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) . قرأ الجمهور (ولا يَقْتُلْنَ) بفتح الياء وسكون القاف وضم التاء ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ والحَسَنُ ، والسُّلَميُّ (وَلاَ يُقَتِّلْنَ) بضم التاء ، وفتح القاف ، وشد التاء (٣) .

ومعنى قراءة الجمهور : وَلاَ يَئِدْنَ المَوْءُودَاتِ ، ولاَ يُسْقِطْنَ الأَجِنَّةَ . وهذا يشمل قَتْلَ الوَلَد بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يَقْتُلُونَ أولادهم خَشْيَةَ الإِمْلاَقِ ، ويَعُمُّ قَتْلَهُ وهو جَنِينٌ ، كما قد يَفْعَلُهُ بعض الجَهَلَةِ من النساء ، تَطْرَحُ نَفْسَهَا لئلا تَحْبل ، إما لِغَرَضٍ فاسدٍ أو ما أَشْبَهَهُ (٤) .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (وَلَا يُقَتِّلْنَ) بالتشديد ، فإنها تفيد التكثير (٥) وتتَّحِدُ مع قراءة الجمهور في المعنى ، فقد تأتِي (فَعَّلَ) بمعنى (فَعَلَ) (٦) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٦٣١ .

(٢) الممتحنة : الآية (١٢) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٥٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٦٧٩٥ ، وتفسير ابن كثير : ٤ / ٣٥٤ .

(٥) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٥٨٢ .

(٦) شذا العرف ص ٤٢ .

[قَدَرَ ، وقَدَّرَ]

في قوله تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [1] . قرأ الجمهور (فَقَدَرْنَا) بتخفيف الدال ، من القُدْرَة ، وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ (فَقَدَّرْنَا) ، بالتشديد من التقدير [2] . والقراءتان متواترتان ، فقد قرأ نافع ، والكسائي ، وأبو جعفر (فَقَدَّرْنَا) بتشديد الدال ، وقرأ الباقون (فَقَدَرْنَا) بالتخفيف [3] .

القُدرةُ : القوة على الشيءِ ومِلْكُهُ والتمكُّن منه ، يُقال : قَدَرَ على الشيءِ يَقْدِرُ : قَوِيَ عليه وتَمَكَّنَ منه . وقَدَرَ عليهِ قُدْرَةً ، أي : مَلَكَهُ [4] .

وباستقراء كتب التفسير ، والقراءات ، واللغة نجد أن كثيراً من العلماء قد نَصَّ على أن القراءتين لغتان بمعنى واحد ، ومن هؤلاء : الكِسائي ، والفَرَّاء ، وابن قُتَيْبة ، وابن مَنْظُور . قال الكِسائي : " هما لُغَتَان بمعنى " [5]، وقال الفَرَّاءُ : " ولا يَبْعُدَنَّ أن يكونَ المعنى في التشديد والتخفيف واحداً ؛ لأن العربَ قد تقول : قَدَرَ عليه الموت . قال الله ـ تعالى ـ : (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) [6] قرئ بالتخفيف والتشديد ، وقُدِّر عليه رِزْقُهُ ، وقُدِرَ . وقد يجمع العرب بين اللُّغَتَيْن ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [7] ، وقال الأَعْشَى [8]:

وَأَنْكَرَتْنِي ، وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ		مِنَ الحَوَادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا [9] .

---

(1) المرسلات : الآية (٢٣) .

(2) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٢٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٩٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ٣٩٧

(3) السبعة في القراءات ص ٦٦٦ ، والنشر : ٢ / ٣٩٧ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٥٨١ .

(4) لسان العرب : ٥ / ٣٥٤٦ ، والمصباح المنير : ٢ / ٤٩٢ (ق د ر) .

(5) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٩٥ .

(6) الواقعة : من الآية (٦٠) .

(7) الطارق : الآية (١٧) .

(8) البيت في ديوانه ص ١٠١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٩٦ .

(9) معاني القرآن : ٣ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

وقال القُتَيْبِيُّ : " (قَدَرْنا) بمعنى(قَدَّرْنَا) مشددة ، كما تقول : قَدَرْتُ كَذَا وَقَدَّرْتُهُ ، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) في الهلال : " إذَا غُمَّ عليكم فَاقْدُرُوا لَهُ " أي قَدِّرُوا لَهُ المَسِيرَ والمنازلَ " [١] ، وقال ابن مَنْظُور : " قَدَّرْتُ الشيءَ تقديراً ، وقَدَرْتُ الشيءَ أَقْدُرُهُ وأَقْدِرُهُ قَدْراً من التقدير . وفي الحديث في رُؤْيَة الهلال : صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فإن غُمَّ عليكم فاقْدُرُوا لَهُ . قوله : فَاقْدُرُوا لَهُ ، أي قَدِّرُوا لَهُ عَدَدَ الشهرِ حتى تُكْمِلُوهُ ثلاثينَ يوماً ، واللفظان وإن اختلفا يرجعان إلى معنى واحد " [٢] .

ويرى بعض العلماء أن القراءتين متغايرتان في المعنى . فقراءة الجمهور (فَقَدَرْنَا) بالتخفيف ، بمعنى مَلَكْنَا . والمعنى في الآية على هذا : فَمَلَكْنَا فَنِعْمَ المَالِكُونَ .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (فَقَدَّرْنَا) بالتشديد ، فهي من التقدير ، أي : قَدَّرْنَا وقتَ الولادة ، وأحوالَ النُّطْفَةِ في التَّنْقِيلِ من حالةٍ إلى حالة حتى صارت بَشَراً سَوِيّاً ، أو الشَّقِيّ والسعيد ، أو الطويل والقصير[٣] .

وحُجَّة من قرأ بالتخفيف مشاكلة اللفظ بعضه بعضاً وكذلك المعنى . فقد قال الله ــ تعالى ــ (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ) ولم يقل (المُقَدِّرُونَ) ، والمعنى ــ كما سبق ــ فَمَلَكْنَا فنعم المَالِكُون .

وأما من قرأ بالتشديد (فَقَدَّرْنَا) فإنه أحب أن يجريَ على معنيين كل واحد منهما بخلاف الآخر ، وذلك (فَقَدَّرْنَا) مرة بعد مرة لأنه ذَكَر الخلق فقال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٤] فذلك منه فِعْلٌ مُتَرَدِّدٌ ، فَشَدَّدَ إرادة تَرَدُّد الفعل على سَنَنِ العربية ، ثم قال : (فَنِعْمَ القَادِرُونَ) يعني القدرة على ذلك والملك [٥] .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٩٥ .

(٢) لسان العرب (ق د ر) ٥ / ٣٥٤٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٩٦ .

(٤) المرسلات : الآيات (٢٠) ، (٢١) ، (٢٢) .

(٥) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٧٤٣ ، ٧٤٤ .

وقد أفادت قراءة عليٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ فائدتين :

الأولى : الدلالة على التقدير الذي معناه تَرَدُّد الفعل في خلق الإنسان .

والثانية : الدلالة على القدرة على ذلك والملك .

وأما قراءة التخفيف فقد أفادت فائدة واحدة ؛ لأنها جاءت بلفظ واحد [١] .

[وَسَطَ ، ووَسَّطَ]

في قوله تعالى:﴿ فَوَسَطْنَ به جَمْعاً ﴾ [٢]، قرأ الجمهور (فَوَسَطْنَ) بتخفيف السين ، وقرأ عليٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ وجماعةٌ (فَوَسَّطْنَ) بشَدِّها [٣] .

الوَسَطُ ، بالتحريك : اسم لما بين طَرفَي الشيء ، وهو منه كقولك : جلَسْتُ وَسَطَ الدارِ يقال : وَسَطْتُ القومَ أَسِطُهُمْ وَسْطاً وَسِطَةً ، أي : صِرْتُ وَسَطَهُمْ . والتَّوسُّط : أن تجعل الشيء في الوَسَطِ [٤] .

وقراءة الجمهور (فَوَسَطْنَ) بالتخفيف ، تحتمل معنيين :

الأول : أن الخيل صِرْنَ بركبانهن وَسَطَ العَدُوِّ ، أي : الجمع الذي أَغَارُوا عليهم [٥] .

والثاني : صِرْنَ بالإبل وَسَطَ مُزْدَلِفَة ، وسميت جمعاً لاجتماع الناس بها . وقيل : الضمير في (به) يعود على العدو الدال عليه (والعَادِيَاتِ) ، وقيل : يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى [٦] .

---

(١) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٧٤٤ .

(٢) العاديات : الآية (٥) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٧٨ ، والمحتسب : ٢ / ٣٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٥٠١ ، والبحر المحيط : ٨ / ٥٠١ .

(٤) لسان العرب (و س ط) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٥٠١ .

(٦) المصدر السابق : ١٠ / ٧٥٠١ ، والبحر المحيط : ٨ / ٥٠١ .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (فَوَسَّطْنَ) بالتشديد ، فهي بمعنى قراءة الجمهور ، والتشديد في هذه القراءة للتعدية والمبالغة .

قال الفَرَّاءُ : " العرب تقول : وَسَطْتُ الشيءَ ، وَوَسَّطْتُهُ ، وتَوَسَّطْتُهُ ، بمعنى واحد " (١) .

وقال القُرْطُبيّ عن هاتين القراءتين : " لُغَتَان بمعنى ، يقال : وسطت القوم (بالتشديد والتخفيف) وتَوَسَّطْتُهُمْ بمعنى واحد " (٢) .

وقال أبو حيان : " (وسط) مخففاً ومثقلاً بمعنى واحد ، وهما لُغَتان " (٣) .

ويرى ابن جني أن قراءة الإمام عليّ ــ رضي الله عنه ــ وإن تلاقت مع قراءة الجمهور في المعنى ، فإن الطريقين متباينان ، يقول ابن جني : " فأما (وَسَّطْنَ)، بالتشديد فعلى معنى مَيَّزْنَ به جَمْعاً ، أي جَعَلْنَهُ شَطْرَيْنِ : قِسْمَيْنِ : شِقَّيْنِ . ومعنى (وَسَطْنَهُ) : صِرْنَ في وَسَطِهِ ، وإن كان المَعْنيَان متلاقيين ، فإن الطريقين مختلفان . ومعنى (وَسَطْنَ) ، خفيفة كمعنى (تَوَسَّطَ) و(وَسَّطْنَهُ) ــ مشددة ــ أقوى معنى من (وَسَطْنَهُ) مخففاً ؛ لما مع التشديد من معنى التكثير والتكرير " (٤)

تعقيب

التشديد صفة من صفات البدو ، وأما التخفيف فتتصف به القبائل المتحضرة . وصفحة القرآن الكريم ، التي تنطبع عليها لهجات العرب ، جاءت على الوجهين ، وقد حَمَلَ المشدّد معنى زائداً على المُخَفّف ؛ إذ دل على تكرير الفعل ومداومته تارةً ، أو على التكثير تارةً أخرى (٥) .

ويتضح مما سبق أن الإمام علياً ــ رضي الله عنه ــ قد آثر (فَعَّلَ) بالتضعيف على (فَعَلَ) بالتخفيف في معظم القراءات السابقة ، مخالفاً بذلك بيئته الحضرية ، فالقارئ لا يلتزم ــ

---

(١) معاني القرآن : ٣ / ٢٢٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٥٠١ .

(٣) البحر المحيط : ٨ / ٥٠١ .

(٤) المحتسب : ٢ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٥) ينظر : الكتاب : ٤ / ٦٤ ، ٦٥ ، واللهجات العربية في التراث : ٢ / ٦٦٥ ، ٦٦٦ .

دائماً ـــ بيئته ؛ لأن القراءة رِوَاية ، فلعله قد تأثر في ذلك بالبِيئَة البَدَوِيَّة .والله أعلم ،

٦ـ فَعَلَ ، وتَفَاعَلَ :

[دَرَسَ ، وتَدَارَسَ]

في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْـأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (وَدَرَسُوا) على وزن (فَعَلُوا) ، وقرأ عليٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ والسُّلَمِيّ (وادَّارَسُوا) على وزن (تَفَاعَلُوا) (٢) .

الدِّرَاسَةُ : القراءة والعِلْم . يقال : دَرَسْتُ العلمَ دَرْساً ودِرَاسَةً : قَرَأْتُهُ وتَعَلَّمْتُهُ (٣) .

وقد غايرت قراءة عليٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ قراءة الجمهور في البِنْيَةِ ، فهل تَبِـعَ ذلـك اختلاف في الدلالة ؟ .

بالإحالة على كتب التفسير واللغة والتصريف نطالع أن قراءة الجمهور (وَدَرَسُوا) بفتح الدال والراء وضم السين ، معناها : قَرَءُوهُ وتَعَلَّمُوا مَا فِيه ، وهم قَرِيبُو عَهْدٍ به (٤) . والضـمير يعود على الكِتاب ، والمراد به التوراة .

وقال بعض العلماء : إن معنى(وَدَرَسُوا مَا فِيه) أي مَحَوْهُ بتَرْكِ العملِ به والفَهْمِ لِه ؛ من قولك : دَرَسَت الريحُ الآثارَ ، إذا مَحَتْهَا ، وَخَطٌّ دارِسٌ ورَبْعٌ دَارِسٌ ، إذَا امَّحَى وعَفَا أَثَرُهُ (٥) .

ورد أبو حَيَّان هذا المعنى ، وقال : " فيه بُعْدٌ ، ولو كان كما قيل ، لقيل : رَبْعٌ مَدْرُوسٌ

---

(١) الأعراف : الآية (١٦٩) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٤٧ ، والبحر المحيط : ٤ / ٤١٥ .

(٣) المصباح المنير(د ر س) ١ / ١٩٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٨٤٠ .

(٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وخَطٌّ مَدْرُوسٌ ، وإنما قالوا : رَبْعٌ دَارِسٌ وخَطٌّ دَارِسٌ ، بمعنى دَاثِر " [1] .

ويَرى القُرْطبي أن " هذا المعنى مُوَاطِئ ـــ أي موافق ـــ لقوله ـــ تعالى ـــ : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [2] الآيـــة . وقولـــه : ﴿ فَنَبَـــذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [3] [4] .

وأما قراءة عليٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ (وَادَّارَسُوا) وأصله : (وَتَدَارَسُوا) فأدغم التاء في الدال ، فإنها تلتقي مع قراءة الجمهور في المعنى الأول ، وهـــو القـــراءة والـــتعلم ، وذلـــك أن (تَدَارَسَ) ـــ هنا ـــ بمعنى دَرَسَ . قال ابن منظور: " دَارَسْتُ الكُتُبَ وتَدَارَسْـــتُهَا وادَّارَسْـــتُهَا، أي : درَسْتُهَا " [5].

وقد وَضَّحَتْ هذه القراءة أن معنى(وَدَرَسُوا مَا فِيه) هو التكرار لِقِرَاءَتِهِ ، والوقـــوف عليه [6] .

وفي الآية توبيخٌ وتقريرٌ لما تَضَمَّنَهُ الكتاب من أَخْذِ الميثاق أنهم لا يَكْذِبُون على الله .

٧ ـ فَعِلَ ، وتَفَاعَلَ :

[نَسِيَ ، وتَنَاسَى]

في قوله ـــ تعالى ـــ : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَـــةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْـــرَبُ لِلتَّقْـــوَى وَلا

(١) البحر المحيط : ٤ / ٤١٥ .

(٢) البقرة : من الآية (١٠١) .

(٣) آل عمران : من الآية (١٨٧) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٨٤٠ .

(٥) لسان العرب (د ر س) ٢ / ١٣٦٠ .

(٦) البحر المحيط : ٤ / ٤١٥ .

تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (وَلَا تَنسَوُا) بضم الواو ، من (نَسِيَ) ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (وَلَا تَنَاسَوا) مِنْ (تَنَاسَى) (٢) .

النِّسْيَانُ لفظٌ مشترك بين معنيين :

أحدهما : ترك الشيء على ذُهول وغَفْلَة ، وذلك خلاف الذِّكْر له .

والثاني : الترك على تَعَمُّد ، وعليه (وَلَا تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ) أي : لا تَقْصِدُوا التَّرْكَ والإهمالَ .
وأَصْلُهَا : " وَلَا تَنْسَيُوا " فَسَكَنَت الياءُ ، وأُسْقِطَتْ لاجتماع الساكنين (٣) .

قراءة الجمهور (وَلَا تَنسَوُا) بضم الواو المفتوح ما قبلها الملتقية بساكن بعدها حال النطق ، وإنما اختاروا الضَّمَ ــ هنا ــ ؛ لأنه قد سَقَطَ من قَبْل " الواو " حَرْفٌ مضمومٌ ، وكانت أَوْلَى من اجتلاب حركة غريبة (٤) .

والمعنى على هذه القراءة : وَلَا تَتْرُكُوا الفضلَ وتُهْمِلُوهُ بَيْنَكُمْ . والفَضْلُ : هو فِعْلُ ما ليس بواجب من البر والإحسان والمعروف . فهو من الزَّوْج تكميل المَهْرِ ، ومن الزَّوْجَة تَرْكُ شَطْرِهِ الذي لَهَا . والخطاب هنا للزَّوْج والزَّوْجة ، وغُلِّبَ المذكر . وقيل : الخطاب لجميع الناس . والذي يظهر أنه خطاب للأزواج فقط ؛ إذ هم المخاطبون في صدر الآية ، فيكون ذلك من الالتفات ، إذ رَجَعَ من ضمير الغائب ، وهو الذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاح إلى الخطاب الذي استفتح به صدر الآية (٥) .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (وَلَا تَنَاسَوا) من (تَنَاسَى) على وزن (تَفَاعَل)

---

(١) البقرة : الآية (٢٣٧) .
(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥ ، والمحتسب : ١ / ١٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ١١٢٠ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٤٧ .
(٣) الصحاح ، ولسان العرب ، والمصباح المنير (ن س ى) .
(٤) شرح المفصل ، لابن يعيش : ٩ / ١٢٥ .
(٥) تفسير ابن كثير: ١ / ٢٨٩ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

فمعناها النهي عن التظاهر بنسيان الفضل ، لأنهم إذا استكثروا من الهَجْر وتَثاقلوا عن الفَضْل صاروا كأنهم مُتعَاطُونَ لتركه متظاهرون بنسيانه ، وهذا كقولك للرجل يَكْثُرُ خَطَؤُهُ : أنت تَتَحايَد الصواب تَوَقِّيَ عارِف به ، وأنت مُعْتَمِلٌ لما لا يُحْسِن ، وإن لم يَقْصِد هُوَ لذلك [1] .

وعلى هذا فالفرق بين قراءة الجمهور (تَنْسَوْا) وقراءة عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ (تَنَاسَوا) أن (تَنْسَوُا) نَهْيٌ عن النسيان على الإطلاق : أَنْسُوه ، أَوْ تَنَاسُوهُ . فأما (تَنَاسَوا) فإنه نَهْيٌ عن فِعْلِهم الذي اختاروه ، كقولك : قد تغافَلَ وتَصَامَّ وتَنَاسَى ، إذا أظهر من فعله وتعاطاه وتظاهر به [2] .

وَيُعَضِّدُ هذا أن من معاني صيغة (تَفَاعَلَ) : التظاهر بالفعل دون حقيقته ، كتَناوَمَ وتَغافَلَ وتَعَامَى ، أي : أظهر النوم والغفلة والعَمَى ، وهي مُنْتَفِيَةٌ عنه [3] .

وَوَصَفَ القُرْطبيّ وابن عطية قراءة الإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ (وَلَا تَنَاسَوا) بأنها قراءةٌ مُتَمَكِّنَة المعنى ؛ لأن هذا موضع تَناسٍ لا نِسْيَان إلا على التشبيه [4] .

وقال ابن جني : " ويحسن هذه القراءة : أنك إنما تَنْهَى الإنسان عن فِعْلِه هُوَ ، والتَّنَاسِي من فِعْلِه ، فأما النسيان فظاهرة أنه من فِعْلِ غيره به ، فكأنه أُنْسِيَ فَنَسِيَ . قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾[5] .

وزاد في حُسْنِهِ شيء آخر ، وهو أن المأمور هنا جماعة ، و(تَفَاعَلَ) لائق بالجماعة ، كتَقَاطَعُوا وتوَاصَلُوا وتَقَارَبُوا وتَبَاعَدُوا " [6] .

وليس المراد ـ هنا ـ النهي عن النسيان ؛ لأن ذلك ليس في الوِسْع ، بل المراد منه

---

(1) المحتسب : ١ / ١٢٧ .

(2) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(3) شذا العرف ص ٤٤ .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ١١٢٠ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٤٧ .

(5) الكهف : من الآية (٦٣) .

(6) المحتسب : ١ / ١٢٨ .

الترك ، وذلك أن الرجل إذا تزوج بالمرأة فقد تَعلّق قَلْبُهَا بِهِ ، فإذا طَلَّقَهَا قبل المَسِيسِ صار ذلك سَبَباً لتَأذِّيها منه . وأيضاً إذا كلف الرجل أن يبذل لها مَهْراً من غير أن انتفع بها البتة صار ذلك لتأذِّيهِ منها . فَنَدَبَ الله ـــ تعالى ـــ كل واحد منهما إلى فِعْلٍ يزيل ذلك التَّأذِّي عن قلب الآخر ، فنَدَبَ الزوجَ أن يُطَيِّبَ قَلْبَهَا بأن يسلم لها المهر بالكلية ، ونَدَبَ للمرأة إلى تَرْكِ المهر بالكلية [1] .

٨ ـ فعَل ، وتفعَّل :

[خلَقَ ، وتَخلَّق]

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2]

قرأ الجمهور (وتَخْلُقُونَ) بفتح التاء وسكون الخاء وضم اللام والقاف ، وقرأ علـيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ وجماعةٌ (تَخلَّقُونَ) بفتح التاء والخاء واللام مشددة [3] .

الخَلْقُ : الكَذِبُ . وخَلَقَ الكَذِبَ والإفْكَ يَخْلُقُهُ وتَخَلَّقَهُ واخْتَلَقَهُ وافْتَرَاهُ : ابْتَدَعَهُ [4]

قراءة الجمهور (وتَخْلُقُونَ) مضارع (خَلَقَ) تحتمل مَعْنَيَيْن :

الأول : أنكم تَنْحِتُونَ الأصنام وتَخْلُقُونَهَا . ويكون التأويل : إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وأنتم تَصْنَعُونَهَا . وسميت الأصنام إفْكاً توسعاً من حيث يَفْتَرُونَ بها الإفك في أنها آلهة [5] .

والثاني : أنكم تَخْتَلِقُونَ الإفْكَ ، أي : الكَذِب في أمر الأوثان وغير ذلك . واخْتِلاقُهُم الإفـك : تَسْمِيَةُ الأوثانِ آلهة وشركاء لله وشُفَعاء إليه . والمعنى : تعبدون الأوثـان وتَخْتَلِقُـونَ الكَذِبَ [6] .

---

(1) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣ / ٤٥٠ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٣٨، وفتح القدير: ١ / ٢٥٤، وتفسير أبي السعود : ١ / ٢٣٥ .

(2) العنكبوت : الآية (١٧) .

(3) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٤ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٤١ ، وفتح القدير : ٤ / ١٩٧ .

(4) لسان العرب (خ ل ق) ٢ / ١٢٤٥ .

(5) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٤ / ١٦٥ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٤١ .

(6) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٢٤ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٤١ .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (تَخَلَّقُونَ) قال ابن جِنِّي عنها : " أما (تَخَلَّقُونَ) على وزن تَكَذَّبُونَ ومعناه " [١] .

وأَرَى أن القراءتين بمعنى واحد . فقد قال الفَرَّاءُ : " وهما في المعنى ســـواء " [٢] ، وإن كانت قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ قد أفادت معنى التكثير في اخْتِلاق الكَذِبِ والتَّخَرُّصِ .

والمعنى العام للآية : إنما تعبدون من دون الله أصناماً وأنتم تَنْحتُونَها وتَصْنَعُونَها ، وهي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، وتَخْتَلِقُونَ لها أسماء فتسمونها آلهة ، وإنما هي مخلوقة مِثْلَكُم [٣] .

٩ ـ فَعِلَ ، وافْتَعَلَ :

[خَطِفَ ، واخْتَطَفَ]

في قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤] .

قرأ الجمهور (يَخْطَفُ) بفتح الياء والطاء وسكون الخاء ، مضارع (خَطِفَ) ، وقرأ عليٌّ وابنُ مسعود ــ رضي الله عنهما ــ (يَخْتَطِفُ) مضارع (اخْتَطَفَ) [٥] .

الخَطْفُ : الاسْتِلَابُ . وقيل : الخَطْفُ : الأَخْذُ في سرعةٍ واسْتِلاب . خَطِفَهُ يَخْطَفُهُ ، من باب تَعِبَ : اسْتَلَبَهُ بسرعة ، وخَطَفَهُ خَطْفاً من باب ضَرَبَ لُغَة . واخْتَطَفَ وتَخَطَّفَ مِثْله [٦] .

وباستقراء كتب التفسير واللغة والقراءات نجد أن القراءتين بمعنى واحد . قال سيبويه :

(١) المحتسب : ٢ / ١٦٠ .

(٢) معاني القرآن : ٢ / ٣١٥ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٠٧ .

(٤) البقرة : الآية (٢٠) .

(٥) البحر المحيط : ١ / ٢٢٧ .

(٦) لسان العرب : ٢ / ١٢٠٠ ، والمصباح المنير : ١ / ١٧٤ (خ ط ف) .

خَطِفَهُ واخْتَطَفَهُ ، كما قالوا نَزَعَهُ وانْتَزَعَهُ [1] وهما بمعنى واحد [2] . وقال الزَّجَّـاج : " ومعنى خَطفْتُ الشيءَ في اللغة واخْتَطَفْتُهُ : أَخَذْتُهُ بسُرْعَة [3] ، وقال صاحب القاموس : " خَطِفَ البَرْقُ البَصَرَ : ذَهَبَ به كاخْتَطَفَهُ " [4] .

والمعنى على هاتين القراءتين : تكاد حُجَجُ القرآن وبراهينُه الساطعة تَبْهَرُ المنافقين ، فقد جاء من البيان ما يَهُزُّهُمْ .

ومَنْ جَعَلَ البَرْقَ مثلاً للتخويف ، فالمعنى أن خوفَهم مما يَنْزِل بهم يكادُ يُذْهِبُ أبصارَهم [5] .

وأرَى أن في قراءة عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ (يَخْتَطِفُ) مبالغة في معنى الفِعْل وهو الاسْتِلاب والأَخْذ بسرعة ، فكَأَنَّ البرقَ يَجْتَهِدُ ويَطْلُبُ خَطْفَ أبصارِ المنافقين [6] .

١٠ ـ فَعَّلَ ، وأَفْعَلَ :

[كَذَّبَ ، وأَكْذَبَ]

في قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [7] .

قرأ الجمهور (يُكَذِّبُونَكَ) بضم الياء وتشديد الذال ، وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ

---

(1) لسان العرب : ٢ / ١٢٠٠ (خ ط ف) .

(2) المصباح المنير : ٢ / ٦٠٠ (ن ز ع) .

(3) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٩٦ .

(4) القاموس المحيط : (خ ط ف) .

(5) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٢٦٨ .

(6) ينظر : شذا العرف ص ٤٢ ، ٤٣ .

(7) الأنعام : الآية (٣٣) .

(يُكْذِبُونَكَ) بضم الياء وإسكان الكاف وكسر الذال المخففة [١] .

والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، وابن عامر : (لَا يُكَذِّبُونَكَ) مُشَدَّدَة ، من (كَذَّبَ) ، وقرأ نافع ، والكِسائي (لَا يُكْذِبُونَكَ) مُخَفَّفَة ، من (أَكْذَبَ) [٢] .

الكَذِبُ : هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو سواءً فيه العَمْد والخَطَأُ [٣] .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هناك اختلافاً بين القراءتين في الدلالة . فمعنى قراءة التشديد (لَا يُكَذِّبُونَكَ) عند أهل اللغة : لا يَنْسِبُونَكَ إلى الكَذِب ، ولَا يَرُدُّونَ عليك ما قُلْتَ .

حَكَى الكِسائي أن العرب تقول : كَذَّبْتُ الرجلَ، إذا نَسَبْتَ إليه الكَذِب[٤] وقال عبد الله بن مسلم (توفى في حدود سنة ٢٢٠ هـ) : " فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) ، أي لَا يَنْسُبُونَكَ إلى الكَذِب تقول : كَذَّبْتُ الرجلَ ، أي : نَسَبْتُهُ إلى الكَذِب ، وظَلَّمْتُهُ ، أي : نَسَبْتُهُ إلى الظُّلْم [٥] . وقال الزَّجَّاج : " ومعنى كَذَّبْتُهُ : قلت له كذبت . وتَفْسِير قوله : (لَا يُكَذِّبُونَكَ) ، أي : لَا يَقْدِرُون أن يقولوا لك فيما أَنْبَأْتَ به مما في كُتُبِهِم كَذَبْتَ . ووجه آخر : إنهم لَا يُكَذِّبُونَكَ بِقُلُوبِهِم ، أي يَعْلَمُون أنك صادق ، لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان يسمى فيهم الأمين قبل الرسالة ، ولكنهم جَحَدُوا بألسنتهم ما تَشْهَد قلوبهم [٦] . وقال بعضهم : المعنى لَا يُكَذِّبُونَكَ على التَّعْيِين ، بل يُكَذِّبُونَ جميع الأنبياء والرُّسُل . وقال قَتَادَة والسُّدِّي : لَا يُكَذِّبُونَكَ بِحُجَّة ، وإنما هو تكذيب عِناد وَبَهْت [٧] .

وأما قراءة التخفيف (لَا يُكْذِبُونَكَ) فمعناها ـــ والله أعلم ـــ : لَا يَجِدُونَكَ تأتي بالكَذِب

---

(١) معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٣١، والجامع لأحكام القرآن : ٣ /٢٥٠١، والبحر المحيط : ٤ / ١١٦ .

(٢) السبعة في القراءات ص ٢٥٧ ، والنشر : ٢ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ١٠

(٣) المصباح المنير (ك ذ ب) ٢ / ٥٢٨ .

(٤) البحر المحيط : ٤ / ١١٦ .

(٥) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٤٢٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٧) البحر المحيط : ٤ / ١١٦ .

كما تقول : أَكْذَبْتُهُ : وَجَدْتُهُ كَذَّاباً ، وأَبْخَلْتُهُ : وَجَدْتُهُ بَخِيلاً ، أي لَا يَجِدُونَكَ كَذَّاباً إن تدبروا ما جِئْتَ به . ويجوز أن يكون المعنى : لا يُثْبِتُونَ عليك أنك كَاذِبٌ ؛ لأنه يقال : أَكْذَبْتُهُ ، إذا احْتَجَجْتَ عليه وَبَيَّنْتَ أنه كَاذِبٌ (١) .

قال الفَرَّاءُ : " ومعنى التخفيف ـــ والله أعلم ـــ : لا يَجْعَلُونَكَ كَذَّاباً ، وإنما يريدون أَنَّ ما جئتَ به باطلٌ ؛ لأنهم لم يُجَرِّبُوا عليه (صلى الله عليه وسلم) كَذِباً فَيُكَذِّبُوهُ وإنما أَكْذَبُوهُ ، أي ما جِئْتَ به كَذِبٌ لا نَعْرِفُهُ " (٢) . وحكى الكِسائي عن العرب : أَكْذَبْتُ الرجلَ ، إذا أخبرتَ أنه جاء بالكَذِب وَرَوَاهُ (٣). وقال الزَّجَّاج : ومعنى أَكْذَبْتُهُ : ادَّعَيْتَ أَنَّ ما أتى به كَذِب (٤) .

ورُوِىَ عن عليّ بن أبي طالب ـــ كَرَّم الله وجهه ـــ أنه قال : إن أبا جهل قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) إنَّا لَا نُكَذِّبُكَ ، إنك عندنا لصادق ، ولكن نُكَذِّبُ الذي جِئْتَ به .

ويُعَضِّدُ هذا قوله ـــ تعالى ـــ : (وَكَذَّبَ به قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ) (٥)، أي قالوا : ما جئتنا به كَذِب ، إذ لم يقل : وَكَذَّبَكَ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ ، كأنهم قالوا: هو كَذِبٌ أَخَذْتَهُ عن غَيْرِكَ (٦) .

وحاصل ما تقدم في معنى القراءتين أن التكذيب نسبة الكذب إليه ، والإكذاب نسبة الكَذِب إلى ما جاء به .

وأَرَى أن القراءتين بمعنى واحد ، فـ (فَعَّلَ) و(أَفْعَلَ) كثيراً ما يتعاقبان على المعنى الواحد .

قال سيبويه : " وقد يجيء الشيء على (فَعَّلْتُ) فيشرك (أَفْعَلْتُ)... وذلك قولك :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٥٠١ .

(٢) معاني القرآن : ١ / ٣٣١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٥٠١ ، ٢٥٠٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٢٤٢ .

(٥) الأنعام : من الآية (٦٦) .

(٦) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٢٤٧ .

فَرِحَ وفَرَّحْتُهُ ، وإن شئت قلت أَفْرَحْتُهُ ، كما تقول : فَزَّعْتُهُ وأَفْزَعْتُهُ " [١] ، ثم قال ــ أيضاً ــ : " وقد يجيء (فَعَّلْتُ) و(أفعلْتُ) في معنى واحد ، وذلك خَبَّرْتُ وأَخْبَرْتُ ، وسَمَّيْتُ وأَسْمَيْتُ " [٢] .

وقال ثعلب : " أَكْذَبَهُ وكَذَّبَهُ بمعنى " [٣] ، وقال القُرْطُبي وأبو حَيّان : هما بمعنى واحد ، كحَزَّنْتُهُ وأَحْزَنْتُهُ ، وَكَثَّرَ وأَكْثَرَ [٤] ، وقال أَبُو زُرْعَة : " وكانَ قوم من أهل العربية يذهبون إلى أنهما مثل : أَوْفَيْتُ الرجلَ حَقَّهُ ووَفَّيْتُهُ ، وأَعْظَمْتُهُ وعَظَّمْتُهُ " [٥] .

ورَجَّحَ بعضهم قراءة عَلِيٍّ بالتخفيف[٦]، ولا ترجيح بين المتواترين . ولعل عَلِياً ــ رضي الله عنه ــ آثر (أَفْعَلَ) لأنها لغة أهل الحجاز ، كما أن (فَعَّلَ) المُضَعَّف لغة تميم ، ومما يؤيد أن (أفْعَلَ) لغة أهل الحجاز قراءة نافع (المدني) بها .

والمعنى على هاتين القراءتين : أَنَّ تَكْذِيبَكَ أمرٌ رَاجِعٌ إلى الله ــ تعالى ــ لأنك رسوله المُصَدَّق بالمعجزات ، فهم لاَ يُكَذِّبُونَكَ في الحقيقة ، وإنما يُكَذِّبُونَ الله بجحودِ آياته [٧] .

[أسلَمَ ، وسلَّمَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٨].

قرأ الجمهور (وَمَنْ يُسْلِمْ) مضارع (أَسْلَمَ) ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ والسُّلَمِيُّ

---

(١) الكتاب : ٤ / ٥٥ .

(٢) المصدر السابق : ٤ / ٦٢ .

(٣) لسان العرب (ك ذ ب) ٥ / ٣٨٤٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٥٠١ ، والبحر المحيط : ٤ / ١١٦ .

(٥) حجة القراءات ص ٢٤٨ .

(٦) البحر المحيط : ٤ / ١١٦ .

(٧) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٨) لقمان : الآية (٢٢) .

وعبد الله بن مسلم بن يَسار (يُسَلِّم) بفتح السين وتشديد اللام ، مضارع (سَلَّمَ) [(١)] .

الإسلام : الانقياد . يقال : فلانٌ مُسْلِمٌ . وفيه قولان :

أحدهما : هو المستسلم لأمر الله .

والثاني : هو المخلص لله العبادة . والتسليم : استقبال القضاء بالرضا ، أو هو الانقياد لأمر الله ـــ تعالى ـــ وترك الاعتراض بما يلائم [(٢)] .

وباستقراء كتب التفسير واللغة نجد أن القراءتين بمعنى واحد . قال الفراء : " هو كقولك للرجل أَسْلِمْ أَمْرَكَ إلى الله وَسَلِّمْ " [(٣)] وكذا قال الزَّمَخْشَرِيّ [(٤)] وقال صاحب القاموس : " أَسْلَمَ أَمْرَهُ إلى الله ـــ تعالى ـــ : سَلَّمَهُ " [(٥)] .

وجعل الفَيُّوميّ قراءة التشديد (يُسَلِّمْ) لغة ، حيث قال : " أَسْلَمَ أَمْرَهُ لله ، وَسَلَّمَ أَمْرَهُ لله بالتثقيل ، لغة " [(٦)] . وقد نُسِبَتْ صيغة (فَعَّلَ) ـــ سابقاً ـــ إلى تَمِيم ، وهذا دليل على أن اللهجات لا تعرف الاطراد .

ويرى بعض العلماء أن قراءة عليٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ (يُسَلِّمْ) بالتشديد أَعْرَف ، فهي تدل على التكثير [(٧)] . وربما آثر عَلِيٌّ التضعيف ؛ لما فيه من قوة في الدلالة على المعنى [(٨)] .

والمعنى على هاتين القراءتين : وَمَنْ يُخْلِصْ عبادَتَهُ وقَصْدَهُ إلى الله ـــ تعالى ـــ وهو مُحْسِنٌ ،

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٧ ، والكشاف : ٣ / ٥٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٣١ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٨٥٨ .

(٢) لسان العرب (س ل م) ٣ / ٢٠٨٠ ، والتعريفات ، للجرجاني ص ٣٧ .

(٣) معاني القرآن : ٢ / ٣٢٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٣٢ .

(٥) القاموس المحيط (س ل م) ص ١٤٤٨ .

(٦) المصباح المنير (س ل م) ١ / ٢٨٧ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٣١ .

(٨) ينظر : لغة تميم ص ٣٨٦ ، وقراءة الجحدري ص ٢٣٩ .

لأن العبادة من غير إحسان ولا معرفة القلب لا تنفع ، فقد اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وهي لا إله إلا الله ، كما قال ابن عباس ، رضي الله عنه [1] .

وفي قوله تعالى : (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) [2] . قرأ الجمهور (أَسْلَمَا) وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (سَلَّمَا) بحذف الألف الأولى ، وتشديد اللام [3] .

قراءة الجمهور (فَلَمَّا أَسْلَمَا) ، أي إبراهيم وإسماعيل ، بمعنى فَوَّضَا وأَطَاعَا ، وانْقَادَا لأمر الله ــ تعالى ــ وخَضَعَا له [4] . وقال الزَّجَّاج : " (أَسْلَمَا) اسْتَسْلَمَا لأمر الله ، رَضِيَ إبراهيمُ بأن يَذْبَحَ ابْنَهُ ، وَرَضِيَ ابْنُهُ بأنْ يُذْبَحَ تصديقاً للرُّؤْيَا وطاعةً للهِ [5] .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (فَلَمَّا سَلَّمَا) فمن التسليم ، أي : سَلَّمَا أَنْفُسَهُمَا وآراءهما كالتسليم باليَدِ ، لِمَا أُمِرَا بِهِ ، ولم يُخَالِفَا ما أُرِيدَ منهما ، وذلك كما تقول : إذا أصابتك مصيبة فَسَلِّمْ لأمرِ الله ، أي فَارْضَ بِهِ ، والمراد : فَوَّضَا أَمْرَهُمَا إلى اللهِ [6] .

ومعنى القراءتين متقارب ، بل إن بعض العلماء نَصَّ على أن معناهما واحد . قال أبو حَيَّان : " (فَلَمَّا أَسْلَمَا) ، أي : لأمرِ الله ، ويقال : اسْتَسْلَمَ وسَلَّمَ بمعناها " [7] .

وأرى أن القراءتين متفقتان في معنى امتثال أمر الله والاستسلام له ، وتفويض الأمر إليه في قضائه وقَدَرِه ، وإن دلت قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ على معنى التأكيد والتكرير المستفاد من التضعيف .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٣١ .

(2) الصافات : الآية (١٠٣) .

(3) المحتسب : ٢ / ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٤٣ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٥٥ ، وفتح القدير : ٤ / ٤٠٤ .

(4) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٩٠ ، والمحتسب : ٢ / ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٤٣ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٥٥ .

(5) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٤ / ٣١١ .

(6) معاني القرآن : ٢ / ٣٩٠ ، والمحتسب : ٢ / ٢٢٢ .

(7) البحر المحيط : ٧ / ٣٥٥ .

ثانياً : أبنية الأسماء ودلالتها :

١ ـ فَعَلٌ ، وفُعَل :

[سَلَف ، وسُلَف]

في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ ﴾ (١) . قرأ الجمهور (سَلَفاً) بفتح السين واللام ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (سُلَفاً) بضم السين وفتح اللام (٢) .

السَّلَفُ ، مصدر سَلَف يَسْلُفُ سَلَفاً . وسَلَفُ الرجلِ : آباؤُهُ المتقدمون ، والجمع أَسْلَافٌ وسُلَّافٌ ، وقيل : هو جَمْع سَالِفٍ ، كحَارِسٍ وحَرَس ، وحقيقته أنه اسْمُ جَمْع ، لأن فَعَلاً ليس من أبنية الجموع المُكَسَّرَة . قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ يرْثي قَوْمَهُ :

مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمُ　　　وَصَرْفُ المَنَايَا بالرِّجَالِ تَقَلَّبُ (٣) .

أراد أنهم تَقدَّمُونَا ، وقَصْدُ سَبِيلنَا عليهم ، أيْ أنْ نَمُوتَ كما مَاتُوا (٤) .

قراءة الجمهور (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً) ، أي جعلنا قومَ فرعون سَلَفاً متقدمين ، لِيَتَّعِظَ بهم الآخرون ، وقال أَبُو مِجْلَز : (سَلَفاً) لِمَنْ عَمِل عَمَلَهُمْ و(مَثَلاً) لِمَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وقال مجاهد : " (سَلَفاً) إخباراً لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، و(مَثَلاً) ، أي : عِظَةً وعِبْرَةً لمن يأتِي بعدهم (٥) .

وأما قراءة علِيّ ــ رضي الله عنه ــ (سُلَفاً) : جَمْعُ سُلْفَةٍ ، فمعناها ، فِرَقاً قَدْ مَضَتْ (٦) والقراءتان متقاربتان في المعنى .

---

(١) الزخرف : الآية (٥٦) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٤٩ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٤ ، وفتح القدير : ٤ / ٥٦٠ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص ٤٠ ، ولسان العرب (س ل ف) ٤ / ٢٠٦٩ .

(٤) لسان العرب (س ل ف) ٣ / ٢٠٦٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٤٩ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٤٩ .

٢ ـ فَعَلَ ، وإفْعَال :

[حَسَنَ ، وإحْسَان]

في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

قرأ أهل الكوفة (عاصم وحمزة والكِسائي وخَلَف) " إِحْسَانًا " بزيادة همزة مكسورة فحاء ساكنة ، وفتح السين وألف بعدها ، وقر عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ والسُّلَمِيٌّ وعيسى بن عُمَر (حَسَناً) بفتح الحاء والسين من غير ألف (٢) .

الإحسان : خلاف الإساءة ، وأَحْسَنْتُ فَعَلْتُ الحَسَنَ (٣) .

قراءة الكوفيين (إِحْسَاناً)بالألف مصدراً من (أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَاناً) لأن معنى (وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أي : أمرناه بأن يُحْسِنَ إليهما إِحْسَاناً ، أي لِيَأْتِيَ الإحسانَ إليهما دون الإساءة . وقيل : (إِحْسَاناً) مفعول به ، على تضمين (وَصَّيْنَا) معنى أَلْزَمْنَا ، فيتعدى لاثنين هو ثانيهما .

وحُجَّة هؤلاء قوله تعالى في سورة (الأنعام وبني إسرائيل) : " وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " وكذا هو في مصاحف الكوفة (٤) .

وأما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (حَسَناً) فإنها تحتمل وجهين:

---

(١) الأحقاف : الآية (١٥) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٩، والمحتسب : ٢ /٢٦٥، والبحر المحيط : ٨ / ٦٠ ، وفتح القدير : ٥ / ١٧ .

(٣) لسان العرب٢ / ٨٧٨ ، والمصباح المنير : ١ / ١٣٦ (ح س ن) .

(٤) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٦٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٢٤١ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٤٧٠ .

الأول : أن يكون(حَسَناً) ــ هنا ــ مصدراً ، كالمصادر التي أُعتقب عليها الفُعْلُ والفَعَلُ ، نحـو الشُّغُل والشَّغَل ، والبُخْل والبَخَل ، وعلى هذا فالحَسَنُ لُغَةٌ في الحُسْنِ ، مثل : العُرْب والعَرَب .

والثاني : أن يكون (الحَسَنُ) ــ هنا ــ اسماً لا مصدراً ، أي : وَصَّيْنَاهُ بوَالِدَيْهِ فِعْلاً حَسَناً ، وَنَصَبَهُ وَصَّيْنَاهُ بِهِ ، لأنه يُفِيدُ مفاد أَلْزَمْنَاهُ الحَسَنَ فِي أَبَوَيْهِ ، وإن شئتَ قلتَ : هو منصـوب بفعْلٍ غير هذا ، لا بنفس هذا ؛ فيكون منصوباً بنفس أَلْزَمْنَاهُ ؛ لأنه في معناه [1].

٣ ـ فَعِلٌ ، وفَاعِل :

[وَرِق ، ووَارِق]

في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً ﴾ [2] .

قرأ الجمهور (بِوَرِقِكُمْ) بفتح الواو وكسر الراء والقاف ، وقرأ عَلِيّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ (بِوَارِقِكُمْ) على وزن (فَاعِل) [3].

الوَرِق ، بكسر الراء : الدراهم من الفضة المَضْرُوبة ، ومنهم من يقول : مَضْرُوبة كانت أو غير مَضْرُوبة [4] .

قراءة الجمهور (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ) وهو تمليخاً ــ كان أصغرهم ــ (بِوَرِقِكُمْ) ، أي بِفِضَّتِكُمْ هِذِهِ ، وذلك أنهم كانوا قد اسْتَصْحَبُوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها ، فتَصَدَّقُوا منها وبَقِيَ منها ، فلهذا قالوا : فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هِذِهِ إِلَى المَدِينَةِ ، أي مدينتكم التي خرجتم

(١) المحتسب : ٢ / ٢٦٥ ، وإعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢) الكهف : الآية (١٩) .

(٣) البحر المحيط : ٦ / ١٠٧ .

(٤) لسان العرب : ٦ / ٤٨١٦ ، والمصباح المنير: ٢ / ٦٥٥ .

منها، وهي أَقَسُوس ، ويقال هي طَرَسُوس ، وكان اسمها في الجاهلية أَقَسُوس ، فلما جاء الإسلام سموها طَرَسُوس [1] .

وأما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ (بَوارِقِكُمْ) فالوَارِقُ ذُو الوَرق ، مثل تَامِر ولاَبِن وهو تمليخا كما تقدم .

٤ ـ فَعِلٌ ، وفَعَال :

[كَلِم ، وكَلاَم]

في قوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ ﴾ [2] .

قرأ الجمهور(الكَلِمَ) بفتح الكاف وكسر اللام ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ والسُّلَمِيُّ (الكَلاَمَ) بفتح الكاف واللام بعدها ألف [3] .

الكَلِمُ : اسم جنس جمعي ، أي يدل على جماعة من الكلمات ، وذلك ثلاثة فأكثر، وواحده كَلِمَة مثل : لَبِن وَلَبِنَة ، ونَبِق ونَبِقَة ، والكَلِمُ يُذكَّر ويُؤنَّث يقال : هو الكَلِمُ ، وهي الكَلِمَ [4] .

وباستقراء كتب التفسير والقراءات واللغة نجد أن القراءتين بمعنى واحد . قال أبو حَيَّان " الكَلِمُ " يطلق في لغة العرب على " الكَلاَم " ، قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [6] ، وقال الشاعر :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤١٠٥ .

(٢) النساء : من الآية (٤٦) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ٢٦ .

(٤) ضياء السالك : ١ / ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) فاطر : من الآية (١٠) .

(٦) النساء من الآية (٤٦) ، المائدة من الآية (١٣) .

أَخْشَى عَذَابَكَ إِنْ قَدَرْتَ وَلَمْ أُعْذَرْ ، فَيُؤْثِر بَيْنَنَا الكَلِمُ .

وقال آخر :

غَرَّاء أَكْمَل مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ حُسْناً ، وأَمْلَح مَنْ حَاوَرْتُهُ الكَلِمَا .

وقال آخر :

أَخْشَى فَظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أَخٍ وَكُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا مِن أَذَى الكَلِمِ [1].

والمعنى على هاتين القراءتين : أن يهودَ المدينة وما والاها كانوا يَتأَوَّلُونَ التوراة بغير التأويل الذي تقتضيه معاني ألفاظها ، لأمور يختاروها ويتوصلون بها إلى أموال سفلتهم ، هذا قول الجمهور . وقالت طائفة : كانوا يتأولون كَلِمَ القرآن . وقال ابن عباس : كَلِمَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد كان اليهود يأتون الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويسألونه عن الأمر فيخبرهم ، ويرى أنهم يأخذون بقوله ، فإذا انصرفوا من عنده حَرَّفُوا الكَلاَمَ . وقيل : (عَن مَّوَاضِعِه) يعني صِفَة النبي (صلى الله عليه وسلم) (وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) أي : سَمِعْنَا قولَك وعَصَيْنَا أَمْرَكَ [2] .

ويرى النَّحَّاسُ أن قراءة الجمهور — هنا — أولى . قال : " والكَلِمُ في هذا أَوْلَى ، لأنهم إنما يُحَرِّفُونَ كَلِمَ النبي (صلى الله عليه وسلم) أو ما عندهم في التوراة ، وليس يُحَرِّفُونَ جميعَ الكلام " [3] .

وأرَى أن بين القراءتين ، أي بين (الكَلِم) و (الكَلاَم) عموماً وخصوصاً من وجه ، فـ (الكَلِم) أَعَمُّ من جهة المعنى ، لأنه يطلق على المفيد وغيره ، وأما (الكَلام) فلا يطلق إلا على المفيد ، كما أن (الكَلِم) أَخَصّ من جهة اللفظ ، لكونه لا يطلق على المركب من كلمتين .

وعلى هذا ، فقراءة الإمام عَلِيّ — رضي الله عنه — أَخَصّ من جهة المعنى ؛ لأن الكَلام

---

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي : ٢٩/١ ، ٣٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ ، والبحر المحيط : ٣ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٩٠٧ .

لا يطلق إلا على المفيد ، والكلم يطلق على المفيد وغيره ، وأَعَمُّ من جهة اللفظ ؛ لأن الكَلِمَ لا يطلق إلا على ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ، وأما الكَلَام فإنه يشمل ما تركب من كلمتين فأكثر (١) .

٥ ـ فِعْل ، وفِعَال :

[رِيش ، ورِيَاش]

في قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٢) .

قرأ الجمهور (وَرِيشًا) بكسر الراء وسكون الياء ، وقرأ عَلِيّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (وَرِيَاشًا) بكسر الراء وفتح الياء بعدها ألف(٣) .

الرِّيشُ : كِسْوَةُ الطائر ، والجمع أَرْيَاشٌ ورِيَاشٌ . والذي عليه أكثر أهل اللغة أن الرِّيشَ : ما سَتَرَ من لباسٍ أو مَعِيشَةٍ ، وقال بعضهم : هو لِبَاسُ الزينة ، اسْتُعِيرَ من رِيشِ الطائر ؛ لأنه لِبَاسُه وزِينَتَهُ . وقيل : هو الخِصْبُ ورَفَاهِيَةُ العَيْشِ (٤) .

قراءة الجمهور (وَرِيشًا) معناها : أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يمتن على عباده بما جعل لهم من اللباس والرِّيشِ . فاللباسُ : سَتْرُ العورات ، وهي السَّوْءَات ، والرِّيشُ : ما يتجمَّل به ظاهراً من اللباس الحَسَن الفاخر، وما يعيش به من المال والأثاث . يقال : تَرَيَّشَ فلانٌ ، أي : صار لهُ ما يَعِيشُ به من سَعَة الرزق ورَفَاهِيَة العَيْش (٥) .

---

(١) ضياء السالك : ١ / ٢٢ / ٢٣ .

(٢) الأعراف : الآية (٢٦) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ٤٣ ، وجزء فيه قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم) ص ٩٨ .

(٤) لسان العرب ، والقاموس المحيط (ر ي ش) ، والجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٧٠٢ ، والبحر المحيط : ٤ / ٢٨٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٣٢٨ ، والبحر المحيط : ٤ / ٢٨٣ ، وتفسير ابن كثير : ٢ / ٢٠٧ .

قال الشاعر :

فَرِيشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعكُمْ وإنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا [1] .

وأما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ (وَرِيَاشاً) فإنها تحتمل ثلاثة أوجه :

الأول : أن تكون بمعنى قراءة الجمهور ، فقد نَصَّ كثيرمن العلماء على أن (الرِّيَش) ، و(الرِّيَاش) بمعنى واحد ، قال ابن منظور: " والرِّيشُ والرِّيَاشُ : الخِصْبُ ، والمعَاش ، والمال ، والأثاث ، واللِّبَاس الحَسَن الفَاخِر " [2] ، وقال القُتَيْبِيّ : " الرِّيشُ والرِّيَاشُ واحد ، وهما ما ظهر من اللِّباس " [3] ، وقال الفَرَّاء : " الرِّيَاشُ مصدر في معنى الرِّيش ، كما يقال : لِبْسٌ ولِبَاسٌ " [4] . وفي تفسير البحر المحيط : " هما مصدران بمعنى واحد . رَاشَهُ اللهُ يَرِيشُهُ رِيشاً ورِيَاشاً : أَنْعَمَ عليه " [5] ، وقال يُونس : " هما سواء " [6] .

والثاني : أن يكون (رِيَاشٌ) جمع (رِيشٍ) ، كشَعْبٍ وشِعَابٍ ، وَلِهْبٍ [7] ولِهَابٍ ، وَلِصْبٍ [8] وَلِصَابٍ ، وَشِقْبٍ [9] وشِقَابٍ [10] .

والثالث : أن يكون (الرِّيشُ) و (الرِّيَاشُ) لغتين : (فِعْلٌ) و(فِعَال) . قال الكِلابِيُّونَ : الرِّيَاشُ : ما كان من لِباس أو حَشْو ، من فِرَاش أو دِثار ، والرِّيشُ : المتاع والأموال .

---

(1) البيت لجرير ، ينظر : ديوانه ص ٥٠٦ ، وشرح المفصل : ٢ / ١٢٨ ، ٥ / ١٣٨ ، والأشموني : ٢ / ٢٥٦ .

(2) لسان العرب (ر ي ش) ٣ / ١٧٩٢ .

(3) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(4) معاني القرآن : ١ / ٣٧٥ .

(5) البحر المحيط : ٤ / ٢٨٣ .

(6) لسان العرب (ر ي ش) ٣ / ١٧٩٢ .

(7) اللهب : الصدع في الجبل ، والشعب : الصغير فيه .

(8) اللصب : الشعب الصغير في الجبل ، أضيق من اللهب ، وأوسع من الشعب .

(9) الشقب : مهواة ما بين جبلين ، أو صدع في كهوف الجبال .

(10) معاني القرآن : ١ / ٣٧٥ ، والمحتسب : ١ / ٢٤٦ ، والبحر المحيط :٤ / ٢٨٣ .

وقد يكون الرِّيشُ في الثياب دون المال • ويقال : هو حَسَنُ الرِّيشِ ، أي الثياب •
والرِّيَاشُ : القِشْرُ [1] [2] •

مما سبق نرى أن الرِّيشَ والرِّيَاشَ متداخلان في المعنى ، وهذا يترتب عليه التداخل في معنى القراءتين •

٦ ـ فُعْل ، وفَعَال

[رُشْد ، ورَشَاد]

في قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [3] •

قرأ الجمهور (سَبِيلَ الرُّشْدِ) بضم الراء وسكون الشين ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ (الرَّشَادِ) بفتح الراء والشين وألف بعد الشين [4] •

الرُّشْد : الصلاح وهو خلاف الغَيّ والضلال ــ وهو إصابة الصواب • رَشَدَ الإنسانُ ، بالفتح ، يَرْشُدُ رُشْداً ، بالضم ، وَرَشِدَ ، بالكسر ، يَرْشَدُ رَشَداً وَرَشَاداً ، إذا أصابَ وجه الأمر والطريق [5] •

وبمطالعة كتب اللغة والتفسير والقراءات نجد أن هاتين القراءتين بمعنى واحد • قال ابن منظور : " الرُّشْدُ ، والرَّشَادُ : نقيض الغَيّ " [6] • وقال أبو حَيَّان : " هما مصدران ، كالسُّقْم

---

(١) ما يطلق عليه القشر : كل ملبوس •
(٢) المحتسب : ١ / ٢٤٦ •
(٣) الأعراف : الآية (١٤٦) •
(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ٤٦ •
(٥) لسان العرب : ٣ / ١٦٤٩ ، والمصباح المنير : ١ / ٢٢٧ (ر ش د) •
(٦) لسان العرب (ر ش د) ٣ / ١٦٤٩ •

والسَّقَامِ " (١) وفسر القُرْطُبِي الرُّشْدَ بالرَّشَادِ (٢) .

والمعنى على هاتين القراءتين : أن هؤلاء المتكبرين يتركون طريق الصلاح ، وهو إصابة الصواب ، ويتبعون سبيل الضلال ، أي الكفر الذي يتخذونه دِينا (٣) .

٧ ـ فِعَال ، وفَاعَل :

[خِتَام ، وخَاتَم]

في قوله تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٤) .

قرأ الجمهور(خِتَامُهُ) بكسر الخاء وبعد التاء ألف، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ (خَاتَمُهُ) بفتح الخاء والتاء وألف بينهما (٥) .

والقراءتان متواترتان ، فقد قرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، ونافع (خِتَامُهُ) بكسر الخاء ، وبعدها تاء ، وبعدها ألف ، بوزن (فِعَال) ، وقرأ الكِسائي (خَاتَمُهُ) بفتح الخاء وألف بعدها ، ثم تاء مفتوحة ، بوزن (فَاعَل) (٦) .

خِتَام كل مَشْرُوب : آخِرُه . وقال عَلْقَمَةُ : خِلْطُهُ . وقال ابن مسعود: عَاقِبَتُهُ (٧) .

وقراءة الجمهور (خِتَامُهُ) ، وهي قراءة أهل الحجاز تحتمل معنيين :

---

(١) البحر المحيط : ٤ / ٣٨٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٨١٢ .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، وتفسير ابن كثير: ٢ / ٢٤٧ .

(٤) المطففين : الآيتان (٢٥) ، (٢٦) .

(٥) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٤٨ ، وإعراب القرآن ، للنحاس : ٥ / ١٨١ ، وجامع البيان ، للطبري : ٣٠ / ٦٨ ، والكشف ، لمكي : ٢ / ٣٦٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ٧٣٠ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٣٤ ، وفتح القدير : ٥ / ٤٠٣ .

(٦) السبعة في القراءات ص ٦٧٦، النشر : ٢ / ٣٩٩، وإتحاف فضلاء البشر: ٢ /٥٩٧ .

(٧) لسان العرب : ٢ / ١١٠١(خ ت م) .

الأول : أن الأبرار وهم أصحاب اليمين ، وقيل : أهل الصدقة والطاعة يُسْقَوْن من شراب لا غِشَّ فيه ، وهو صَفْوَةُ الخَمْر، مَمْزُوج خِلْطُه ومِزَاجُهُ مِسْك [1] .

والثاني : أن هؤلاء إذا شربوا هذا الرحيق فَفَنِيَ ما في الكأس وانقطع الشرب انْخُتِمَ ذلك بطَعْم المسْك ورائحته ، أي وَجدُوا عند آخر طَعْمِهِ رائحةَ المِسْك [2] . قال القُرْطُبيّ عن هذا المعنى : " وهو حَسَنٌ ؛ لأن سبيل الأشربة أن يكون الكَدَرُ في آخِرِها ، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحةَ آخِرِه رائحةُ المِسْكِ " [3] .

وأما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (خَاتَمُهُ) فهي تحتمل معنيين أيضاً:

أحدهما : أنّ (خَاتَمُهُ) بمعنى آخِره ، أي : آخِره الذي يُخْتَمُ به ويُقْطَعُ . قال الفَرَّاءُ : " أَمَا رَأَيْتَ المرأة تقول للعَطّارِ : اجْعَلْ لِي خَاتَمَهُ مِسْكاً . تريد : آخِره " [4] .

وثانيهما : أن الخَاتَمَ هو الذي يُخْتَمُ به الكأسُ . والمعنى : يُسْقَوْنَ من شَرابٍ مختومٍ بخَاتَمٍ من مِسْك [5] .

وأرى أن القراءتين متقاربتان في المعنى ، ولا فرق بينهما إلا أن (الخِتَامَ) في قراءة الجمهور مصدر يقال : خَتَمَهُ يَخْتِمُهُ خَتْماً وخِتَاماً . و (الخَاتَمُ) في قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ اسْمٌ . ومِثْلُ الخَاتَمِ ، والخِتَام قولك للرجل : هو كَرِيمُ الطَّابَعِ ، والطِّبَاعِ .

ويمكن أن نقول في معناهما : أن هؤلاء إذا شرب أحدهم الكأس وجد آخِرَ شَرَابِهِ رائحة المِسْك [6] .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٣٠٠ ، ٧٣٠١ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٣٤ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٣٠١ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٣٠١ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٣٠١ .

(4) معاني القرآن : ٣ / ٢٤٨ .

(5) حجة القراءات لأبي زرعة ص ٧٥٥ .

(6) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٤٨ ، وحجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٧٥٤ .

٨ ـ فُعَال ، وفُعَّال :

[عُجَاب ، وعُجَّاب]

في قوله تعالى : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [(١)]. قرأ الجمهور (عُجَابٌ) بضم العين وفتح الجيم مخففة ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ والسُّلَمِيُّ وعيسى بن عُمَر (عُجَّابٌ) بشد الجيم [(٢)] .

أصل العَجَبِ في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويَقِلُّ مثله قال : عَجِبْتُ من كذا وكذا . والعَجِيبُ : الأمر الذي يُتَعَجَّبُ منه . والعُجَابُ : الذي تجاوَزَ حد العجب ، مثل الطُّويل والطُّوَال . والعُجَّابُ ، بالتشديد أكثر منه [(٣)].

وقد نَصَّ كثير من علماء التفسير ، والقراءات ، واللغة على أن القراءتين لغتان بمعنى واحد .

قال القُرْطُبِيّ :" والعُجَابُ والعُجَّابُ والعَجَبُ سَواء " [(٤)] وقال الفَرَّاء : " والعرب تقول : رَجُلٌ كَرِيمٌ وكُرَّامٌ وكُرَامٌ ، والمعنى كله واحد " [(٥)] . وقال الزَّجَّاج : "عُجَاب" في معنى عَجِيب ، ويجوز (عُجَّاب) في معنى عَجِيب" [(٦)] .

قال ابن جني : " قد كثر عنهم مجيء الصفة على (فَعِيل) و(فُعَال) ــ بالتخفيف ــ و(فُعَّال) ــ بالتشديد ــ قالوا : رَجلٌ وَضِيءٌ وَوُضَّاء ... ومِثْلُهُ : رجلٌ كَرِيمٌ ، وكُرَامٌ ، وكُرَّامٌ "[(٧)]، فجميع ما ذكرناه من نصوص لغوية بينها وجه اتفاق على أن العُجَّاب والعُجَاب بمعنى

---

(١) ص : الآية (٥) .

(٢) مختصر في شاذ القرآن ص ١٢٩، والبحر المحيط : ٧ / ٣٦٩، وفتح القدير: ٤/٤٢٠ .

(٣) العين : ١ / ٢٣٥ ، والصحاح : ٨ / ٥٧٩٠ (ع ج ب) ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٤ / ٣٠٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٩٠ .

(٥) معاني القرآن : ٢ / ٣٩٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٣٢١ .

(٧) المحتسب : ٢ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

واحد وهو العَجِيبُ .

والمعنى على هاتين القراءتين : أن الله ــ تعالى ــ يقول مخبراً عن المشركين وصناديد قريش في تعجبهم من أن المعبود واحد لا إله إلا هو ، فقد أنكر هؤلاء ذلك ، وقالوا : كيف يكون إله واحد يرزق الجميع وينظر في أمورهم ، لقد تلقى هؤلاء عن آبائهم عبادة الأوثان ، وأَشْرَبَتْهَا قلوبهم فلما دعاهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى خَلْع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أَعْظَمُوا ذلك وتَعَجَّبُوا ، وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [(١)] .

هذا ، وقد أفاد التشديد في قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ كثرة المبالغة في تَعَجُّبهم من جعل الآلهة إله واحداً ، فـ (فُعَّال) المُشَدَّد أبلغ من (فُعَال) المُخَفَّف ، كما أن صيغة (فُعَّال) في هذه القراءة تدل على إنكارهم الشديد لذلك . قال الزَّرْكَشي قال المعري : " (فَعِيل) إذا أريد به المبالغة نقل إلى (فُعَال) وإذا أريد به الزيادة شَدَّدُوا فقالوا (فُعَّال) ، وذلك مثل : عَجِيب وعُجَاب وعُجَّاب " [(٢)] .

وقد نَسَبَ بعضهم (عُجَّاب) في قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ إلى أَزْدِ شَنُوءة [(٣)] ووصفها بأنها لغة جيدة للمبالغة [(٤)] .

التفسير الصوتي :

أَزْد شَنُوءَة التي نُسِبَتْ إليها صيغة (عُجَّاب) من الأَزْد من القحطانية ، وهم بنو نصر بن الأَزْد [(٥)] وهي من القبائل البادية في جنوب الحجاز، فلا غرابة أن يكون نطق الإمام عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (عُجَّاب) بتشديد الجيم ، هو وليد التأثر بالبيئة البدوية نتيجة الاحتكاك .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤ / ٢٧ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٦٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٥١٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٩١ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٦٩ .

(٤) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٣٩١ .

(٥) نهاية الأرب ، للقلقشندي ص ٢٨٢ .

ومعلوم أن بيئة الحجاز التي ينتمي إليها الإمام عَلِيّ ــ كرَّم الله وجهه ــ تميل إلى الخِفَّة في النطق ، فربما آثر عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ هذه الصيغة تأثراً بالبيئة البدوية ، وربما قصد الدلالة على إنكارهم الشديد لأن يكون إلهاً واحداً ، ولم يكن هذا الأداء سبيلاً إلى تغيير معنى أو تنويع دلالة .

٩ ـ فِعَّال ، وفِعَال :

[كِذَّاب ، وكِذَاب]

في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ﴾ (١) . قرأ الجمهور (كِذَّاباً) بتشديد الذال وكسر الكاف ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (كِذَاباً) بالتخفيف (٢) .

الكَذِبُ : نقيضُ الصدق . يقال : كَذَّبَ بالأمر تَكْذِيباً وكِذَّاباً ، ويقال : كَذَبَ يَكْذِبُ كِذْباً وكِذَاباً وكِذَّاباً (٣) .

قراءة الجمهور (كِذَّاباً) بالتشديد ، مصدر كَذَّبَ يُكَذِّبُ كِذَّاباً ، وأصل مصدر (فَعَّلْتُ) إنما هو (فِعَّال) ، لأنك إذا جاوزت الثلاثة من الأفعال بالزيادة فوزن المصدر على وزن الفِعْل الماضي بزيادة الألف في المصدر قبل آخِره ، وذلك نحو : أَكْرَمْتُ إكْرَاماً ، وانْطَلَقْتُ انْطِلَاقاً ، فأصل مصدر(فَعَّلْتُ) إنما هو (فِعَّال) ؛ فمِنْ كَذَّبْتُهُ : كِذَّاباً ، وكَلَّمْتُهُ كِلَّاماً . قال سيبويه : قولهم (كَلَّمْتُهُ تَكْلِيماً وسَلَّمْتُهُ تَسْلِيماً وكَذَّبْتُهُ تَكْذِيباً) إنما كرهوا التضعيف ، فالتاء عوض من التضعيف، والياء التي قبل الآخِر كالألف في (كِذَّابا) (٤) . وقال الجَوْهَرِيّ : " (كِذَّاباً) أحدُ مصادر المُشَدَّد (كَذَّبَ) ، لأن مصدره قد يجيء على (التَّفْعِيل) ، مثل التَّكْلِيم ، وعلى (فِعَّال)

---

(١) النبأ : الآية (٢٨) .

(٢) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٢٩ ، والمحتسب : ٢ / ٣٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٢١٧ ، والبحر المحيط : ٨ : ٤٠٦ .

(٣) لسان العرب (ك ذ ب) ٥ / ٣٨٤٩ ، ٣٨٤١ .

(٤) الكتاب : ٤ / ٧٩ ، وينظر: حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٧٤٦ .

، مثل كِذَّاب "[1] . وقال الخَليل : " العرب تقول [كَذَّبتُه تَكْذِيباً ، ثم تجعل بدل التَّكْذِيب : كِذَّاباً][2] .

أما قراءة عَليٍّ ـ رضي الله عنه ـ (كِذَاباً) بالتخفيف ، فهو مصدر (كَذَبَ كِذَاباً) مثل كَتَبَهُ كِتَاباً وحَسَبَهُ حِسَاباً . قال الزَّمَخْشَرِيّ " (كِذَاباً) بالتخفيف ، مصدر (كَذَبَ) بدليل قوله

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا		وَالمَرْءُ يَنفَعُهُ كِذَابُهْ "[3] .

وقال المُبَرِّدُ : " وقد يكون (كِذَاباً) من قولك : (كَاذَبْتُه كِذَاباً) مثل قَاتَلْتُهُ قِتَالاً "[4] .

ويُعَضِّدُ هذه القراءة أن رؤوس الآيات من لدن قوله (أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً)[5] إلى آخر السورة على التخفيف . فكان التَّوْفِقَةُ بين نظام رؤوس الآيات أَوْلَى من مخالفتها .

والقراءتان بمعنى واحد . قال ابن جني : " يقال كَذَبَ يَكْذِبُ كِذْباً وكِذَاباً . وكَذَّبَ كِذَّاباً . بتثقيل الذال فيهما جميعاً . وقالوا أيضاً كِذَاباً . خفيفة "[6] فقد جاءا جميعاً مصدر (كَذَبَ) و (كَذَّبَ) جميعاً "[7] وقال أبو علي : التخفيف والتشديد جميعاً مصدر المُكَاذَبة[8].

ووصف الزَّجَّاج قراءة الجمهور(كِذَّاباً) بالكثرة والجودة . فقال : " و(كِذَّاباً) ، بالتشديد ، أكثر ، وهو في مصادر (فَعَّلْتُ) أَجْوَد من (فِعَال) "[9].

---

(1) الصحاح (ك ذ ب) .

(2) العين (ك ذ ب) ٥ / ٣٤٧ .

(3) الكشاف : ٤ / ٦٨٩ .

(4) الكامل في اللغة والأدب ٢ / ٥٦٤ .

(5) النبأ من الآية (٢٩) .

(6) المحتسب ٢ / ٣٤٨ .

(7) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٢١٧ .

(8) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(9) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٢٧٤ .

والمعنى العام من الآية على القراءتين : أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُخْبِر عن المَرَدَة العُصَاة المخالفين للرسل بأنهم يُكَذِّبُونَ بحُجَجِ الله ودَلائِله على خلقه التي أنزلها على رسله (صلوات الله وسلامه عليهم) فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة [١] .

حول نسبة ما جاء على (فِعَّال) :

عَزَا الكِسائي ، والفَرَّاء ، وابن سِيدَه ، وأبو حَيَّان ما جاء على (فِعَّال) إلى أهل اليمن . قال الكِسائي : " أهل اليمن يجعلون مَصْدر (فَعَّلْتُ) (فِعَّالاً) ، وغيرهم من العرب (تَفْعِيلاً) " [٢] .

وقال الفَرَّاءُ : " هي لغة يَمَانِيَة فصيحة . يقولون : كَذَّبْتُهُ كِذَّاباً ، وخَرَّقْتُ القَمِيصَ خِرَّاقاً ، وكل (فَعَّلْتُ) فمصدره (فِعَّال) ، في لغتهم ، مُشَدَّد . قال أعرابي منهم على المَرْوَة يَسْتَفْتِيني : آلْحَلْقُ أَحَبُّ إليكَ أم القِصَّارُ ؟ [٣] .

وأنشدني بعض بني كِلاب [٤] :

لَقَدْ طالَ ما ثَبَّطْتَني عن صَحَابَتي ... وعَنْ حَوْجٍ قِضَّاؤُهَا مِنْ شِفَائِيَا " [٥] .

وعَزَاها أيضاً إلى أهل اليمن ابن سِيده [٦] . وقال أبو حَيَّان : " هي لغة لبعض العرب يَمَانِيَة ، يقولون في مصدر (فَعَّلَ) (فِعَّالاً) وغيرهم يجعل مصدره على (تَفْعِيل) ، نحو : تَكْذِيب " [٧] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٦٣ . ٤٦٤ .

(٢) لسان العرب (ك ذ ب) ٥ / ٣٨٤١ .

(٣) يريد : التقصير أحب إليك أم حلق الرأس ؟ .

(٤) البيت من الطويل . ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٢١٧ ، وروح المعاني : ٣٠ / ٢٠ . ولسان العرب (ق ض ى) ٥ / ٣٦٦٦ .

(٥) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٢٩ .

(٦) المحكم (ك ذ ب) ٦ / ٩٤٢ .

(٧) البحر المحيط : ٨ / ٤٠٦ .

ووصف الزمخشري هذه اللغة بأنها " فاشية " . ووصف أهلها بـ " الفصاحة " فقال : " و(فِعَّال) في باب (فَعَّل) كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره ، وسمعني بعضهم أُفَسِّر آيةً فقال لقد فَسَّرْتَهَا فِسَّاراً ما سُمِعَ بِمِثْلِه "[1] .

كما وصف الفَرَّاء ـ فيما سبق ـ هذه اللغة بالفصاحة أيضاً .

ويرى صاحب الشَّافِيَة أن (فِعَّالاً) هو القياس ، وليس (التَّفْعِيل) كما في الفصحى[2] .

ونَسَبَ بعضهم ما جاء على (فِعَّال) ـ بالتخفيف ـ إلى أهل اليمن ، حيث قال : " وذلك لغة اليمن ، بأن جعلوا مصدر (كَذَّبَ) مخففاً (كِذَاباً) ـ بالتخفيف ـ مثل : كَتَبَ كِتَاباً . فصار المصدر ـ هنا ـ من معنى الفعل دون لفظه . مثل : أَعْطَيْتُهُ عَطَاءً "[3] .

١٠ ـ فاعلة . وفعلة

[صاعِقَة ، وصَعْقَة]

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّـهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾[4] .

قرأ الجمهور (الصَّاعِقَةُ) بالألف ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة (الصَّعْقَةُ) بسكون العين من غير ألف[5] .

الصَّاعِقَةُ صيحة العذاب ، والوَقْع الشديد من صَوْت الرَّعْد ، يَسْقُطُ معه قطعة من نار

---

(١) الكشاف . ٤ / ٦٨٩ .

(٢) الشافية . ١ / ١٦٦ .

(٣) البحر المحيط : ٨ / ٤٠٦ .

(٤) البقرة : الآية (٥٥) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ٥ ، والكشاف : ١ / ٢٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ١٤٤ ، والبحر المحيط : ١ / ٣٧٢ ، وفتح القدير : ١ / ٨٧ .

لا تصيب شيئاً إلا دَكَّتْهُ وأَحْرَقَتْهُ . وقال بعضهم : الصَّاعِقَةُ : كل عذابٍ مُهْلِك ، وهي فَاعِلَة بمعنى مُفْعِلَة (١) .

قراءة الجمهور (فَأَخَذَتْكُم الصَّاعِقَةُ) تحتمل ثلاثة معان :

الأول : فأخذتكم صيحةُ العذاب .

والثاني : أخذكم الوَقْع الشديد من صَوْت الرعد الذي يكون معه ــ أحياناً ــ قطعة نار تَحْرِقُ ما أَتَتْ عليه .

والثالث : أخذكم العذاب المُهْلِك (٢) .

وهذه المعاني متقاربة . والمراد : استولى عليكم وأحاط بكم ما تُصْعَقُونَ منه . أي تموتون بسببه .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (فَأَخَذَتْكُم الصَّعْقَةُ) فإنها تحتمل معنيين

أحدهما : أن تكون بمعنى قراءة الجمهور ، فقد قال أبو بكر النَّقاش : " يقال: صَاعِقَةٌ ، وصَعْقَةٌ ، وصَاقِعَةٌ بمعنى واحد " (٣) وذكر ابن منظور أن الصَّاعِقَة والصَّعْقَة : الصيحة يُغْشَى منها على من يَسْمَعُها أو يَمُوت (٤) .

وثانيهما : أن الصَّعْقَةَ : هي الصوت الذي يكون عن الصَّاعِقَة . قال الرَّاجز :

لاَحَ سَحَابٌ فَرَأَيْنَا بَرْقَهُ ثُمَّ تَدَلَّى فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ (٥)

وأرى أن القراءتين لغتان بمعنى واحد ، فقد قال بعضهم : " الصَّاعِقة " كل عذاب مُهْلِك

---

(١) العين : ١ / ١٢٩ ، ولسان العرب : ٣ / ٢٤٥٠ ، والمصباح المنير : ١ / ٣٤٠ (ص ع ق) .

(٢) العين : ١ / ١٢٩، ولسان العرب : ٣ / ٢٤٥٠ (ص ع ق) ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ٢٦٥ ، والبحر المحيط : ١ / ٣٧٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٢٦٥ .

(٤) لسان العرب : ٣ / ٢٤٥٠ (ص ع ق) .

(٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وفيها ثلاث لغات : صَاعِقَة ، وصَعْقَة ، وصَاقِعَة "[١] .

١١ ـ فعالة ، وفَعَلة

[أثارة ، وأثَرة]

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٢] .

قرأ الجمهور (أَوْ أَثَارَةٍ)، وقرأ ابن عباس (أَوْ أَثَرَةٍ) بفتح الثاء من غير ألف ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ والسُّلَمِيُّ (أَوْ أَثْرَةٍ) ساكنة الثاء[٣] .

الأَثَارَة من العلم : البقية منه تُؤْثَر. أي : تُرْوَى وتُذْكَر ، وأَثَرُ الدار : بَقِيَّتُهَا[٤] .

وبمطالعة كتب التفسير ، والقراءات ، واللغة نجد أن القراءات الثلاث هي لغات كلها بمعنى واحد . فقد قال الفَرَّاء ــ بعد أن ذكر هذه القراءات ــ: " والمعنى فيهن كلهن : بَقِيَّةٌ مــن علم ، أو شيء مأثور من كتب الأَوَّلِين . فمن قرأ (أَثَارَةٍ) فهو كالمصدر مثل قولك : السَّمَاحَة ، والشَّجَاعَة . ومن قرأ (أَثَرَةٍ) فإنه بناه على الأَثَر ، كما قيل : قَتَرَة . ومن قرأ (أَثْرَةٍ) كأنْ أراد مثل قوله : (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ)[٥] ، والرَّجْفَة "[٦] . وقال ابن جني : " الأَثَرَةُ والأَثَـارَةُ : البَقِيَّةُ ، وما يُؤْثَرُ . وهي من قولهم : أَثَرَ الحديثَ يَأْثُرُهُ أثْراً وأَثَرَةً . ويقولون : هَلْ عِنْدَكَ من هذا أَثَرَةٌ وأَثَارَةٌ ، أي : أَثَرٌ "[٧] .وقال العُكْبَرِي عن القراءات الثلاث : " هي لغات كلـها ، وهـي

---

(١) لسان العرب : ٣ / ٢٤٥٠ (ص ع ق) .

(٢) الأحقاف : الآية (٤) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٩، والمحتسب : ٢ / ٢٦٤، والبحر المحيط : ٨ / ٥٦، والفتوحات الإلهية : ٤ / ١٣٤ .

(٤) لسان العرب : ١ / ٢٥ ، والمصباح المنير : ١ / ٤ (أ ث ر) .

(٥) الصافات : من الآية (١٠) .

(٦) معاني القرآن : ٣ / ٥٠ .

(٧) المحتسب : ٢ / ٢٦٤ .

ما يُؤْثَرُ ، أي يُنْقَلُ ، أو ما يُؤْثَرُ ، أي يثبت أثَراً " [١] ، وقال الجَوْهَرِيُّ : " (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) : بَقِيَّة منه ، وكذلك الأَثَرَة بالتحريك " [٢] .

هذا ، وقد وَصَفَ ابن جني قراءة الإمام عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (أَوْ أَثْرَةٍ) بسكون الثاء بأنها" أبلغ معنى ؛ وذلك أنها الفَعْلَة الواحدة من هذا الأصل ، فهي كقولك : ائْتُونِي بِخَبَرٍ وَاحِدٍ ، أو حكاية شاذة ، أي : قد قَنِعْتُ في الاحتجاج لكم بهذا القدر ، على قِلَّتِهِ ، وإفْرَاد عَدَدِه " [٣] .

والمعنى العام المستفاد من هذه الآية " أرأيتم ما تعبدون الأصنام والأنداد من دون الله هل خلقوا شيئاً من الأرض ؟ أم لهم نصيب في خلق السماوات مع الله ، هاتوا كتاباً من كُتُبِ الله المُنَزَّلَة على الأنبياء قبل القرآن يأمركم بعبادة الأصنام ، أو دليل بيّن على هذا المسلك الذي سلكتموه " [٤] .

١٢ ـ مُفْعَل ، ومَفْعَل :

[مُدْخَل ، ومَدْخَل]

في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾ [٥] .

قرأ الجمهور (مُدْخَل) و (مُخْرَج) بضم ميميهما ، وقرأ عليٌّ ــ رضي الله عنه ــ (مَدْخَل) و (مَخْرَج) بفتح ميميهما [٦] .

---

(١) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

(٢) الصحاح (أ ث ر) .

(٣) المحتسب : ٢ / ٢٦٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٢٣٠ ، وتفسير ابن كثير : ٤ / ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٥) الإسراء : الآية (٨٠) .

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص ٧٧ .

قراءة الجمهور (مُدْخَلَ) و(مُخْرَجَ) بضم الميم فيهما تحتمل وجهين :

الأول : أن يكونا مصدرين جاريين قياساً على (أَفْعَلَ) نحو : أَكْرَمْتُهُ مُكْرَماً، أي إكْرَاماً . يقال : أَدْخَلْتُهُ مُدْخَلاً ، وأَخْرَجْتُهُ مُخْرَجاً ، بمعنى الإدخال والإخراج ، أي إدْخَال صِدْق وإخراج صِدْق .

والثاني : أن يكونا بمعنى المكان ، والتقدير : أَدْخِلْنِي مكان صِدْق وأَخْرِجْنِي مكان صِدْق [1] .

أما قراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – (مَدْخَلَ) و(مَخْرَجَ) بفتح الميم فيهما . فعلى أنهما مصدران من (دَخَلَ) و(خَرَجَ) ، لكنهما جاءا من معنى أَدْخِلْنِي وأَخْرِجْنِي المُتَقَدِّمَيْنِ دون لفظهما . والتقدير : أَدْخِلْنِي دُخُولَ صِدْقٍ ، وأَخْرِجْنِي خُرُوجَ صِدْقٍ ، ومثلهما (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً) [2] ، ويجوز أن يكونا اسمين للمكان ، فكأنه قال: أَدْخِلْنِي مَوْضِع صِدْق وأَخْرِجْنِي مَوْضِعَ صِدْقٍ [3] .

قال الفَرَّاءُ : " ومن قال : مَدْخَلاً ومَخْرَجاً فكأنه بناه على : أَدْخِلْنِي دُخُولَ صِدْق وأَخْرِجْنِي خُرُوجَ صِدْق . وقد يكون إذا كان مفتوحاً أن يراد به المنْزل بعينه " [4] .

وجاء في التفسير أن المعنى على هاتين القراءتين : أَدْخِلْنِي مدخل صِدْق الجَنَّة . وأَخْرِجْنِي مخرج صِدْق ، أي وأَخْرِجْنِي من مَكَّة إلى المَدِينَة ، وجاء أيضاً مدخل ومخرج صدق : دخوله المَدِينَة وخروجه من مَكَّة ، وهناك أقوال أخرى في ذلك [5] .

---

(1) البحر المحيط : ٦ / ٧١ . ٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٨٢٦ .

(2) نوح : من الآية (١٧) .

(3) البحر المحيط : ٦ / ٧٢ .

(4) معاني القرآن : ١ / ٢٦٣ .

(5) ينظر: البحر المحيط .٦ / ٧١ .

١٢ ـ مُفْعِل ، ومُفْعَل :

[مُؤْمِن ، ومُؤْمَن]

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [(١)] .

قرأ الجمهور (مُؤْمِناً) بضم الميم الأولى وكسر الثانية . وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة (مُؤْمَناً) بفتح الميم الثانية وضم الأولى [(٢)] .

الإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وسلم) ويُوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوته ، وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح . ويقال لكل واحد من الاعتقاد ، والقول والصدق ، والعمل الصالح إيمان [(٣)] .

قراءة الجمهور(مُؤْمِناً) اسم فاعل من (آمَنَ يُؤْمِنُ) ، وهو مشتق من الإيمان الذي هو : إظهار الخضوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبي (صلى الله عليه وسلم) واعتقاده وتصديقه بالقلب .

والمعنى على هذه القراءة : ليس لإيمانك حقيقة ، إنَّكَ أَسْلَمْتَ خوفاً من القَتْلِ ، وفَعَلْتَ ذلك مُتَعَوِّذاً وليس عن إيمان [(٤)] .

---

(١) النساء : الآية (٩٤) .

(٢) البحر المحيط : ٣ / ٣٤٢ ، والدر المصون ٢ / ٤١٦ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص ٢٦ .

(٤) ينظر: التبيان، للعكبري: ٣٨٢/١، والبحر المحيط: ٣ /٣٤٣، والدر المصون: ٢/ ٤١٦، وطلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، محمد صادق قمحاوي ص ٧١ .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (مُؤْمَنًا) اسم مفعول من (آمَنْتُهُ) إذا أَجَرْتَهُ وأَدْخَلْتَهُ في أمَانِكَ ، أي أَعْطَيْتَهُ الأمانَ فهو مُؤْمَنٌ . والمعنى : لا نُؤمنك في نَفْسِك [١] .

والقراءتان متواترتان صحيحتان ، فقد قرأ بقراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ أبو جعفر [٢] وهو من القراء العشرة الذين تواترت قراءتهم .

ويروى في سبب نزول هذه الآية أن قوما من المسلمين مَرُّوا في سَفَرٍ بِرَجُلٍ معه جَمَل وغنيمة يبيعها فسَلَّم على القوم ، وقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فحَمَل عليه أحدُهُم فَقَتَلَهُ فلما ذُكِرَ ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) شَقَّ عليه ونَزَلَت الآية [٣] .

---

(١) البحر المحيط ٣ / ٣٤٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٥١٩ .

(٢) النشر : ١ /٢٥١، وتحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة . لابن الجزري ص١٠٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٩٩٧ .

المبحث الثاني

الصيغ بين الأسماء والأفعال

أولاً: الأسماء في مقابل الأفعال

[عَبَدَ . وعَبَدَة]

في قوله: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [١].

قرأ الجمهور (وَعَبَدَ) وقرأ عَلِيٌّ – رضي الله عنه – (وَعَبَدَةَ) [٢].

العبادة: هي الانقياد والخضوع والطاعة. رَجلٌ عَابِدٌ، والجمع عُبَّادٌ وعَبَدَةٌ، مثل: كَافِر وكُفَّار وكَفَرَة [٣].

قراءة الجمهور (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) على أن (عَبَدَ) فعل ماض معطوف على قوله – عز وجل – (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ)، و (الطَّاغُوتَ) منصوب به [٤]. وقال الزَّجَّاج: "وقوله: (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) نَسَقٌ على (مَنْ لَعَنَهُ اللهُ)، المعنى: مَن لَعَنَهُ اللهُ وَمَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ مِنْ دُونِ اللهِ – عز وجل – وقرأ بها مظهرة عبد الله، قرأ (وَمَنْ عَبَدَ). قال: وتأويل عَبَدَ الطَّاغُوتَ، أي أطاع الشيطان فيما سَوَّلَ له وأَغْوَاهُ بِهِ [٥].

وأما قراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – (وَعَبَدَةَ) فهي جمع عَابِد كفَاجِر وفَجَرَة، وكَافِر وكَفَرَة [٦].

---

(١) المائدة: الآية (٦٠).

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٣٤.

(٣) لسان العرب: ٤ / ٢٧٧٨، والمصباح المنير ٢ / ٣٨٩، (ع ب د).

(٤) معاني القرآن، للفراء: ١ /٣١٤، والمحتسب: ١ /٢١٥، وتفسير ابن كثير: ٢ / ٧٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ١٨٧، ولسان العرب: ٤ / ٢٧٧٨ (ع ب د).

(٦) البحر المحيط: ٣ / ٥٣٠.

واختار بعضهم قراءة الجمهور(وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) ، وقال : " وَيُقَوِّي هذه القراءة ما رُوِيَ عن ابن مسعود(وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ) ، ووصفها بأنها " أجود القراءات ، وبأن أكثر الناس قَرَأُوا بها " [1] .

والمعنى المستفاد من هذه الآية : قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينهم هُزُواً وَلَعِباً من أهل الكتاب : هل أُخْبِرُكُمْ بشَرٍّ جزاءً عند الله يوم القيامة مما تَظُنُّونَهُ بنا ؟ وهو أنتم الذين هم مُتَّصِفُونَ هذه الصفات المذكورة في الآية [2] .

[حَسِبَ . وحَسْبُ]

في قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ [3] .

قرأ الجمهور(أَفَحَسِبَ) بفتح الحاء ، وكسر السين . وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ (أَفَحَسْبُ) بإسكان السين ، وضم الباء [4] .

قراءة الجمهور(أَفَحَسِبَ) فِعْلٌ ماضٍ ، و(أَنْ يَتَّخِذُوا) سَادٌّ مَسَدَّ المفعولين ، والحُسْبَانُ ـ هنا ـ بمعنى الظن ، والاستفهام للتقريع والتوبيخ والإنكار ، و(الفاء) للعطف على مقدر ، والمعنى : أَفَظَنُّوا أن ينفعهم اتخاذهم عبادي أولياء ، وأنهم ينتفعون بما عَبَدُوه مع إعراضهم عن تدبر آيات الله ، وتَمَرُّدِهِم عن قَبُول الحق ؟ ! " [5] .

أما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله ـ (أَفَحَسْبُ) بسكون السين ، ورفع الباء ، فهي مبتدأ ،

---

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ١٨٩ ، وينظر : تهذيب اللغة (ع ب د) .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢ / ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) الكهف : الآية (١٠٢) .

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ٨٢ ، والمحتسب : ٢ / ٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٢٤٥ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٥٧ ، ومفاتيح الغيب ، للرازي : ٢١ / ١٧٣ .

(٥) إملاء ما من به الرحمن ، للعكبري : ٢ / ١٠٩ ، ومفاتيح الغيب : ١٠ / ٣٨٥ ، وفتح القدير : ٣ / ٣١٥ .

و(أَنْ يَتَّخِذُوا) خبر ، والمعنى : أَفَكَا فِيهِمْ وَحَسْبهم أن يتخذوا العباد أولياء من دون الله ؟ والمراد : أن ذلك لا يَكْفِيهِم ، ولا ينفعهم عند الله كما حَسِبُوا . ثم بين – عز وجل – جزاءهم . فقال (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً) .

هذا . وقد وصف الزَّجَّاج هذه القراءة بأنها جيدة [١] كما وصفها الزمخشري بأنها مُحْكَمَة جيدة [٢] . وقال ابن جني : " و (حَسْبُ) أَذْهَبُ في الذَّمِّ هم . وذلك لأنه جَعَلَهُ غاية مُرَادِهم ، ومَجْمُوعَ مَطْلَبِهم . وليست القراءة الأخرى كذلك " [٣] .

وقد اختلف العلماء في المراد من العباد الذين اتَّخَذُوهُمْ أولياء من دون الله . فقيل عيسى (عليه السلام) والملائكة . وقيل : هم الشياطين يُوَالُونَهُمْ ويُطِيعُونَهم ، وقيل : هم الأصنام سَمَّاهُم عباداً كقوله – تعالى – : (عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ [٤]) [٥] .

[يرث . ووارث]

في قوله تعالى : ﴿ يرثُني ويرثُ من آل يَعْقُوبَ واجْعَلْهُ ربِّ رضيّاً ﴾ [٦] .

قرأ الجمهور (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) برفع الفعلين ، وقرأ عَلِيٌّ وابنُ عباس – رضي الله عنهما – والجَحْدَرِيّ (يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) [٧] .

الوِرَاثة والإرث : انتقال قِنْيَةٍ إليك عن غيرك من غير عَقْدٍ ولا ما يَجْرِي مَجْرَى العَقْد ؛ وسُمي بذلك المُنْتَقَلُ عن المَيِّت . فيقال للقِنْيَةِ المَوْرُوثة : مِيراثٌ ، وإرْثٌ [٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣١٤ ، ومفاتيح الغيب ١٠ / ٣٨٥ .

(٢) الكشاف : ٢ / ٥٠ .

(٣) المحتسب : ٢ / ٣٤ ، وينظر البحر المحيط ٦ / ١٥٧ .

(٤) الأعراف : من الآية (١٩٤) .

(٥) مفاتيح الغيب : ١٠ / ٣٩٥ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٤ ، وفتح القدير : ٣ / ٣١٥ .

(٦) مريم : الآية (٦) .

(٧) المحتسب : ٢ / ٣٨ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٦٥ ، ومفاتيح الغيب : ٢١ / ١٨١ .

(٨) المفردات ، للراغب ، ولسان العرب (ورث) .

قراءة الجمهور (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) بالياء ، ورفع الفعلين : الأول صفة (وَلِيًّا)، أي : وَارِثًا، والثاني عطف عليه. وقال الفَرَّاء: " الأول صلة للوَلِيّ : هَبْ الذي يَرِثُنِي " [١]. وعلى أنه صفة للوَلِيّ فالمعنى: هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ الوَلِيَّ الَّذِي هذه حَالُهُ وصِفَتُهُ . لأن الأولياء منهم من لا يَرِثُ ، فقال : هَبْ لِي الذي يكون وَارِثِي . والفاعل مضمر يرجع إلى الوَلِيّ ، والوِرَاثَةُ – هنا – وِرَاثَةُ النبوة والعلم والحكمة دون المال . فالمال لا قدر له عند الأنبياء حتى يتنافسوا فيه . بل قلما يقتنون المال ويتملكونه . قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " نَحْنُ مَعَاشِرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ " [٢] . وهُوَ يَرِثُ من آل يعقوب المُلْكَ ، لأن آلَ يعقوب ليسوا كلهم أنبياء ولا علماء [٣] .

أما قراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – (يَرِثُنِي وَارِثٌ) بالألف ، والرفع على أنه فاعل (يَرِثُنِي) و(مِنْ آلِ) صفة له ، قال ابن جني : " هذا ضرب من العربية غريب ، ومعناه التجريد ، وذلك أنك تريد فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي مِنْهُ أَوْ بِهِ وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وهو الوَارِثُ نَفْسه . فَكَأنه جَرَّدَ منه وَارِثًا . ومثله قوله – تعالى – : (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ) [٤] فهي نفسها دار الخُلْد . فكأنه جَرَّدَ من الدَّارِ دَارًا " [٥] .

والآية من قصة نبي الله زكريا (عليه السلام) لَمَّا بَلَغَ من السن ما بَلَغ ، ورأى أن من يأتي بَعْدَه قد لا يَصْلُحُ ، فدعا ربه أن يرزقه ولداً يَرِثُهُ من بعده ، وطَلَبَ من الله أن يَجْعَلَهُ مَرْضِيًّا عنده ، وعند الخَلْقِ . فاستجاب له ربه [٦] .

---

(١) معاني القرآن : ٢ / ١٦٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٢٥ / ٢٦٢ ، وينظر : إعراب القرآن ، للنحاس : ٢ / ٧٩٠ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٦٥ ، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، للدكتور/ محمد عمر بازامول : ٢ / ٧٠ .

(٣) البحر المحيط : ٦ / ١٦٥ .

(٤) فصلت : من الآية (٢٨) .

(٥) المحتسب : ٢ / ٣٨ .

(٦) البحر المحيط : ٦ / ١٦٥ ، وفتح القدير : ٣ / ٣٢١ .

ثانياً الأبدال في متدابل الأسماء

[ملك . وملك]

في قوله تعالى : ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١) . قرأ عاصم ، والكِسائي ، ويعقوب ، والجَحْدَري (مالِكِ) بألف ، وقرأ الجمهور (مَلِكِ) بغير ألف . وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ وجماعة (مَلَكَ) فعلاً ماضياً (٢) .

مادة المُلْك تدل على الإخبار ، والانفراد بالتصرف في الشيء المملوك . والفعل منه (مَلَكَ) (٣) . وهذه المادة بتقلباتها تدل على القوة والشدة ، وهي : مَلَكَ ، ومَكَلَ ، ولَكَمَ ، ولَمَكَ ، وكَمَلَ ، وكَلَمَ (٤) . وما يعنينا هنا ـ قراءة الجمهور ، وقراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه .

قراءة الجمهور (مَلِكِ) على وزن (فَعِل) بكسر العين من غير ألف ، صفة مشبهة تدل على الذات والحدث على وجه الدوام والاستمرار (٥) . والمَلِكُ : القادر على التصرف أمراً وتدبيراً . يقال : مَلِكٌ بَيِّنُ المُلْكِ ، وإضافته على هذا مَحْضَة ، وهو معرفة ، فيكون جره على الصفة ، أو البدل من لفظ الجلالة ، ولا حذف فيه على هذا (٦) .

والمعنى على هذه القراءة يدل على أن الله هو المنفرد بالأمر والتدبير يوم القيامة دون مُلُوك الدنيا (٧) .

أما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ (مَلَكَ) فهي فِعْلٌ مُتَعَدٍّ ، يقال : مَلَكَهُ يَمْلِكُهُ مُلْكاً

---

(١) الفاتحة ، الآية (٤) .

(٢) المحرر الوجيز : ١ / ٦٨ ، والبحر المحيط : ١ / ١٣٤ ، وقراءة الجحدري ص١٦٩ .

(٣) لسان العرب ، والقاموس المحيط (م ل ك) .

(٤) الخصائص ، لابن جني : ٢ / ١٣ ، والبحر المحيط : ١ / ١٣٥ .

(٥) شرح ابن عقيل : ٢ / ١٤٠ ، وتصريف الأسماء ، للشيخ محمد الطنطاوي ص ١٠٥ .

(٦) إملاء ما من به الرحمن : ١ / ٥ ، والبحر المحيط : ١ / ١٣٦ .

(٧) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام : ١ / ٤٠٣ ، وقراءة الجحدري ص ١٧٠ .

مثلثة الميم [١] . ويُعْرَبُ (مَلَكَ) فِعْلاً ماضياً و(يَوْمَ) يجوز فيه وجهان :

الأول : أن يكون مفعولاً به ، والإضافة ــ هنا على الأرجح ــ بمعنى اللام ، أي : مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ .

الثاني : يجوز أن يُعْرَبَ (يَوْمَ) ظَرْفاً ، ذَكَر ذلك الْعُكْبَرِي [٢] .

ويستفاد من هذه القراءة جواز نسبة المِلْك والمُلْك إلى الزمان في حق الله ــ تعالى ــ حيث كانت القراءة (مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ) .

والمعنى العام الذي تدل عليه هذه القراءات جميعها : أن الله ــ تعالى ــ هو المتصرف في الأمور تدبيراً وإحكاماً ، كما أنه المتصرف في الأعيان المملوكة دون مشارك يوم القيامة [٣] .

[عمل . وعمل]

في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٤] .

قرأ الجمهور (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) بفتح الميم ، وضم اللام والراء ، وقرأ عَلِيٌّ وأَنَسٌ وابنُ عباس وعائشة ــ رضي الله عنهم ــ (عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) بكسر الميم ، ونصب اللام والراء [٥] .

والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ الكِسائي (إِنَّهُ عَمِلَ) بكسر الميم ، وفتح اللام ،

---

(١) القاموس المحيط ، وتاج العروس (م ل ك) .

(٢) إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٩٢ .

(٣) البحر المحيط : ١ / ١٣٩ ، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام : ١ / ٤٠٢ ، وقراءة الجحدري ص ١٧٣ .

(٤) هود : الآية (٤٦) .

(٥) البحر المحيط : ٥ / ٢٢٩ .

وقرأ باقي السبعة (إِنَّهُ عَمَلٌ) بفتح الميم ، ورفع اللام منونة .[1]

العَمَلُ كل فِعْلٍ يكون من الحيوان بقصدٍ فهو أَخَصُّ من الفِعْل ؛ لأن الفِعْلَ قد يُنْسَبُ إلى الحيوانات التي يقع منها فِعْلٌ بغير قَصْدٍ ، وقد يُنْسَبُ إلى الجمادات ، والعَمَلُ قَلَّمَا يُنْسَبُ إلى ذلك والعَمَل يُسْتَعْمَلُ في الأعمالِ الصالحةِ والسيئةِ[2] .

قراءة الجمهور : (إِنَّهُ عَمَلٌ) بفتح الميم ، ورفع اللام منونة ، على أنه خبر " إِنَّ " و (غَيْرُ) بالرفع صفة . وهذه القراءة تحتمل وجهين

الأول : أن يكون الضمير في (إِنَّهُ) عائداً على ابْنِ نُوح ، والمعنى : إِنَّ ابْنَكَ ذُو عَمَلٍ غَيْرِ صالح فحذف المضاف ، كما قالت الخنساء

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ		فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[3] .

أي : ذَاتُ إِقْبَالٍ وإِدْبَار ، أو جعل ذاته ذات العمل ، مبالغةً في الذَّمِّ ، على حد " رَجُلٌ عَدْلٌ "[4] .

والثاني : أن يكون عائداً على ترك الركوب ، أي إن تَرْكَه الرُّكُوبَ مع المؤمنين وكونه مع الكافرين عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ[5] .

أما قراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – (إِنَّهُ عَمِلَ) بكسر الميم ، وفتح اللام ، فِعْلاً ماضياً ، من باب " عَلِمَ " وَنُصِبُ (غَيْرَ) مفعولاً به ، أو نعتاً لمصدر محذوف ، أي (عَمَلاً غَيْرَ) والضمير

---

(1) السبعة في القراءات ص ٣٣٤ ، والنشر : ٢ / ٢٨٩ .

(2) المفردات ، للراغب ص ٣٤٨ .

(3) البيت في ديوانها ص ٤٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٥٥ ، وخزانة الأدب : ١ / ٢٠٧ ، ٣٨٩ .

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٥٥ ، وحجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٣٤٢ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ١٢٧ .

(5) إتحاف فضلاء البشر ٢ / ١٢٧ .

لابن نوح (عليه السلام)[(١)] لأنه جرى ذكره قبل ذلك فكُنِّيَ عنه .

ويُعَضِّدُ هذه القراءة حديث أُمِّ سَلَمَةَ قالت : قُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقْرأُ : (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) أَوْ (عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) ؟ فَقَالَ : (عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ)[(٢)] ، بالنصب . كما أنه (صلى الله عليه وسلم) قَرَأَ ها[(٣)] .

والمعنى العام الذي ذكره العلماء في تفسير هذه الآية : قال يا نوح إنه ليس من أهلك الذين وَعَدْتُكَ أن أنجيهم . ويجوز أن يكون (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهلِ دِينِكَ[(٤)] .

[نُور ، ونَوَّر]

في قوله تعالى : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾[(٥)] .

قرأ الجمهور (نُورُ) بضم النون والراء . وقرأ عَلِيٌّ – رضي الله عنه – وجماعةٌ (نَوَّرَ) بفتح النون والراء ، وتشديد الواو[(٦)] .

النُّورُ في كلام العرب : الضَّوءُ المُدْرَكُ بالبصرِ . فإسناده إلى الله – تعالى – مجاز . كما تقول : زَيْدٌ كَرَمٌ وَجُودٌ . وَكَلامٌ لَهُ نُورٌ[(٧)] .

قراءة الجمهور : (اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) بضم النون تحتمل معنيين :

---

(١) إتحاف فضلاء البشر : ٢ / ١٢٧ .

(٢) الحديث في مسند أحمد : ٦ / ٢٩٤ ، ٣٣٢ .

(٣) جزء فيه قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم) ص ١١٢ ، ومعاني القرآن ، للفراء : ٢ / ١٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ٣٣٩٤ .

(٥) النور : من الآية (٣٥) .

(٦) البحر المحيط : ٦ / ٤١٨ .

(٧) المصدر السابق : ٦ / ٤١٨ .

الأول : أنَّ (نُور) ــ هنا ــ بمعنى اسم الفاعل ، أي : مُنَوِّر السماوات والأرض ، وعلى هذا فالمعنى : به وبقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها ، وقامت مصنوعاتها . فالكلام على التقريب للذهن ، كما يقال : المَلِكُ نُورُ أَهْلِ البَلَدِ ، أي به قِوَامُ أَمْرِهَا وصَلاحُ جُمْلَتِهَا [1] .

والثاني : أن يكون على حذف مضاف ، والمعنى : ذُو نُور [2] .

أما قراءة عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ (اللهُ نَوَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) بفتح النون مشدداً مفتوحاً فـ (نَوَّرَ) فِعْلٌ مَاض ، مُتَعَدٍّ بالتضعيف ، وفيه ضمير اسم الله ، و(الأَرْضَ) بالنصب عطفاً على السماوات .

ويستفاد من هذه القراءة جواز نسبة النور إلى الزمان في حق الله ـ تعالى .

والمعنى على هاتين القراءتين : أن الله ــ تعالى ــ هادى أهل السماوات والأرض ومُدَبِّر أمورهما ، وبه قِوَامُ أَمْرِهِمَا وصَلاحُ جُمْلَتِهِمَا [3] .

[جَنَّة ، وجَنَّهُ]

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [4] .

قرأ الجمهور (جَنَّةُ) بالتاء ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (جَنَّهُ) بهاء الضمير موصولة بالفعل [5] .

الجَنَّةُ في الدنيا : الحديقة ذات الشجر والنخل ، وفي الآخرة : هي دار النعيم ،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٧٩٣ ، ٤٧٩٤ .

(2) البحر المحيط ٦ / ٤١٨ .

(3) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٧٩٣ ، ٤٧٩٤ .

(4) النجم الآيات (١٣) ، (١٤) ، (١٥) .

(5) مختصر في شواذ القرآن ص ١٤٦ ، والمحتسب ٢ / ٢٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ٦٤٩٧ .

واجسع جَنَّاتٌ وجِنانٌ [1] .

قراءة الجمهور (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) على أن (جَنَّة) مبتدأ . و(الْمَأْوَى) مضاف إليه و(عِنْدَ) ظرف في محل رفع خبر ، والهاء تعود على (سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) . والمعنى جَنَّةُ الْمَأْوَى عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . والمراد بـ (جَنَّة الْمَأْوَى) الجنة التي يصير إليها المتقون ، وقيل: الجنة التي تصير إليها أرواح الشهداء ، وهي عن يمين العرش [2] .

أما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ (جَنَّهُ الْمَأْوَى) . فـ (جَنَّ) فِعْلٌ مَاض ، والهاء ضمير النبي (صلى الله عليه وسلم) مفعول به . يقال : جَنَّهُ الليلُ وأَجَنَّهُ . وجَنَّ عليه : سَتَرَهُ . و(الْمَأْوَى) فاعل . والمعنى على هذه القراءة : عند سدرة المنتهى إيواء الله ـ تعالى ـ وجميل صنعه ، وقيل : المعنى : ضَمَّهُ وأَدْرَكَهُ المَبِيتُ والنيلُ [3] .

وَأرَى أن القراءتين تدوران حول معنى واحد . قال ابن جني : " والمعنى الجامع لتصريف (ج ن ن) أين وقعت إنما هو الاستخفاء والسَّتْرُ . منه الجِنُّ ، والجِنَّة ، والجان ، والجِنَّانُ لاستتار الجِنّ ، ومنه المِجَنّ ـ للتُّرس ـ لِسَتْرِه . ومنه الجَنِين لاستتاره في الرحم . ومنه الجَنَّة ؛ لأنها لا تكون جَنَّة حتى يكون فيها الشجر ، وذلك سَتْرٌ لها . والجَنَانُ رُوحُ القلب لاستتار ذلك . والجَنَنُ القَبْرُ . وعليه بقية الباب " [4] .

[فكُّ وإطعام . وفكَّ وأطعمَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [5]

قرأ الجمهور : (فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ) مصدر (فَكَّ) و(أَطْعَمَ) ، وخفض (رَقَبَة) بالإضافة ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ (فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ) على أنهما فعلان ،

---

(1) لسان العرب : ١ / ٧٠٥ (ج ن ن) .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٤٩٧ .

(3) المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، والبحر المحيط : ٨ / ١٥٧ .

(4) المحتسب : ٢ / ٢٩٤ .

(5) البلد : الآيات (١٢) ، (١٣) ، (١٤) .

و(رَقَبَةً) منصوب على المفعولية [(١)] .

والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، ونافع : (فكُّ رَقَبَةٍ) مضافاً ، (أَوْ إِطْعَامٌ) بكسر الهمزة ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي : (فَكَّ) بفتح الكاف . جعلوه فعلاً ماضياً ، (رَقَبَةً) نُصِبَ مفعول لها ، (أَوْ أَطْعَمَ) نَسَقٌ على (فَكَّ) [(٢)] .

أَصْلُ الفَكِّ : الفصل بين الشيئين وتخليص بعضهما من بعض . وَفَكُّ الرَّقَبَةِ : تخليصُها من الأسر والرق . يقال : فَكَكْتُ الأَسِيرَ ، إذا خَلَّصْتُهُ من الإسار والرق . وقيل : فَكُّ الرَّقَبَةِ : خلاصُ النفس باجتناب المعاصي وفِعْل الطاعات [(٣)] .

قراءة الجمهور : (فَكُّ) بالرفع مصدر فَكَّ يَفُكُّ ، خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو فَكُّ ، و (رَقَبَةٍ) بالجر مضافاً إليه ، و (إِطْعَامٌ) بكسر الهمزة ، وألف بعد العين ، ورفع الميم منونة ، مصدر معطوف على (فَكُّ) ، أو تفسير لاقتحام العقبة ، والتقدير: وما أدراك ما اقتحام العقبة ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ [(٤)]. قال الزَّجَّاجُ : " فمن قال (فَكُّ رَقَبَةٍ) فالمعنى اقتحام العَقَبَة : فَكُّ رَقَبَةٍ أو إِطْعَامٌ [(٥)] ، أي اقتحامُها أحد هذين الأمرين ، على معنى الإباحة .

أما قراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – (فَكَّ) بفتح الكاف ، فِعْلاً ماضياً ، و(رَقَبَةً) بالنصب مفعوله ، و(أَطْعَمَ) بفتح الهمزة والميم ، فِعْلاً ماضياً – أيضاً – والفِعْلُ نَسَقٌ على (فَكُّ) أو بَدَلٌ من قوله (اقْتَحَمَ) ، فهو تفسير وبيان له ، كأنه قيل : فَلَا فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ [(٦)] .

قال الفَرَّاءُ : " ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بشيئين ، فقال : فَكَّ رَقَبَةً ، أو أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ

---

(١) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٦٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٧١ .

(٢) السبعة في القراءات ص ٦٨٦ ، والنشر ٢ / ٤٠١ .

(٣) لسان العرب : ٥ / ٣٤٥١ ، والمصباح المنير : ٢ / ٤٧٩ ، (ف ك ك) ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٤٠٥ .

(٤) البحر المحيط ٨ / ٤٧١ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٦١١ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٢٩ .

(٦) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، وإتحاف فضلاء البشر: ٢ / ٦١١ .

ذِي مَسْغَبَةٍ " [١] وقال الزَّجَّاج : " ومن قرأ (فَكَّ رَقَبَةً) فهو محمول على المعنى " [٢] .

ووصف الفَرَّاء قراءة الجمهور (فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ) بأنها قراءة العوام [٣] .

وكلتا القراءتين معناهما متقارب [٤] فمعناهما العام : أن من لم يُخَلِّصْ إنساناً من الأَسْر والرِّق ، ولو بالإعانة على ذلك . أو لَمْ يُطْعِمْ يَتِيماً ذا قرابة في يوم مجاعة ، فإنه لم يَشْكُرْ تلك النعم السابقة في هذه السورة [٥] .

---

(١) معاني القرآن : ٣ / ٢٦٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٣٢٩ .

(٣) معاني القرآن : ٣ / ٢٦٥ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٤ / ٥١٤ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٤٠٥ ، ٧٤٠٧ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٧١ .

المبحث الثالث

الاشتقاق والدلالة

تمتاز اللغة العربية بقوة الروابط بين ألفاظها ، ومعجماتها اللغوية ـــ خاصة ما عني منـــها بفكرة الاشتقاق ـــ خير شاهد على ذلك ، فهي في جمعها لمواد اللغة ، وتفريع المشـــتقات منـــها تَحْرِصُ على أن تشترك هذه المشتقات مع المادة الأصلية في أصوات معينة ومعنى عام يجمع بينهما ، ثم يَخْتَصُّ كل لفظ بما يميزه من معنى خاص من خلال صيغته التي شكل عليها دون أن يبتعد بمعناه كثيراً عن المعنى العام للمادة كلها [١] .

وبهذا تُمَثِّلُ ألفاظُ العربية المجتمع الذي تعيش فيه وتَحْيَا في ظله خير تمثيل ، فكما أن أفراد هذا المجتمع تربط بينهم لُحْمَةُ الدم والنسب ، وروابط العادات والتقاليد ، فكذلك شأن هذه اللغة حيث تربط بين ألفاظها التي تنتمي إلى مادة لغوية واحدة روابـــط ماديـــة تتمثـــل في الأصـــوات المسموعة ، وأخرى معنوية تتمثل في المعنى العام ، وهذا هو ما نعنيه بالاشتقاق [٢] ، فَتَكَاثُر الألفاظ وَتَنَاسُلُها من أصل واحد هو ما يعرفه لغويونا باسم (الاشتقاق) وهو أخذ كلمة من أخرى مـــع تناسب بينهما في المعنى ، واختلاف في الصيغة [٣] .

والذي يهتم به الصَّرْفِيُّونَ من الاشتقاق هو الاشتقاق من اسم المعنى (المصـــدر) وقـــد حَدَّدُوا المشتقات بأنها ما اتفقت مع المصدر في الأصوات الأصلية والمعنى العام أو الحدث ، وبسبب الصياغة بالصوائت أو بها وبالصَّوَامِت المزيدة دلت إلى جانب المعنى على الزمن (الفِعْل) أو الذات الواقع منها أو عليها الحَدَث [٤] .

وفي هذا المبحث أُوَضِّحُ ما وَرَدَ في قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنـــه ـــ مـــن اخـــتلاف في

---

(١) ينظر : دلالة اللفظ (أطوارها وأنواعها) ، للدكتور / عبد الطيب ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، وقراءة شيبة بـــن نصاح ، للدكتور / سيد الصاوي ص ٢١٢ .

(٢) دلالة اللفظ ص ١٠٦ .

(٣) ينظر : المزهر ، للسيوطي : ١ / ٣٤٦ ، ودراسات في فقه اللغة ، للدكتور / صبحي الصالح ص ١٧٤ .

(٤) دلالة اللفظ ص ١٠٦ .

الاشتقاق والدلالة ، أو في أحدهما دون الآخر بالنسبة لقراءة الجمهور ، وسأبين ذلـك كلـه في الأفعال والأسماء على النحو التالي :

١ــ الاختلاف في الاشتقاق والدلالة .

٢ ــ الاختلاف في الاشتقاق دون الدلالة .

٣ ــ الاختلاف في الدلالة دون الاشتقاق .

أولاً : الاختلاف في الاشتقاق والدلالة :

(أ) في الأفعال :

[كان ، وكاد]

في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (وَإِنْ كَانَ) بالنون ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (وإِنْ كَادَ) بدال مكان النون (٢) .

كَانَ : عبارة عما مضى من الزمان ، وتستعمل تامة فتكتفي بمرفوع ، نحو كَانَ الأَمْرُ ، أي حَدَثَ وَوَقَعَ ، وتستعمل ناقصة ، وهي التي تأتي بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع .

وأما كَادَ ، فهي من أفعال المُقَارِبة . كَادَ يَفْعَلُ كَذَا يَكَادُ ، من باب تَعِبَ ، قَارَبَ الفِعْلَ ولم يَفْعَلْ (٣) .

قراءة الجمهور : (وإنْ كَانَ مَكْرُهُمْ) تحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون (إن) نافية بمعنى (مَا) وقد وردت (إنْ) بمعنى (مَا) في القرآن في خمسة مواضع (٤) . والتقدير : وَمَا كَانَ مكرُهم لِتَزُولَ منه الجبال ، كما قال تعالى : ﴿ مَا

---

(١) إبراهيم : الآية (٤٦) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٩ ، والمحتسب : ١ / ٣٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٧١٩ ، والبحر المحيط : ٥ / ٤٢٥ .

(٣) مفردات غريب القرآن ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ولسان العرب : ٦ / ٤٢٤٧ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥٧٧ (ك ي د) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٧١٨ .

كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١] .

والمعنى : تَحْقِيرُ مَكْرِهِم ، أي : لم يكن احتيالُهم وخِدَاعُهم لِتَزُولَ منه الشرائع التي كالجبال في ثُبوتِها وقُوَّتِها ؛ فالمراد بالجبال : ما ثَبَتَ من الحق والدين والقرآن [٢] .

والثاني : أن تكون (إنْ) مخففة من الثقيلة . قال الزمخشري : " وإنْ عَظُمَ مَكْرُهُمْ ، وتَبَالَغ في الشدة ، فَضَرَب زَوَالَ الجبال مثلاً لشدته ، أي : وإن كان مَكْرُهم معداً لذلك " [٣] .

والثالث : أن تكون شرطية وجوابها محذوف ، أي : وإن كان مَكْرُهم معداً لإزالة أشباه الجِبال - الرَّوَاسي ، وهي المعجزات والآيات ، فالله يُجازيهم بِمَكْرٍ هو أعظم منه [٤] .

أما قراءة عَلِيٍّ — رضي الله عنه — (وإنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ) بفتح اللام الأولى ورفع الثانية فـ (إنْ) مخففة من الثقيلة ، و (كَادَ) من أفعال المقاربة — كما قلنا — قال ابن الأنْبَارِيّ : " قال اللغويون : كِدْتُ أَفْعَلُ ، معناه عند العرب : قَارَبْتُ الفِعْلَ ولَمْ أَفْعَلْ " [٥] . واللام في (لَتَزُولُ) هي التي تدخل بعد (إن) هذه المخففة من الثقيلة ؛ فَصْلاً بينها وبين (إنْ) التي للنفي في قوله تعالى : ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [٦] ، أي : مَا الكافرون إلا في غُرُورٍ .

ومعنى هذه القراءة : اسْتِعْظَامُ مَكْرِهِم ، أي ولقد عَظُمَ مَكْرُهُمْ حتى كَادَتْ الجبالُ تَزُولُ منه ، أي أنه يَقْرُبُ زَوالُ الجبالِ بِمَكْرِهِمْ ولا يَقَعُ الزَّوال[٧] .

وعلى هذا فالقراءتان مختلفتان في الاشتقاق والدلالة .

---

(١) آل عمران : من الآية (١٧٩) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٦٦ ، وحجة القراءات ص ٣٧٩ ، والكشف : ٢ / ٢٨ .

(٣) الكشاف : ٢ / ٢٨٣ ، وينظر : المحرر الوجيز : ٨ / ٢٦٤ .

(٤) الدر المصون : ٧ / ١٢٧ .

(٥) المصباح المنير : ٢ / ٥٤٥ (ك ي د) .

(٦) الملك : من الآية (٢٠) .

(٧) المحتسب : ١ / ٣٦٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٧١٩ .

[نُنَجِّي ، ونُنْجِي]

في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (١) . قرأ الجمهور (نُنَجِّي) بفتح النون الثانية ، وتشديد الجيم ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ (نُنْحِي) بتسكين النون الثانية ، وكسر الحاء المهملة (٢) .

النَّجَاءُ ، بالمد وقد يُقْصَر : الخَلاص من الشيء . يقال : نَجَا من الهلاكِ يَنْجُو نَجْواً ونَجَاءً ، ونَجَاةً : خَلَصَ ، ويتعدى بالهمزة والتضعيف ، فيقال : أَنْجَيْتُهُ وَنَجَّيْتُهُ ، ونَجَّى كنَجَا (٣) .

والنَّحْوُ والتَّنْحِيَةُ : الإزالةُ والمباعدةُ ، نَحَى الشيءَ يَنْحَاهُ نَحْياً ، ونَحَّاهُ فتَنَحَّى : أَزَالَهُ ، ويقال : نَحَيْتُهُ وأنا أَنْحَاهُ نَحْياً ، أي : بَاعَدْتُهُ (٤) .

قراءة الجمهور : (ثُمَّ نُنَجِّي) مضارع (نَجَّى) ، معناها : إذا مَرَّ الخلائقُ كلهم على النار ، وسَقَطَ فيها من سَقَطَ من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بِحَسْبِهم ، خَلَّصَ اللهُ ـــ تعالى ـــ المؤمنين المتقين منها بِحَسَبِ أَعْمَالهم (٥) .

أما قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ (ثُمَّ نُنْحِي) مضارع (أَنْحَى) ، فهيأَنْحَيْتُ فلاناً ، أي : بَاعَدْتُهُ وصَرَفْتُهُ . والمعنى : ثم نُبَاعِدُ ونَصْرِفُ المؤمنين المتقين عن النار .

ومن الواضح أن قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ تختلف في الاشتقاق والدلالة عن قراءة الجمهور .

---

(١) مريم : الآية (٧٢) .

(٢) البحر المحيط : ٦ / ١٩٨ .

(٣) لسان العرب : ٦ / ٤٣٥٩ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥٤٥ (ن ج ا) .

(٤) لسان العرب : ٦ / ٤٣٧٢ ، (ن ح ا) ، والقاموس المحيط ص ١٧٢٤ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٣ /١٣٣ ، ١٣٤ .

[ضَلَلْنا ، وصَلَلْنا]

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (ضَلَلْنَا) بالضاد المعجمة ، وفتح اللام ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ (صَلَلْنَا) بالصاد المهملة ، وفتح اللام أيضاً (٢) .

الأصل في الضَّلالِ : الغَيْبَةُ ، ومنه قيل للحيوان الضَّائع : (ضَالَّةٌ) ، وضَلَّ النَّاسِي. إذا غَابَ عنه حِفْظُ الشيءِ . وضَلَّ الرجلُ : ماتَ وصارَ تُرَاباً . فَضَلَّ فلَمْ يَتَبَيَّنْ شيءٌ من خَلْقِهِ (٣) .

قراءة الجمهور : (ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ) ، من ضَلَّ الشيءُ يَضِلُّ ضَلالاً ، إذا ضَاعَ وهَلَكَ والمعنى أن مُنْكِري البعث يقولون : أإذا مِتْنَا فصارت لُحُومُنَا وعِظَامُنَا تُراباً كالأرض فَغِبْنَا فيهـا ، وَهلَكْنَا ، فلم يَتَبيَّنْ شيءٌ من خَلْقِنَا . وأصله من قول العرب : ضَلَّ الماءُ في اللبنِ ، إذا ذَهَبَ . والعرب تقول للشيء غَلَبَ عليه غَيْرُهُ حتى خَفِيَ فيه أَثَرُهُ : قد ضَلَّ (٤) .

قال النَّابِغَةُ :

فآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونَائِلُ (٥)

وقال الأَخْطَلُ :

كُنْتَ القَذَى فِي مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالاً (٦).

---

(١) السجدة : الآية (١٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٥٠ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٩٥ ، وفتح القدير : ٤ / ٢٥٠ .

(٣) لسان العرب : ٤ / ٢٦٠٢ ، والمصباح المنير : ٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، (ض ل ل) .

(٤) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٣١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٢٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٤٩ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للنابغة الذبياني يرثي النعمان بن الحارث الغساني ، ينظر : ديوانه ص ١٢١ ، والدر المصون : ٩ / ٨٣ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (ض ل ل) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٤٩ .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ (صَلَلْنَا) بالصاد المهملة ، فتحتمل معنيين :

الأول : أن معنى (صَلَلْنَا) : أَنْتَنَّا وتغيَّرْنَا ، وتغيَّرَتْ صُوَرُنَا . تقول العرب : قد صَلَّ اللَّحْمُ فهو يَصِلُّ ، وَأَصَلَّ يُصِلُّ ، وخَمَّ يَخِمُّ ، وأَخَمَّ يُخِمُّ ، إذا أَنْتَنَ وتغيَّرَتْ رائحته . مطبوخاً كان أو نيئاً [١] .

والثاني : أن (صَلَلْنَا) معناه صِرْنَا بين الصِّلَّةِ أو من جنسها ، وهي الأرض اليابسة الصُّلْبَة .

والمعنى : إذا دُفِنَّا في الأرض وصَلَّتْ أجْسَامُنَا [٢] .

وعلى هذا فالقراءتان مختلفتان اشتقاقاً ودلالة .

[يُدَعُّونَ ، ويُدْعَوْنَ]

في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [٣] . قرأ الجمهور : (يُدَعُّونَ) بضم الياء ، وفتح الدال ، وتشديد العين مضمومة ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (يُدْعَوْنَ) بسكون الدال ، وفتح العين مخففاً [٤] .

الدَّعُّ : الدفعُ العنيف ، أو الدفع في الضِّيقِ بشدة وإهانة . يقال : دَعَّهُ يَدُعُّهُ دَعّاً : دَفَعَهُ دَفْعاً عَنِيفاً [٥] .

قراءة الجمهور : (يُدَعُّونَ) ، أي يُدْفَعُونَ إلى نار جهنم في حالة الضِّيقِ دَفْعاً عَنِيفاً بشدة وإهانة . وقال الزَّجَّاج : " يَوْمَ يُزْعَجُونَ إليها إِزْعَاجاً شَدِيداً " [٦] . وقال علماء التفسير : أنَّ

---

(١) معاني القرآن : ٢ / ٣٣١ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٢٠٥ ، والمحتسب : ٢ / ١٧٤ ، والصحاح (ص ل ل) .

(٢) المحتسب : ٢ / ١٧٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٢٠٥ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٩٥ .

(٣) الطور : الآية (١٣) .

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ١٤٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٤٥ ، والفتوحات الإلهية : ٤ / ٣١٣ ، وفتح القدير ٥ / ٩٥ .

(٥) لسان العرب : ٢ / ١٣٨١ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٤٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٦٣ .

خَزَنَة جهنم يَغُلُّونَ أيدي الكفار إلى أعناقهم ، ويَجْمَعُونَ نَواصِيهم إلى أقدامهم ، ثم يَدْفَعُونَهم في النار دَفْعاً على وجوههم ، وَزَخاً في أَقْفِيَتِهِمْ حتى يَرِدُوا النارَ [١] .

أما قراءة عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ (يُدْعَوْنَ) فهي من الدُّعَاءِ ، وهو الصياح والاستدعاء . يقال : دَعَوْتُ فلاناً ، أي صِحْتُ به واسْتَدْعَيْتُهُ [٢] .

والمعنى : يومَ يُصاحُ بهم إلى النار ، ويقال لهم : هَلُمُّوا إليها ، وادْخُلُوها دَعاً مَدْعُوعِينَ [٣] .

ويبدو جلياً ما بين القراءتين من اختلاف في الاشتقاق والدلالة .

[يَدُعُّ ، ويَدَعُ]

في قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ [٤] .

قرأ الجمهور : (يَدُعُّ) بضم الدال ، وشد العين ، وقرأ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وأبو رَجَاء واليَمَاني : (يَدَعُ) بفتح الدال ، وخَفِّ العين [٥] .

قراءة الجمهور : (يَدُعُّ) من (الدَّعِّ) وهو الدفع العنيف بشدة وإهانة ، كما ذكر في القراءة السابقة .

والمعنى : إن الذي يُكَذِّبُ بالدين ، وهو المعاد والجزاء والثواب ، هو الذي يَدْفَعُ اليتمَ عن حَقِّه دَفْعاً عَنِيفاً بِجَفْوَةٍ أو أَذًى [٦] وقيل : يَقْهَرُهُ ويَظْلِمُهُ حَقَّهُ ، ولا يُحْسِنُ إليه [٧] والمعنيان متقاربان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٤٦٥ .

(٢) لسان العرب : ٢ / ١٣٨٦ (د ع ا) .

(٣) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٥١٥ . والبحر المحيط : ٨ / ١٤٥ .

(٤) الماعون الآيتان (١) ، (٢) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ١٨١ ، والبحر المحيط : ٨ / ٥١٨ .

(٦) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٩٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٥ / ٣٦٧ ، والبحر المحيط : ٨ / ٥١٧ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٥٥٥ ، وتفسير ابن كثير : ٤ / ٥٥٤ .

أما قراءة عَليٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (يَدَعُ) فهي من (الوَدْعِ) ، وهو التَّرْكُ . يقال : وَدَعَهُ يدَعُهُ وَدْعاً : تَرَكَهُ . والماضي (وَدَعَ) قليل الاستعمال ، فهو شاذ في الاستعمال صحيح في القياس . وكذا المصدر[1] .

ومعنى (يَدَعُ اليَتِيمَ) على هذه القراءة : يَتْرُكُهُ ، أي لَا يُحْسِنُ إليه وَيَجْفُوهُ . وقال ابن جني : " معناه ــ والله أعلم ــ : يُعْرِضُ عنه وَيَجْفُوهُ "[2] .

وتلتقي قراءة الإمام عَليٍّ ــ رضي الله عنه ــ مع قراءة الجمهور في أنَّ كلا منهما تدل على جَفْوَةِ اليتيمِ ، وعدمِ الإحسانِ إليه . وإن أفادت كل منهما معنى لا يُسْتفاد من الأخرى ، ومن ثَمَّ فهاتان القراءتان تختلفان في الاشتقاق والدلالة .

(ب) في الأسماء :

[مساكين . ومسّاكين]

في قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[3] .

قرأ الجمهور : (لِمَسَاكِينَ) بفتح الميم والسين ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ (لِمَسَّاكِينَ) بتشديد السين[4] .

قراءة الجمهور : (لِمَسَاكِينَ) بتخفيف السين ، جمع (مِسْكِين) ، وهو الذي لا شيء له وقال الأصمعي : هو أَحْسَنُ حالاً من الفقير ؛ لأن الله ــ تعالى ــ يقول : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ) وكانت تُساوِي جُملة . وقال في حق الفقراء : ﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ

---

(1) لسان العرب : ٦ / ٤٧٩٧ ، والمصباح المنير : ٢ / ٦٥٣ (و د ع) .

(2) المحتسب : ٢ / ٣٧٤ .

(3) الكهف : الآية (٧٩) .

(4) البحر المحيط : ٦ / ١٤٥ .

الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (١) ، وجعل ابْنُ الأَعْرَابِيّ المسكينَ هو الفَقِيرُ ، وهو الذي لا شيء له فجعلهما سواء (٢) .

وعلى هذا فالمعنى على قراءة الجمهور: أَمَّا السفينةُ فكانت لقوم ضعفاء أَذِلَّاء مَقْهُورِينَ ينبغي أن يُشْفَقَ عليهم ، ولو كانوا أغنياء ، وكان هؤلاء عَشَرَة يعملون ما بين فَارِس والرُّوم (٣) .

أما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ (لِمَسَّاكِينَ) جمع (مَسَّاك) بتشديد السين ، فتحتمل معنيين :

الأول : أن المَسَّاكِينَ ـ بالتشديد ـ هم مَلَّاحُو السفينة ، وذلك أن (المَسَّاكَ) هو الذي يُمْسِكُ رِجْلَ السفينةِ ، وكُلُّ الخَدمة تَصْلُحُ لإمساكه فَسُمِّيَ الجميع (مَسَّاكِين) .

والثاني : أن المرادَ بالمَسَّاكين : دَبَغَةُ المُسُوكِ ، وهي الجُلود ، واحدها مَسْكٌ ، وهو على هذا جمع تصحيح مثل : مَلَّاح ومَلَّاحِين (٤) . قال القُرْطُبِيّ : والأظهر قراءة (مَسَاكِينَ) بالتخفيف ، جمع مِسْكِين (٥) .

[جِبِلاً ، وجِيلاً]

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

قرأ الجمهور : (جِبِلاً) بكسر الجيم والباء ، وتشديد اللام ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ (جِيلاً) بكسر الجيم ، وبعدها ياء (٧) .

---

(١) البقرة : من الآية (٢٧٣) .

(٢) لسان العرب : ٥ / ٣٤٤٤ ، والمصباح المنير : ٢ / ٢٨٣ (ف ق ر) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٢٠٣ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٤٥ .

(٤) المصدران السابقان ، الصفحتان نفسهما .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٢٠٣ .

(٦) يس : الآية (٦٢) .

(٧) الكشاف : ٣ / ٣٢٩ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٢٨ ، والفتوحات الإلهية : ٣ / ٥٢٢ ، وفتح القدير : ٤ / ٣٧٧ .

قراءة الجمهور (جِبِلاًّ) جَمْع (جِبِلَّة) وهو الخَلْقُ • يقال : جَبَلَ اللهُ ــ عز وجل ــ الخلقَ ، أي خَلَقَهم [1] والمعنى : لقد أغوى الشيطان منكم يا بني آدم خَلْقاً كثيراً أَفَلَمْ تكونوا تَعْقِلُونَ عَدَاوَتَهُ ، وتَعْلَمُونَ أن الواجب طاعة الله ؟ [2] •

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ (جِيلاً) بالياء مكان الباء • فالجِيلُ : كل صِنْفٍ أو قَبِيلٍ من الناسِ ، التُّرْكُ جِيلٌ ، والصِّينُ جِيلٌ ، والعَرَبُ جِيلٌ ، والرُّوم جِيلٌ ، والجمع أَجْيَالٌ [3] • وقال بعضهم : الجِيلُ : الأُمَّةُ [4] •

والمعنى على هذه القراءة : أَغْوَى الشيطانُ منكم يا بني آدم صِنْفاً كثيراً أو قَبِيلاً كثيراً •

وقد أَوْضَحَتْ قراءة الإمام عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ ما أَجْمَلَتْهُ قراءة الجمهور ، فهي تُبَيِّنُ أَنَّ الذين أغواهم الشيطان من الخَلْقِ صِنْفٌ كثير ، وقَبِيلٌ كثير من الناس •

---

(1) لسان العرب : ١ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ (ج ب ل) •

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٦٨٥ •

(3) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٣٦٩ ، ولسان العرب : ١ / ٧٣٩ (ج ي ل) •

(4) المصباح المنير : ١ / ١١٦ (ج ي ل) •

ثانياً : الاختلاف في الاشتقاق دون الدلالة :

(١) في الأفعال :

[شغفها ، وشعفها]

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (قَدْ شَغَفَهَا) بالغين المعجمة ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ (قَدْ شَعَفَهَا) بالعين المهملة (٢) .

قراءة الجمهور : (شَغَفَهَا) بالغين المعجمة ، من قولك : شَغَفْتُ فُلاناً ، إذا أصبتَ شَغَافَهُ . وقد اختلف العلماء في معنى الشَّغَاف على أربعة أقوال :

الأول : أنه غُلافُ القَلْبِ ، ولم يُرِد الغُلاف ، وإنما أراد القَلْبَ ، أي تمكن حبه من قلبها .

الثاني : أنه حَبَّةُ القَلْبِ وَسُوَيْدَاؤُهُ . والمعنى أنه وصل حبه إلى سُوَيْدَاءِ قلبها .

الثالث : أنه جِلْدَةٌ رقيقةٌ يقال لها لِسانُ القَلْبِ ، فكأنه لَصِقَ حُبُّهُ بقلبها كَلُصُوقِ الجِلْدَة بالقلب .

الرابع : أنه دَاءٌ يكون في الجَوْفِ في الشَّرَاسِيف (طرف الأضلاع) وعليه قول النَّابغة :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ ... دُخُولَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ (٣) .

والمعنى في هذه الأقوال متقارب . وبالجملة . كما قال العلماء ، فإن هذا كناية عن الحب

---

(١) يوسف : الآية (٣٠) .

(٢) المحتسب : ١ / ٣٣٩ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٠١ ، والدر المصون : ٦ / ٤٧٥ ، وروح المعاني : ١٢ / ٢٢٦ .

(٣) البيت من البسيط ، وهو في ديوانه ص ٣٢ ، ومجاز القرآن ، لأبي عبيدة : ١ / ٣٠٨ ، والصحاح ، ولسان العرب (ش غ ف) .

الشديد والعِشْق العظيم من امرأة العزيز لسيدنا يوسف (عليه السلام)[(١)] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ (قَدْ شَعَفَهَا) بالعين المهملة . فمن قولك " شَعَفَهُ الهَوَى ، إذا بَلَغَ به إلى حَدِّ الاحتراق "[(٢)] . ومعناه : وَصَلَ حُبُّهُ إلى قلبها فكاد يُحْرِقُهُ لِحِدَّتِهِ . وأصله من البعير يُهْنَأُ بالقَطِرَان ، فتصل حرارةُ ذلك إلى قلبه . قال امرُؤُ القَيْس :

أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[(٣)]

وقال أبو عُبَيْدَة : (الشَّعَفُ) بالعين : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها . كما أن البعير إذا هُنِئَ بالقَطِرَان يبلغ منه مِثْل ذلك ، ثم يَسْتَرْوِح إليه "[(٤)] . وقال ابن الأَنْبَارِي : " الشَّعَفُ : رُؤُوسُ الجبال . ومعنى شَعَفَ بفلان . إذا ارتفع حُبُّهُ إلى أعلى المواضع من قلبه "[(٥)] . وقال العُكْبَرِي ــ لما حكى هذه القراءة ــ : " مِنْ قَوْلِكَ : فُلانٌ مَشْعُوفٌ بِكَذَا . أي مُغْرًى بِهِ "[(٦)] .

وعلى هذه الأقوال فمعنى القراءتين متقارب . وهو أن حُبَّهَا ليوسف (عليه السلام) قد تَمَكَّنَ منها ، وذَهَبَ بها كل مذهب . ومن هنا يمكن القول : إن القراءتين قد اتفقتا دلالة مع اختلافهما في الاشتقاق .

هذا ، وقد فَرَّقَ بعض العلماء بينهما في المعنى ، فقال أبو زيد : " الشَّغَفُ ــ بالمعجمة ــ في الحُبِّ ، والشَّعَفُ ــ بالمهملة ــ في البُغْضِ "[(٧)] . وقال الشَّعْبِيُّ : " الشَّغَفُ والمَشْغُوفُ ــ

---

(١) تنظر هذه الأقوال في : زاد المسير : ٤ / ٢١١ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٠١ ، والدر المصون : ٦ / ٤٧٥ ومفاتيح الغيب : ١٠ / ٤٠ ، وروح المعاني : ١٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) إصلاح المنطق ، لابن السكيت ص ٢١٤ ، ولسان العرب ، والقاموس المحيط (ش ع ف) .

(٣) البيت من الطويل ، وهو في ديوان ص ١٤٢ ، وأساس البلاغة ، ولسان العرب ، وتاج العروس (هـ ن أ) .

(٤) مجاز القرآن : ١ / ٣٠٨ ، ومفاتيح الغيب : ١٠ / ٤٠ ، وفتح القدير : ٣ / ٢١ .

(٥) مفاتيح الغيب : ١٠ / ٤٠ .

(٦) إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٦٩٧ .

(٧) الدر المصون : ٦ / ٤٧٦ ، وروح المعاني : ١٢ / ٢٢٦ ، والصحاح ، ولسان العرب (ش غ ف) و (ش ع ف) .

بالمعجمة ــ في الحب ، وبالمهملة : الجنون ، والمَشْعُوف : المَجْنُونُ "[1] . قال الألُوسِي : " وهذا المعنى مُمْتَنِعُ الإرادة ــ هنا ــ على هذه القراءة "[2] .

وعلى هذه التفرقة فالعلاقة بين القراءتين علاقة تَضَادّ ، ويكون الخلاف بينهما في الاشتقاق والدلالة .

وأَرَى أن المعنى الأول أَقْرَبُ ، حتى إن ابن منظور قد أورد أنه يقال: " أَلْقَى عَلَيْهِ شَعَفَهُ ، وَشَغَفَهُ ، وَمَلَقَهُ ، وَحُبَّهُ ، وَحَبَّتَهُ ، وبِشْرَهُ بمعنى واحد "[3] .

[ييأس ، ويتبين]

في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[4]

قرأ الجمهور : (أَفَلَمْ يَيْأَس) ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (أَفَلَمْ يَتَبَيَّن)[5]

قراءة الجمهور : (يَيْأَس) من يَئِسَ يَيْأَسُ يَأْساً . وقد نصَّ كثير من اللغويين والمفسرين على أن (يَيْأَس) ــ هنا ــ بمعنى (يَعْلَم) ، وهي لغة النَّخَع[6] ، ونَسَبَها بعضهم إلى هَوَازِن[7]

---

(1) النثر المصون : ٦ / ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، وروح المعاني : ٢ / ٢٢٦ .

(2) روح المعاني : ١٢ / ٢٢٦ .

(3) لسان العرب (ش ع ف) .

(4) الرعد : من الآية (٣١) .

(5) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٧ ، والمحتسب : ١ / ٣٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٦٥٦ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٨٣ .

(6) الصحاح ، ولسان العرب ، والمصباح المنير (ي إ س) ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٦٥٦ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٨٢ .

(7) تفسير الجلالين : ١ / ٢٠٥ ، ولسان العرب : ٦ / ٤٩٤٦ (ي إ س) ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٦٥٦ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٨٢ .

وعَزَاهَا آخرون إلى وَهْبِيلٍ : فَخِذٌ أَوْحَيٌّ من النَّخَع [1] . وعلى هذه اللغة جاء قول سُحَيْم بن وَثِيل الرياحي :

أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إذْ يَيْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ [2]

وقَوْلُ رَبَاح بن عَدِيّ :

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ وإنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرةِ نَائِيَا [3]

وقول لَبِيدٍ :

حَتَّى إذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وأَرْسَلُوا غُضْفاً دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُهَا [4]

أي : حتى إذا عَلِمُوا أَنْ ليس وَجْهٌ إلا الذي رَأَوْا أَرْسَلُوا كِلاب الصيد التي أَلِفَتْ البيوت وقد يَبِسَتْ قَلائِدُهَا .

وأنكر الفَرَّاءُ أن يكون (يَئِسَ) بمعنى (عَلِمَ) ، وزَعَم أنه لم يُسْمَعْ أحدٌ من العرب يقول : يَئِسْتُ بمعنى عَلِمْتُ [5] . قال أبو حَيَّان : " وقد حَفِظَ ذلك غيره . فهذا القَاسِمُ بن مَعْن من ثُقات الكوفيين ، وأَجِلَّائهم نَقَلَ أنها لغة هَوَازِن ، وابن الكَلْبِيّ نَقَل أنها لغةُ حَيٍّ من النَّخَع ، ومن حَفِظَ حُجَّةٌ على من لم يَحْفَظْ " [6] .

والمعنى على قراءة الجمهور : (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الذينَ آمَنُوا) : أَفَلَمْ يَعْلَمُوا وَيَتَبَيَّنُوا أنه لو

---

(1) المحتسب : ١ / ٣٥٧ ، ولسان العرب : ٦ / ٤٩٤٦ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٨٢ .

(2) البيت من الطويل ، وهو في مجاز القرآن : ١ / ٣٣٢ ، والمحتسب : ١ / ٣٥٧ ، وتهذيب اللغة : ١٣ / ٦٠ ، ١٤٢ ، والصحاح : ٣ / ٩٩٣ ، وتفسير الطبري : ١٦ / ٤٥٠ .

(3) البيت من الطويل ، وهو في المحتسب : ١ / ٣٥٧ ، وتفسير الطبري : ١٦ / ٤٥٠ ، وروح المعاني : ١٣ / ٥٦ .

(4) البيت من الكامل ، وهو في ديوانه ص ١٧٤ ، ومعاني القرآن . للفراء : ٢ / ٦٤ .

(5) معاني القرآن : ٢ / ٦٤ .

(6) البحر المحيط : ٥ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

يشاءُ الله هَدَى الناسَ جميعاً [١] . وقيل : هو من اليَأْس المعروف ، وهو القُنُوط من الشيء ، أي : أَفلَمْ يَيْأَس الذينَ آمنُوا من إيمان هؤلاء الكفار لعلمهم أن الله — تعالى — لو أراد هدايتهم لهداهم لأن المؤمنين تَمَنَّوْا نزولَ الآيات طَمَعاً في إيمان الكفار [٢] واختار هذا الزَّجَّاج [٣] .

أما قراءة عَلِيٍّ — رضي الله عنه — (أَفَلَمْ يَتَبَيَّن) فهي من البَيَان بمعنى المعرفة . يقال : بَيَّنْتُ كَذَا ، إذا عَرَفْتَهُ [٤] ، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن لفظة (اليَأْس) تُوحِي بمعنى (التَّبَيُّن اليَقِينِي) إذ لو كان عند اليَائِس نسبة معينة غير معلومة لما كان يائساً [٥] . وقال ابن جني : " هذه القراءة فيها تفسير معنى قول الله — تعالى — : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٦] .

ومن الواضح أن القراءتين تختلفان في الاشتقاق ، وتتفقان في الدلالة ، لأن التَّبَيُّنَ والعِلْمَ بمعنى واحد ، كما أكدت ذلك كتب اللغة ودَعَّمَتْهُ بالشواهد .

[نُبَوِّئَنَّهُمْ ، ونُثْوِيَنَّهُمْ]

في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٧] .

قرأ الجمهور (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) بالباء الموحدة المفتوحة بعد النون الأولى ، وتشديد الواو ، وهمزة مفتوحة بعدها ، وقرأ عَلِيٌّ — رضي الله عنه — (لَنُثْوِيَنَّهُمْ) بالثاء المثلثة الساكنة بعد النون ، والياء المفتوحة بعد الواو المخففة [٨] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٦٥٦ .

(٢) السابق ، نفس الصفحة ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٨٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٤٩ .

(٤) البحر المحيط : ٥ / ٣٨٣ .

(٥) الدكتور عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٢٠١ .

(٦) المحتسب : ١ / ٣٥٧ .

(٧) النحل : الآية (٤١) .

(٨) المحتسب : ٢ / ٩ ، والبحر المحيط : ٥ / ٤٧٧ .

قراءة الجمهور (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) ، أي : لَنُنْزِلَنَّهُمْ ، من (بَوَّأْتُ) . تقول العرب : بَوَّأْتُ فلاناً منزلاً ، أي أَنْزَلْتُه . قال تعالى : (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرائيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) [١] ، وتقول : تَبَوَّأَ فلانٌ المنزلَ [٢] . و(حَسَنَةً) صفة لموصوف محذوف ، أي تَبْوِأَةً حَسَنَةً ، أو داراً حَسَنَةً .

والمعنى : لَنُنْزِلَنَّهُمْ في الدنيا مَنْزِلَةً حسنةً أو داراً حسنةً ، وهي المَدِينَةُ . وقيل : المعنى : لَنُعْطِيَنَّهُمْ ولَنُحْسِنَنَّ إليهم في الدنيا إحساناً ، فـ (حَسَنة) في معنى (إِحْسَانا) [٣] .

أما قراءة عَلِيٍّ — رضي الله عنه — (لَنُثْوِيَنَّهُمْ) بالثاء ، مضارع (أَثْوَى) المنقول بهمزة التعدية من (ثَوَى بالمكانِ) أي : أَقَامَ . يقال : ثَوَى الرجلُ بالمكان ، إذا أقامَ به . وأَثْوَاهُ غَيْرُهُ . إذا جَعَلَهُ بذلك المكانِ .

والمعنى : لَنُقِيمَنَّهُمْ ، أي لَنُنْزِلَنَّهُمْ ولَنُمَكِّنَنَّهُمْ [٤] .

وعلى هذا فالمعنيان متقاربان ، بل هما متحدان في هاتين القراءتين؛ لأن المنزلة والعطاء والإحسان والتمكين معان متقاربة ، وكذا النزول والإقامة . قال ابن جني : " لأنه إذا أَقَرَّهُمْ في الأرضِ بإطالة مُدَّتِهِم ومُدَّة خلفهم فقد أَحْسَنَ إليهم " [٥] .

وجعل الفَرَّاءُ المعنى في القراءتين واحداً . فقال : " بَوَّأْتُهُ مَنْزِلاً وأَثْوَيْتُهُ مَنْزِلاً . سواء ، وكل حَسَن " [٦] .

وفي لسان العرب : " يقال : بَوَّأْتُهُ مَنْزِلاً ، وأَثْوَيْتُهُ مَنْزِلاً ثُواءً : أَنْزَلْتُهُ " [٧] .

---

(١) يونس : من الآية (٩٣) .

(٢) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٥٥٤ .

(٣) البحر المحيط . ٥ / ٤٧٧ . وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٣٥٢ .

(٤) حجة القراءات ص ٥٥٤ ، وإعراب القراءات الشواذ : ١ / ٧٦١ . والبحر المحيط : ٥ / ٤٧٧ .

(٥) المحتسب : ٢ / ١٠٢٩ .

(٦) معاني القرآن : ٢ / ٣١٨ ؛ وينظر : حجة القراءات ص ٥٥٥ .

(٧) لسان العرب : ١ / ٣٨٢ (ب و أ) .

[يَنْقَضّ ، ويَنْقاص]

في قوله تعالى : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (يَنْقَضَّ) بالضاد المعجمة ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة (يَنْقَاص) بالصاد غير المعجمة ، مع الألف (٢) .

قراءة الجمهور (يَنْقَضَّ) بالضاد المعجمة ، من (نَقَضَ) أو (قَضَّ) وهي تحتمل أمرين

أحدهما : أن تكون (انْفَعَلَ) من انْقِضَاضِ الطائر ، أو من القَضَّة ، وهي الحَصَى الصِّغار .

والمعنى : يريد أن يُفَتَّت كالحَصَى ، ومنه طَعَامٌ قَضَضٌ ، إذا كان فيه حَصَى صغار .

والثاني : أن يكون من (افْعَلَّ) كاحمرّ من النَّقْضِ ، يقال : نَقَضَ البناء يَنْقُضُهُ ، إذا هَدَمَهُ ، ويكون (افْعَلَّ) هنا من غير الألوان والعيوب ، كـ (يَزْوَرّ ويَرْعَوِي) (٣) .

ويؤيد هذا قراءة عبد الله بن مسعود والأَعْمَش (يُرِيدُ لِيُنْقَضَ) مَبْنِياً للمفعول . وقراءة أُبَيّ بن كَعْب كذلك (يُرِيدُ أَنْ يُنْقَضَ) (٤) .

أما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ (يَنْقَاص) بالصاد المهملة مع الألف . فمن (قَيَص) يقال : قَاصَ الضِّرْسُ قَيْصاً ، وتَقَيَّصَ ، وانْقَاصَ : انْشَقَّ ، وتَقَيَّصَتِ الحِيطَانُ ، إذا مَالَتْ وتَهَدَّمَتْ (٥) .

قال ابن جني : " (يَنْقَاص) مُطَاوِع (قِصْتُهُ فانْقَاصَ) أي : كَسَرْتُهُ فانْكَسَرَ ، قال :

---

(١) الكهف : الآية (٧٧) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص٨١ ، والمحتسب : ٢ / ٣١ ، والبحر المحيط : ٦ /١٤٣ .

(٣) ينظر : معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ١٥٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٣٠٦ ، والمحتسب : ٢ / ٣٢ .

(٤) البحر المحيط : ٦ / ١٤٣ ، والدر المصون : ٧ / ٥٣٣ ، وتفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣٧ .

(٥) الصحاح ، ولسان العرب ، وتاج العروس (ق ي ص) .

فِرَاقٌ كَقَيْصِ السِّنِّ فالصَّبْرَ أَنَّهُ لِكُلِّ أُنَاسٍ عَثْرَةٌ وَجُبُورُ [1] " [2]

والمعنى : فوجدا فيها جداراً يريد أن ينهدم فبناه . وهذا معنى قوله تعالى : (فَأَقَامَهُ) أي : هَدَمَه ثم قَعَدَ يَبْنِيه . وقد ذكر أبو بكر الأنباري عن ابن عباس عن أبي بكر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قرأ : (فَوَجَدَا فِيهَا جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَهَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ يَبْنِيهِ) [3] .

وعلى ذلك فمعنى القراءتين واحد ، مع اختلافهما في الاشتقاق ، لأن المراد إقامة البناء بعدما تهيأ للسقوط .

هذا ، ونسبة الإرادة إلى الجدار مجاز ، وهو شائع في كلام العرب ، ومنه قول الرَّاعِي :

فِي مَهْمَةٍ قَلِقَتْ به هَامَاتُهَا قَلَقَ الفُئُوسِ إذا أَرَدْنَ نُصُولاَ [4]

ومن أنكر المجاز مطلقاً ، أو في القرآن ــ خاصة ــ تأول ذلك على أنه خلق للجدار حياة وإرادة كالحيوانات ، أو أن الإرادة صدرت من الخَضِر ، ليحصل له ولموسى من العَجَب ، وقد رد الزمخشري هذا الرأي الأخير [5] .

[صغت ، وزاغت]

في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [6] .

قرأ الجمهور (فَقَدْ صَغَتْ) بالصاد المهملة ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ والأَعْمَش

---

(1) البيت من الطويل ، وهو لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر : ديوان الهذليين : 1 / 138 ، والصحاح ، ولسان العرب (ق ي ص) ، والبحر المحيط : 6 / 143 ، والدر المصون : 7 / 535 .

(2) المحتسب : 2 / 31 .

(3) الجامع لأحكام القرآن : 6 / 4196 .

(4) البيت من الكامل ، للراعي النميري ، وهو في ديوانه ص 222 ، ومعاني القرآن وإعرابه : 3 / 306 .

(5) ينظر : الكشاف : 2 / 494 ، والدر المصون : 7 / 535 .

(6) التحريم : الآية (4) .

(فَقَدْ زَاغَتْ) بالزاي بعدها ألف [1] .

وبمطالعة كتب التفسير واللغة نجد أن القراءتين اختلفتا في الاشتقاق ، واتحدتا في الدلالة .

يقال : صَغَيْتُ إلى كذا أَصْغَي ، بفتحتين : مِلْتُ .وصَغَت النجوم مَالَتْ للغُروب [2] ، ويقال : زَاغَ يَزِيغُ زَيْغاً : مَالَ [3] .

وفسر القُرْطُبي وأبو حيان قراءة الجمهور (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) : زَاغَتْ ومَالت عن الحق والصواب [4] . والخطاب لحَفْصَةَ وعائشة . والمعنى أنهما أَحَبَّتَا ما كَرِهَ النبي (صلى الله عليه وسلم) من اجتناب جَارِيَتِهِ ، واجْتِنَابِ العَسَل . وكان (عليه السلام) يحب العسلَ والنساءَ . قال ابن زيد : مالت قلوبهما بأن سَرَّهُمَا أن يَحْتَبِسَ عن أُمِّ وَلَدِهِ ، فَسَرَّهُمَا ما كَرِهَهُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقيل : فقد مالت قلوبكما إلى التوبة [5] .

وفي الآية حَثٌّ حفصة وعائشة على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وجواب الشرط محذوف للعلم به . أي إن تتوبا كان خيراً لكما . إذ قَدْ صَغَتْ قلوبكما [6] ، وأتى بالجمع في قوله (قُلُوبُكما) ، لأن من شأن العرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما ، لأنه لا يُشْكِلُ ، وحَسَّنَ ذلك إضافته إلى المثنى وهو ضميراهما ، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالاً من المُثَنَّى [7] .

---

(1) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥٨ .

(2) لسان العرب ٣ / ٢٤٥٤ ، والمصباح المنير : ١ / ٣٤٢ (ص غ ا) .

(3) لسان العرب ، والقاموس المحيط (ز ي غ) .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٦٩١٤ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٨٦ .

(5) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٦٩١٤ .

(6) المصدر السابق : ١٠ / ٦٩١٤ .

(7) السابق : ١٠ / ٦٩١٤ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٨٦ .

(٢) في الأسماء :

[جَنَفاً ، وحَيْفاً]

في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (جَنَفاً) بالجيم والنون ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ (حَيْفاً) بالحاء والياء (٢) .

قراءة الجمهور (جَنَفاً) بفتح الجيم والنون ، مصدر (جَنِفَ يَجْنَفُ) والجَنَفُ : الجَوْرُ . يقال : جَنِفَ يَجْنَفُ ، إذا جَارَ (٣) . وقال بعضهم : الجَنَفُ : المَيْلُ (٤) . قال الأعشى :

تَجَانَفُ عَنْ حَجْرِ اليَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوائِكَا (٥)

وقال عامر الخَصَفي :

هُمُ المَوَالِي وإنْ جَنَفُوا عَلَيْنَا وإنَّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُوَرُ (٦)

وجمع ابن منظور بين المعنيين السابقين ، فقال : " الجَنَفُ : المَيْلُ والجَوْرُ (٧) ، وفسر الفَيُّوميُّ الجَنَفَ بالظلم (٨) وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد هو الظلم .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (حَيْفاً) بفتح الحاء ، وسكون الياء ، فهي مصدر

---

(١) البقرة : الآية (١٨٢) .

(٢) البحر المحيط : ٢ / ٢٨ .

(٣) معاني القرآن ، للفراء : ١ / ١١١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ٧٥٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٢٥١ ، والصحاح ، ولسان العرب (ج ن ف) ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٨ .

(٥) البيت في الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٧٥٥ ، ولسان العرب (ج ن ف) .

(٦) البيت في المصدرين السابقين .

(٧) لسان العرب : ١ / ٧٠٠ (ج ن ف) .

(٨) المصباح المنير : ١ / ١١١ (ج ن ف) .

حَافَ يَحِيفُ ، والحَيْفُ : الجَوْرُ والظلم . يقال : حَافَ يَحِيفُ ، إذا جَارَ وَظَلَم [١] وقال صاحب اللسان : " الحَيْفُ : المَيْلُ في الحُكْمِ ، والجَوْرُ في الظلمِ " [٢] .

مما سبق نرى أن هاتين القراءتين بمعنى واحد ، وهو أن من علم ورأى وأتى علمه عليه بعد موت المُوصِى أن المُوصِي مَالَ في الوصية وجَار وظَلَم وتعمَّدَ أذِيَّةَ بعض وَرَثَتِه فأصلح ما وقع بين الوَرَثَة من الاضطراب والشِّقاق فلا إثم عليه ، أي : لا يلحقه إثم في تبديل الوصية إن فَعَل ذلك لقصد الإصلاح [٣] .

وعلى ذلك فالقراءتان تتفقان من حيث الدلالة ، وتختلفان من حيث الاشتقاق .

والله أعلم .

[خُوار . وجُؤار]

في قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [٤] .

قرأ الجمهور (خُوَارٌ) بخاء معجمة وواو صريحة ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وأبو السَّمَّال (جُؤَارٌ) بالجيم والهمز [٥] .

الخُوار ، بالضم ، من أصوات البقر والغنم والظباء والسهام [٦] وقال الخليل : " الخوار : صوت الثَّوْر ، وما اشتد من صوت البقرة والعِجْل ، تقول : خَارَ يَخُورُ خَوْراً وخُوَاراً " [٧] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٧٥٥ ، والمصباح المنير : ١ / ١٥٩ (ح ي ف) .

(٢) لسان العرب : ١ / ١٠٧١ (ح ي ف) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٧٥٦ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٨ .

(٤) الأعراف : الآية (١٤٨) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ٥١ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٩٠ ، والدر المصون : ٥ / ٤٦٠ .

(٦) لسان العرب : ٢ / ١٢٨٥ ، والقاموس المحيط ص ٤٩٧ (خ و ر) .

(٧) العين : ٤ / ٣٠٣ (خ و ر) .

قال طَرَفَةُ :

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ المَلِكِ عَمْرٍو رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُورُ [(١)]

وفي حديث الزكاة : يَحْمِلُ بَعيراً له رُغاءٌ ، أو بَقَرة لها خُوارٌ [(٢)] .

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

يَخُرْنَ إذا أُنفِزْنَ في سَاقِطِ النَّدَى وإنْ كَانَ يَوْماً ذا أَهاضِيبَ مُخْضِلاَ

خُوارَ المَطَافِيلِ المُلَمَّعَةِ الشَّوَى وَأَطْلاَئِها صَادَفْنَ عِرْنَانَ مُبْقِلاَ .

يقول : إذا أُنْفِزَت السِّهَامُ خَارَتْ خُوارَ هَذِهِ الوَحش [(٣)] .

والجُؤَارُ في الأصل : هو رَفْعُ الصوت بالدعاء مع التضرع والاستغاثة . يقال : جَأَرَ يَجْأَرُ جَأْراً وجُؤَاراً : رَفَعَ صوتَهُ مع تضرع واستغاثة . وفي التنزيل : (إذا هُمْ يَجْأَرُونَ) [(٤)] وفي الحديث : " كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى مُوسَى لَهُ جُؤَارٌ إِلَى رَبِّهِ بالتَّلْبِيَةِ" ومنه الحديث الآخر : " خَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إلى الله " [(٥)] .

وجميع هذه النصوص اللغوية تعطينا دلالة واحدة وهي أن (الخُوَار) و(الجُؤَار) بمعنى واحد وهو رَفْعُ الصوت . قال الجَوْهَرِي :" الجُؤَارُ مثل الخُوَار ، جَأَرَ الثورُ والبقرةُ يَجْأَرُ جُؤَاراً : صَاحاً وخَارَ يَخُورُ بمعنى واحد : رَفَعَا صَوْتَهما " [(٦)] . وقال القُرْطُبِيّ : " يقال خَارَ يَخُورُ خَوْراً ، إذا صَاحَ،وكذلك جَأَرَ يَجْأَرُ جُؤَاراً" [(٧)] .وقال الزَّجَّاج : الخُوَار والجُؤَار " كلاهما من الصوت" [(٨)] .

(١) البيت في ديوانه ص ٩٦ ، والرغوث : النعجة المرضع .

(٢) صحيح مسلم ، بشرح النووي : ٤ / ٤٦٧ ، (باب الإمارة) .

(٣) لسان العرب : ٢ / ١٢٨٥ (خ و ر) .

(٤) المؤمنون : من الآية (٦٤) .

(٥) لسان العرب : ١ / ٥٢٨ (ج أ ر) .

(٦) الصحاح (ج أ ر) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٨١٣ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٣٧٧ .

ومن ثَمَّ نقول : إن قراءة الإمام عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ تلتقي مع قراءة الجمهور دلالة ، وإن اختلفت القراءتان في الاشتقاق .

والمعنى على هاتين القراءتين : أن الله ــ تعالى ــ يُخْبِرُ عن ضلال من ضَلَّ من بني إسرائيل في عبادتهم العِجْل الذي اتخذه السَّامِرِيّ من حُلِيّ القِبْطِ الذي كانوا استعاروه منهم فَشَكَّلَ هم منه عِجْلاً ثم أَلْقَى فيه القَبْضَة من التراب التي أخذها من أَثَرِ فَرَسِ جبريل (عليه السلام) فصار عِجْلاً جَسَداً له خُوَارٌ ، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه ــ تعالى ــ فأعلمه الله بذلك وهو على الطور [1] .

[رزقكم ، وشُكْرَكم]

في قوله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [2] . قرأ الجمهور (رِزْقَكُمْ) ، وقرأ عَلِيٌّ وابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ (شُكْرَكُمْ) [3] .

وباستقراء كتب التفسير والقراءات نجد أن القراءتين بمعنى واحد . فقد قال ابن عباس في تفسير قوله ــ عز وجل ــ : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) : " تجعلون شُكْرَكُم التكذيب " [4] وقال الفَرَّاء : " جاء في الأَثَرِ : تجعلون رِزْقَكم : شُكْرَكم ، وهو في العربية حَسَن أن تقول : جَعَلْتُ زيارتي إيَّاكَ أَنَّكَ استَخْفَفْتَ بِي ، فيكون المعنى : جعلت ثواب الزيارة الجفاء " [5] .

وقد عَزَا بعض علماء اللغة (الرِّزْق) بمعنى (الشُّكْر) إلى أَزْدِ شَنُوءَة [6] وذكر الهَيْثَمُ بْنُ

---

(1) الكشاف : ٢ / ١٢٦ ، وتفسير ابن كثير :٢ / ٢٤٧ .

(2) الواقعة : الآية (٨٢) .

(3) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥١ ، والمحتسب : ٢ / ٣١٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٦٣٠ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢١٤ .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٦٢٩ .

(5) معاني القرآن : ٣ / ١٣٠ .

(6) جمهرة اللغة ، لابن دريد : ٢ / ٣٢٤ ، ومقاييس اللغة ، لابن فارس : ٢ / ٣٨٨ ، والمقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، للدكتور محمد سالم محيسن ص٦١ ، ومعجم لغات القبائل والأمصار :١ /١١٥ .

عَدِيّ : أن من لغة أَزْدِ شَنُوءَةَ ما رِزْقُ فُلَان ؟ أي : ما شُكْرُهُ . وإنما صَلَح أن يُوضَع اسْمُ الرزق مكان شُكْرِه ، لأن شُكْرَ الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشُّكْرُ رِزْقاً على هذا المعنى "[1] .

هذا ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الكلام على حذف مضاف . قال ابن جني : " هو على حذف المضاف ، أي : تفعلون بدل شُكْرِكُم ومكان شُكْرِكُم التكذيب "[2] .

وأَرَى — والله أعلم — أن القراءتين تتحدان في المعنى ، وإن اختلفتـا في الاشـتقاق . فمعناهما : وتجعلون شُكْرَكُمْ لله على رِزْقِه إياكم أنكم تُكَذِّبُون بالنعمة وتقولون : سُقِينَا بِنَوْءِ كَذَا ، ولا تَنْسُبُونَ السُّقْيَا إلى الله عز وجل "[3] .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٦٢٩ .

(2) المحتسب : ٢ / ٣١٠ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٦٣٠ .

ثالثاً : الاختلاف في الدلالة دون الاشتقاق :

[الجَمَلُ ، والجُمَّل]

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (الجَمَلُ) بفتح الجيم والميم ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعة (الجُمَّلُ) بضم الجيم ، وفتح الميم المشددة (٢) .

قراءة الجمهور (الجَمَلُ) بفتحتين ، تحتمل معنيين :

الأول : المراد بــ (الجَمَل) ذلك الحيوان المعروف ، وعليه أكثر المفسرين (٣) .

والثاني : نُقِل عن ابن عباس ، وابن جُبَيْر ، وسالم بن عَجْلان ، ومجاهد ، وعِكْرِمَة " أنه الحَبْلُ الغليظ " (٤) . ورُوِيَ عن ابن عباس ــ أيضاً ــ أنه قال : إن الله أحسن تشبيهاً من أن يُشَبِّه بــ " الجَمَلِ " (٥) ، كأنه رأى ــ إن صح عنه ــ أن الحَبْلَ يناسب الخَيْط الذي يسلك به في خرم الإبرة (٦) .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ (الجُمَّلُ) بضم الجيم ، وفتح الميم المشددة .

---

(١) الأعراف : الآية (٤٠) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٤٣ ، والمحتسب : ١ / ٢٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٧٢٤ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٠٠ ، والدر المصون : ٥ / ٣٢١ ، وفتح القدير : ٢ / ٢٠٥ ، وروح المعاني : ٨ / ١١٩ .

(٣) المصادر السابقة ، والصفحات .

(٤) تفسير الطبري (جامع البيان) : ١٢ / ٤٢٧ ــ ٤٣٣ . ومفاتيح الغيب : ٧ / ٧٠ .

(٥) الدر المصون : ٥ / ٣٢١ .

(٦) البحر المحيط : ٤ / ٣٠٠ .

فمعناها : الحِبال المجموعة ، أو الحَبْل الغليظ ، أو حُبَل السفينة [١] ، وكلها ترجع إلى معنى واحد ؛ لأن حبل السفينة غليظ لأنه مجموع من حبال عدة .

وفي الآية قراءات أخرى ترجع إلى هذا المعنى [٢] . وجعل العُكْبَرِيّ (الجُمَّل) لغة مثل زُمَّل [٣] .

وعلى ذلك فقراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – تلتقي مع المعنى الثاني من قراءة الجمهور . وعليه فلا فرق بينهما . أما العلاقة بين قراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – والمعنى الأول – من قراءة الجمهور – وهو ما عليه أكثر المفسرين – كما سبق ذكره – فإنها تدل على أن القراءتين قد اتفقتا اشتقاقاً ، مع اختلافهما في المعنى .

ومع هذا الاختلاف في الدلالة بين القراءتين ، فلا أرى تناقضاً بينهما ؛ إذ المقصود – عند جميع العلماء – واحد ، فحاصل القراءتين : أن الآية أفادت استحالة دخول الجنة على المكذبين بآيات الله – تعالى – والمستكبرين عنها ، كما يستحيل دُخُول الجَمَلِ الكَبِير أو الحَبْل الغَلِيظ من ثُقْبِ الإِبْرَة [٤] ، وعلى ذلك قلنا : إن القراءتين تتفقان من حيث الاشتقاق وتختلفان من حيث الدلالة . والله أعلم .

[الإِبِل ، والإِبِلّ]

في قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [٥] . قرأ الجمهور (الإِبِلِ) بكسر الهمزة ، وقرأ عَلِيٌّ – رضي الله عنه – وجماعة (الإِبِلِّ) بتشديد اللام [٦] .

---

(١) معاني القرآن ، للفراء : ١ / ٣٧٩ ، والمحتسب : ١ / ٢٤٩ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٠٠ ، والدر المصون : ٥ / ٣٢١ .

(٢) المصادر السابقة ، والصفحات .

(٣) إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٥٣٩ .

(٤) ينظر : في معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ ، ٣٦ ، وزاد المسير : ٣ / ٣٩٨ ، والبحر المحيط : ٤ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام : ١ / ٤٢٦ .

(٥) الغاشية : الآية (١٧) .

(٦) البحر المحيط : ٨ / ٤٥٩ .

قراءة الجمهور (الإِبِلِ) بكسر الهمزة والباء ، اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وهو مؤنث ، ولذلك إذا صُغِّرَ دخلته التاء . فقالوا : أُبَيْلَة ، وقالوا في الجمع : آبَال [١] . والإبل بناء نادر .

قال سيبويه : " لم يَجِيءْ على (فِعِل) بكسر الفاء والعين من الأسماء إلا حرفان إِبِلٌ وحِبِرٌ وهو القَلَحُ ، ومن الصفات إلا حرف وهي امرأة بِلِزٌ وهي الضَّخْمَة " [٢] . والإِبِلُ : هي الجمال .

وقال المُبَرِّدُ : الإِبِلُ هنا : القِطَعُ العظيمة من السحاب ؛ لأنها تُرْحَي كما تُرْحَى الإِبِلُ ، وتَأْتِي أَرْسَالاً كالإبل [٣] . قال الثَّعْلَبِيُّ : لم أحد لذلك أصلاً في كتب الأئمة [٤] .

ومعنى الآية على قراءة الجمهور : أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ ينبه عباده على النظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته . ومن ذلك الإبل فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب ، فإنها في غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تَلِينُ للحِمْلِ الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف . وتُؤْكَلُ ويُنْتَفَعُ بِوَبَرِهَا . ويُشْرَبُ لَبَنُهَا . لقد احتمع فيها ما تَفَرَّقَ من المنافع في غيرها [٥] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ (الإِبِلِّ) بتشديد اللام . فمعناها : السحاب التي تَحْمِلُ للمطر [٦] ، أي : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إلى ذلك ، وما فيه من الدلالة على قدرة الله عز وجل .

وعلى هذا فالقراءتان قد اختلفتا في الدلالة واتحدتا في الاشتقاق .

---

(١) لسان العرب : ١ / ٩ ، والمصباح المنير : ١ / ٢ (أ ب ل) .

(٢) المصباح المنير : ١ / ٢ (أ ب ل) ، وينظر الكتاب : ٤ / ٢٤٤ .

(٣) البحر المحيط : ٨ / ٤٥٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٣٧٢ .

(٥) البحر المحيط : ٨ / ٤٥٨ ، وتفسير ابن كثير : ٤ / ٥٠٣ .

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص ١٧٢ ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن ، لابن خالويه ص ٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٣٧٢ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٥٩ .

المبحث الرابع

المبني للفاعل والمبني للمفعول

من المعروف في اللغة أن الأصل أن يوجد الفاعل مع الفعل ، ويتم الإسناد المؤدي لحصول الفائدة من خلالهما ، ودليل ذلك أن النحاة ذكروا أسباباً لحذف الفاعل لا لوجوده .

ويقال للفعل إذا ذكر معه فاعله : مَبْنِيٌّ للفاعل ويسمى معلوماً ، ويقال له : مَبْنِيٌّ للمفعول إذا حذف فاعله وأُنِيبَ عنه غيره ، ويسمى مجهولاً ، وفي هذه الحالة يجب أن تغير صورة الفعل عن أصلها .

وإذا بُنِيَ الفعل للمفعول وجب حذف الفاعل ، وإقامة المفعول مقامه ، وتغيير صيغة الفعل ، وقد ذكر ذلك الصرفيون في كتبهم [١] .

ولهذا الحذف أغراض ، منها ما هو لفظي ، كالقصد إلى الإيجاز في العبارة ، أو المحافظة على السجع في الكلام المنثور .

ومنها ما هو معنوي ، ككون الفاعل معلوماً للمخاطب لا يحتاج إلى ذكره ، أو مجهولاً لا يستطيع تعيينه ، أو للإيهام على السامع ، أو تعظيم الفاعل بصَوْنِ اسمه أن يَقْتَرِنَ بالمفعول به ، أو خوف المتكلم من الفاعل بان ينال المتكلم مكروه من ذكره ، أو الخوف عليه بأن ينال الفاعل مكروه بذكره . وقد نَظَم أبو حَيَّان ذلك في أُرْجُوزَةٍ ، فقال :

وَحَذْفُهُ للخَوْفِ والإِبْهَامِ		والوَزْنِ والتَّحْقِيرِ والإِعْظَامِ
والعلمِ والجَهْلِ والاخْتِصَارِ		والسَّجْعِ والوِفَاقِ والإِيثَارِ [٢]

هذا ، وقد وردت قراءات لعليّ بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ جاءت فيها أفعال

---

(١) ارتشاف الضرب : ٢ / ١٨٤ ، وشرح ابن عقيل : ١ / ٤٩٩ ، وحاشية الصبان على الأشموني : ٢ / ٦١ وشذا العرف ص ٥١ .

(٢) ارتشاف الضرب : ٢ / ١٨٤ .

مبنية للفاعل في مقابل قراءة غيره بالبناء للمفعول ، وذلك في ستة مواضع من القرآن الكـــريم ٠ وجاءت أفعال مبنية للمفعول في مقابل قراءة غيره بالبناء للفاعل ، وذلك في ثلاثة عشر موضعاً من القرآن الكريم ، ونحن نتناولها ــ إن شاء الله تعالى ــ بالدراسة على النحو التالي :

١ ــ المبني للفاعل مقابل المبني للمفعول ٠

٢ ــ المبني للمفعول مقابل المبني للفاعل ٠

أولاً : المبني للفاعل مقابل المبني للمفعول :

[يُتوفَون ، ويَتوفَون]

في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور(يُتَوَفَّوْنَ) بضم الياء ، مبنياً للمفعول ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ والمُفَضَّل عن عاصم (يَتَوَفَّوْنَ) بفتح الياء ، مبنياً للفاعل (٢) .

الوفاة : الموت . يقال : تَوَفَّاهُ الله : أَمَاتَهُ ، وتُوُفِّيَ فلانٌ ، إذا قبَضَ اللهُ رُوحَهُ (٣) .

قراءة الجمهور (يُتَوَفَّوْنَ) بالبناء للمفعول ، أي : يَتَوَفَّاهُم الله ــ عز وجل ــ أو يموتون وقد حُذِفَ الفاعل ، هنا ــ للعلم به ، أو لِعِظَمِ منزلته . فمن المعلوم أن الذي يَقْبِضُ الأرواحَ وَيَتَوَفَّى الأنفسَ هو الله ، سبحانه وتعالى .

والمعنى على هذه القراءة : والرجال الذين يموتون منكم ، ويتركون أزواجاً ، أي ولهم زوجات ، فالزوجات يَتَأَنَّيْنَ وَيَتَصَبَّرْنَ عن النكاح ، وَيَتْرُكْنَ الخروج عن مَسْكَن النكاح ، وذلك بألَّا يُفَارِقْنَهُ لَيْلاً ، وَيَعْتَدِدْنَ أربعةَ أشهرٍ وعشرةَ ليالٍ (٤) .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه (يَتَوَفَّوْنَ) بالبناء للفاعل ، فمعناها : أنهم يَسْتَوْفُونَ آجَالَهم (٥) . قال ابن منظور : " تَوَفَّى المَيِّت : استيفاءُ مدته التي وُفِيَتْ له وعَدَدُ أيامه وشهوره

---

(١) البقرة : الآية (٢٣٤) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥ ، والمحتسب : ١ / ١٢٥ ، والكشاف : ١ / ٣٧٢ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٣٢ .

(٣) لسان العرب : ٦ / ٤٨٨٦ ، والمصباح المنير : ٢ / ٦٦٧ (و ف ى) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ١٠٨٦ ، ١٠٨٨ ، وتفسير ابن كثير : ١ / ٢٨٤ .

(٥) إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٢٥٣ ، والتبيان : ١ / ١٨٧ ، والكشاف : ١ / ٣٧٢ ، والبحر المحيط : ٢ / ٢٣٢ .

وأعوامه في الدنيا " [1] .

هذا ، وقد أنكر ابن مجاهد هذه القراءة ، وَرَدّ عليه ابن جني بأن هذا " مستقيم جائز ؛ وذلك أنه على حذف المفعول ، أي : والذين يَتَوَفَّوْنَ أيامَهم أو أعمارَهم أو آجالَهم ، كما قال (سبحانه) : ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ﴾ [2] ، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾[3]. وحَذْفُ المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام ، وذلك إذا كان هناك دليل عليه . قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [4] أي : شيئاً ، وأنشدنا أبو عَلي للحُطَيْئة :

مُنَعَّمَةٌ تَصُونُ إليكَ مِنْهَا كَصَوْنِكَ من رِدَاءِ شَرْعَبِيّ [5]

أي: تصون الكلام منها ، وهو كثير جداً [6] .

[فعُمِّيَت ، وفَعَمَّاها]

في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [7] .

قرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص : (فعُمِّيَتْ) بضم العين ، وتشديد الميم ، مبنياً للمفعول ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وأُبَيّ ، والسُّلَمِيّ ، والحَسَن ، والأَعْمَش : (فَعَمَّاهَا) بفتح العين ، مبنياً للفاعل [8] .

(1) لسان العرب : ٦ / ٤٨٨٦ (و ف ى) .

(2) المائدة : من الآية (١١٧) .

(3) النحل : من الآيتين (٢٨) ، (٣٢) .

(4) النمل : من الآية (٢٣) .

(5) البيت في ديوان ص ٣٥ ، والخصائص : ٢ / ٣٧٢ ، والشرعبي : ضرب من ثياب اليمن .

(6) المحتسب : ١ / ١٢٥ .

(7) هود : الآية (٢٨) .

(8) البحر المحيط : ٥ / ٢١٧ .

قراءة حمزة والكسائي (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بالبناء للمفعول ، أي : أُبْهِمَتْ عليكم وأُخْفِيَتْ كما يقال : عَمَّيْتُ عليه الأمر حتى لا يُبْصِره (١) .

أما قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه (فَعَمَّاهَا عَلَيْكُمْ) فهي بمعنى : أَخْفَاها وأَبْهَمَها عليكم ، وذلك أنهم صمموا على الإعراض عنها ، فَخَلَّاهُم الله وتصميمهم ، فجُعِلَتْ تلك التخلية تعميةً منه .

والدليل عليه (أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) ، أي أَنُكْرِهُكُمْ على قبولها ونُقْسِرُكم على الاهتداء بها، وأنتم تكرهونها ، ولا تختارونها (٢) .

وقد أَوْضَحت هذه القراءة أن الفعل مسند إلى الله ـــ تعالى ـــ وأنه هو الذي عَمَّاهَا . وخَذَلَ من كفر به .

والمعنى في القراءتين واحد ، وهو أن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أبهم البينة وهي الرسالة والهداية على قوم نوح ، وأخفاها عليهم فلم يفهموها ، وذلك حين صَمَّمُوا على الإعراض عنها (٣) .

[تُرْجَعُونَ ، وتَرْجِعُونَ]

في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٤). قرأ الجمهور (تُرْجَعُونَ) بالبناء للمفعول ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ (تَرْجِعُونَ) مبنياً للفاعل (٥) .

الرجوع : العَوْد إلى ما كان فيه البدء ، أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً ، أو قولاً ، وبذاته كان رجوعه ، أو بجزء من أجزائه ، أو بفعل من أفعاله ، فالرجوع : العَوْد .

---

(١) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٣٣٨ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢١٧ .

(٢) البحر المحيط : ٥ / ٢١٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٣٤٣ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢١٧ .

(٤) العنكبوت : الآية (٥٧) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٥ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٥٣ .

والرَّجْعُ : الإعادة [1] .

قراءة الجمهور (تُرْجَعُونَ) مبنياً للمفعول من (رَجَعَ) المتعدي ، لأن (رَجَعَ) يكون متعدياً ولازماً ، يقال : رَجَعَ بنفسه رُجُوعاً ، ورَجَعَهُ غيرُه رَجْعاً ، وهُذَيْل تقول : أَرْجَعَهُ غَيْرُهُ[2] قال القرطبي : " وهي قراءة حَسَنة ، ويدل عليها قوله ــ تعالى ــ : (ثُمَّ تُرَدُّونَ) ، و(ثُمَّ رُدُّوا) ، و ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ [3] ، وحذف الفاعل للعلم به .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (تَرْجِعُونَ) مبنياً للفاعل ، فمن (رَجَعَ) اللازم ، وهي الأصل ، ويدل عليها قوله ــ تعالى ــ ﴿ ألا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ ، و ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾ [4] . وقد أخبر الله ــ عز وجل ــ أن كل نفس لها أجل تبلغه ، وتموت في أي مكان حَلَّ ، وأن رجوعَ الجمع إلى أجزائه يوم القيامة [5] .

والقراءتان حسنتان بمعنى، والأصل البناء للفاعل ، وبناؤها للمفعول تَوَسُّع وفَرْع ، والأمور كلها راجعة إلى الله قبلُ وبعدُ ، وإنما نَبَّهَ بذكر ذلك في يوم القيامة على زَوال ما كان منها إلى الملوك في الدنيا [6] .

وفي قوله ــ تعالى ــ : (ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) من الترهيب والترغيب ما يزيد المُسِيءَ خَشْيَةً ، وَيَرُدُّهُ عن بعض ما يرتكبه ، ويزيدُ المحسنَ رغبةً في الخير ، وَيَدْعُوهُ رَجَاؤُه إلى الازدياد في الإحسان [7] .

---

(1) المفردات في غريب القرآن ص ١٨٨ ، وينظر : لسان العرب ، والقاموس المحيط (ر ج ع) .
(2) الصحاح ، ولسان العرب (ر ج ع) .
(3) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٩٤١ ، والآيات من سورة : الجمعة : (٨) ، والأنعام : (٦٢) ، والكهف : (٣٦) على التوالي .
(4) السابق المصدر والصفحة . والآيتان من سورة : الشورى : (٥٣) ، والمائدة : (٤٨) .
(5) البحر المحيط : ١٥٣ .
(6) الجامع لأحكام القرآن : ١ /٩٤١، وفتح القدير: ١ / ٦٠، وتفسير ابن كثير : ١ / ١٣٢ .
(7) البحر المحيط : ١ / ٢٧٨ .

[غُلِبَتْ ، وغَلَبَتْ]

في قوله تعالى : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور (غُلِبَت الرُّومُ) بضم الغين ، مبنياً للمفعول ، وقرأ عِلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ (غَلَبَت الرُّومُ) بفتح الغين ، مبنياً للفاعل (٢) .

الغَلَبُ ، بفتح اللام وسكونها : القَهْرُ . يقال : غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غَلْباً وغَلَباً : قَهَرَهُ (٣) .

قراءة الجمهور (غُلِبَت الرُّومُ) بالبناء للمفعول ، معناها : أن فارس قَهَرَت الروم ، وكان ذلك بأذْرِعَات وبُصْرَى ، وهي أقرب بلاد الشام إلى أرض العرب والعجم . وقيل : كان ذلك بالجزيرة ، وهي موضع بين العراق والشام . فشق ذلك على المسلمين لكونهم مع الروم أهل كتاب وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المجوس ليسوا بأهل كتاب ، فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سنين (٤) وحذف الفاعل ـ هنا ـ والله أعلم ـ لاحتقاره .

أما قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ (غَلَبَت الرُّومُ) بفتح الغين واللام ، مبنياً للفاعل ، فمعناها : أن الرومَ قَهَرت فارس فَعَزَّ ذلك على كفار قريش وسُرَّ المؤمنون (٥) .

وذكر أبو جعفر النَّحَّاس أن القراءة بالبناء للمفعول (غُلِبَتْ) هي قراءة أكثر الناس ، وجعلها ابن عطية أَصَحَّ (٦) .

---

(١) الروم : الآيات (١) ، (٢) ، (٣) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٦٠ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٥٧ .

(٣) لسان العرب (غ ل ب) ٤ / ٣٢٧٨ ، ٣٢٧٩ ، وانظر : ص ٧٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٦٠ ، ٥٢٦١ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٥٧ .

(٥) المصدران السابقان ، والصفحتان .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٦٠ ، ٥٢٦١ .

وأرَى ــ والله أعلم ــ أن القراءتين صحيحتان ، فالروم قد غُلِبَتْ ، وغَلَبَتْ . قال ابن عباس في قول الله ــ عز وجل ــ : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ قال : غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ " [1] .

[سُئِلَتْ ، وسَأَلَتْ]

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ [2] . قرأ الجمهور (سُئِلَتْ) بضم السين ، وكسر الهمزة ، مبنياً للمفعول ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ (سَأَلَتْ) بفتح السين والهمزة ، مبنياً للفاعل [3] .

المَوْءُودَةُ: البنتُ التي تُدْفَنُ حية . يقال: وَأَدَ ابْنَتَهُ وَأْداً: دَفَنَهَا حيةً .

وأصله من الثِّقَلِ . يقال : وَأَدَهُ إذا أثْقَلَهُ ، كأنها تُثْقَلُ من التراب حتى تموت [4] .

قراءة الجمهور (سُئِلَتْ) بالبناء للمفعول ﴿ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [5] كذلك وبتاء التأنيث فيهما . وسؤال الموءودة سؤال توبيخ لقاتلها ، كما يقال للطفل إذا ضُرِبَ : لِمَ ضُرِبْتَ ، وما ذَنْبُكَ ؟ قال الحَسَن : أراد الله أن يوبخ قاتلها ، لأنها قُتِلَتْ بغير ذنب [6] .

وقال الزَّجَّاج : " معنى سؤالها : بأي ذَنْبٍ قُتِلَتْ تبكيتُ قاتلها في القيامة لأن جوابها قُتِلْتُ بغيرِ ذَنْبٍ ، ومثل هذا التبكيت قول الله تعالى : ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [7] ،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٥٧ .
(2) التكوير : الآية (٨) .
(3) مختصر في شواذ القرآن ص ١٦٩ ، وفتح القدير : ٥ / ٣٨٩ ، والبحر المحيط : ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
(4) البحر المحيط : ٨ / ٤٢٢ ، والمصباح المنير : ٢ / ٦٧٤ (وأد) .
(5) التكوير : الآية (٩) .
(6) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٢٦٩ .
(7) المائدة : من الآية (١١٦) .

فإنما سؤاله وجوابه تَبْكِيتٌ لمن ادّعى هذا عليه " [١] .

وقال الفَرَّاءُ : " ومن قرأ (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) ففيه وجهان : سُئِلَتْ : فقيل لها : بأي ذَنْبٍ قُتِلْتِ ، ثم يجوز قُتِلَتْ ، كما جاز في المسالة الأولى ، ويكون سُئِلَتْ : سُئِلَ عنها الذين وَأَدُوها . كأنك قلت : طُلِبَتْ منهم ، فقيل : أين أولادكم ؟ وبأي ذَنْبٍ قتلتموهم ؟ وكل الوجوه حَسَنٌ بَيِّنٌ إلا أن الأكثر (سُئِلَتْ) فهو أحبها إلي " [٢] .

أما قراءة عَليّ ـــ رضي الله عنه ـــ (سَأَلَتْ) بالبناء للفاعل (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ) بسكون اللام وضم التاء ، فهي حكاية لكلامها حين تتعلق بأبيها فتقول : بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلْتَنِي ؟ ! فلا يكون له عُذْرٌ [٣] . قال ابن عباس : هي التي تَسْأَلُ ولَا تُسْأَلُ [٤] . وقال الفراء : " وقد يجوزأن يقرأ : (بأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) ، والمعنى : بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ . كما تقول في الكلام : عبد الله بأي ذنب ضُرِبَ وبأي ذَنْبٍ ضُرِبْتُ ، وكذلك قوله :

رَجْلَانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرَانَا إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلاً عُرْيَانَا [٥]

والمعنى :أخبرانا أنهما ، ولكنه جرى على مذهب القول ، كما يقول : قال عبد الله : إنه لذاهبٌ وإني ذاهبٌ ، والذهاب له في الوجهين جميعاً " [٦] .

وجعل الزجاج القراءتين بمعنى واحد، فقال : " وكذلك من قرأ : (سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) ، سؤالها تبكيت لقاتلها " [٧] .

ويرى القُرْطبيّ أن قراءة الجمهور(سُئِلَتْ) أبلغ ؛ لأن " سؤالَ الموءودةِ توبيخٌ لوائدها ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٢٩٠ .

(٢) معاني القرآن : ٣ / ٢٤١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٢٦٩ ، ٧٢٧٠ ،والبحر المحيط : ٨ / ٤٢٥ .

(٤) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٤٠ .

(٥) الرجز في المحتسب : ١ / ١٠٩ ، والخصائص : ٢ / ٣٣٨ .

(٦) معاني القرآن : ٣ / ٢٤٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٢٩٠ .

وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها ؛ لأن هذا مما لا يصح إلا بذنب ، فبأي ذنب كان ذلك ، فإذا ظهر أنه لا ذنب لها كان أعظم في البَلِيَّة وظهور الحجة على قاتلها . والله أعلم (1) .

[خُلِقَتْ ، رُفِعَتْ ، نُصِبَتْ ، سُطِحَتْ ، خَلَقْتُ ، رَفَعْتُ ، نَصَبْتُ ، سَطَحْتُ]

في قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (2) .

قرأ الجمهور : (خُلِقَتْ) ، و (رُفِعَتْ) و (نُصِبَتْ) ، و (سُطِحَتْ) بتاء التأنيث مبنياً للمفعول ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وأبو حَيْوَةَ ، وابن أبي عَبْلَةَ : (خَلَقْتُ) ، و(رَفَعْتُ) و (نَصَبْتُ) ، و (سَطَحْتُ) بتاء المتكلم مبنياً للفاعل (3) .

قراءة الجمهور : (خُلِقَتْ) ، و(رُفِعَتْ) و (نُصِبَتْ) ، و (سُطِحَتْ) أفعال ماضية ، وفاعلها مضمر فيها . والفاعل هاهنا مفعول في المعنى لأنه اسم ما لم يسم فاعله . والاستفهام ــ هنا ــ عن الحال (4) .

والمعنى : أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لَمَّا ذكر أمر أهل الدارين تعجب الكفار من ذلك ، فكَذَّبُوا وأَنْكَرُوا ، فَذَكَّرَهُم الله صَنْعَتَهُ وقدرته ، وأنه قادر على كل شيء ، كما خلق الحيوانات والسماء والأرض . فالإبل تحمل وِقْرَها باركة ثم تنهض به ، وليس شيء من الدواب يطيق ذلك إلا البعير . والسماء رُفِعَتْ عن الأرض رفعاً بعيد المدى بلا عَمَدٍ . والجبال نُصِبَتْ على الأرض نصباً ثابتاً بحيث لا تَمِيل ولا تزول . والأرض بُسِطَتْ ومُدَّتْ حتى صارت

(1) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٢٧٠ .

(2) الغاشية : الآيات (١٧) ، (١٨) ، (١٩) ، (٢٠) .

(3) مختصر في شواذ القرآن ص ١٧٢ ، وإعراب ثلاثين سورة ص ٧٩ ، والمحتسب : ٢ / ٣٥٦ ، والكشاف : ٤ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ومفاتيح الغيب : ٣١ / ١٥٨ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٥٩ .

(4) إعراب ثلاثين سورة ص ٧٩ .

كالمِهاد للمُتَقَلِّبِ عليها [1] .

أما قراءة عليّ ـــ رضـــي الله عنـــه ـــ : (خَلَقْـــتُ) ، و (رَفَعْـــتُ) و (نَصَـــبْتُ) ، و (سَطَحْتُ) بفتح أوائل هذه الحروف كلها ، وضم التاء . فالمفعول ـــ هنا ـــ محذوف لدلالـــة المعنى عليه ، أي : كيف خَلَقْتُهَا ، ورَفَعْتُهَا ، ونَصَبْتُها ، وسَطَحْتُهَا ؟

وحذف المفعول به حَسَن ، وهو أقوى دليل على عربية الناطق به " [2] .

---

(1) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٢٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٣٧١، ٧٣٧٣ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٥٩ .

(2) المحتسب : ٢ / ٣٥٦ .

ثانياً : المبني للمفعول مقابل المبني للفاعل :

[أَتَوا ، وأُوتُوا]

في قوله تعالى: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (بِمَا أَتَوْا) بفتح الهمزة والتاء ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ (بِمَا أُوتُوا) على ما لم يسم فاعله (٢) .

قراءة الجمهور : (يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) مبنياً للفاعل ، أي : بما فَعَلُوا ، فـ (أَتَى) ـــ هنا ـــ بمعنى فَعَل كقوله تعالى : " إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً " (٣) ، أي : مفعولاً ، ويدل عليه قراءة أُبَيّ (بِمَا فعَلُوا) (٤) وفي الذي فعلوه وفرحوا به أقوال :

أحدها : كَتْمُ ما سألهم عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وإخبارهم بغيره ، وأَرَوْه أنهم قد أخبروه به واستحمدوا بذلك إليه ، والمراد بذلك أهل الكتاب .

الثاني : ما أصابوا من الدنيا ، وأحبوا أن يقال : إنهم علماء . وهذا مبني على أن الآية نزلت في أحبار اليهود ، وهو قول أكثر المفسرين.

الثالث : ما فعلوا من القُعود في التخلف عن الغزو ، وجاءوا به من العُذْرِ . والمراد بذلك بعض المنافقين (٥) .

أما قراءة عَلِيّ ـــ رضي الله عنه ـــ (بِمَا أُوتُوا) بضم الهمزة والتاء ، مبنياً للمفعول ،

---

(١) آل عمران : الآية (١٨٨) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص٢٣ ، الكشاف : ١ /٤٨٧ ، مفاتيح الغيب : ٩ / ١٣٣ .

(٣) مريم : من الآية (٦١) .

(٤) البحر المحيط : ٣ / ١٤٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٦٤٦ ، والبحر المحيط : ٣ / ١٤٣ .

فمعناها : بِمَا أُعْطُوا [(١)] ، أي لا تَحْسَبَنَّ الذين يفرحون بما أُعْطُوا من الدنيا ، ويحبون أن يقال : إنهم علماء .

والخطاب في الآية للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، أي لا تَحْسَبَنَّ يا محمد الفارحين بمفازة من العذاب [(٢)]. وفي هذه الآية دلالة على أن تَزَيُّنَ الإنسان بما ليس فيه ، وحُبَّه المدحَ عليه منهي عنه ، ومذموم شرعاً .

[زَيَّنَ ، وزُيِّنَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [(٣)] .

قرأ الجمهور : (زَيَّنَ) بفتح الزاي ، مبنياً للفاعل ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ (زُيِّنَ) مبنياً للمفعول [(٤)] .

قراءة الجمهور (زَيَّنَ) بالبناء للفاعل ، ونصب (قَتْل) مضافاً إلى (أَوْلادِهِم) ، ورفع (شُرَكَاؤُهم) فاعلاً بـ (زَيَّنَ) . والتقدير : زَيَّنَ لكثير من المشركين قَتْلَهُمْ أَوْلادَهُم شُرَكَاؤُهُمْ .

والمعنى : فكما زَيَّنَ لهؤلاء أن جعلوا لله نصيباً ولأصنامهم نصيباً ، كذلك زَيَّنَ لكثير من المشركين قَتْلَ أولادِهم شُرَكَاؤُهم [(٥)] . وشُرَكاؤُهم ــ هاهنا ــ هم الذين كانوا يَخْدمُون الأوثان [(٦)] ، وقيل : هم الغُوَاةُ من الناس ، وقيل : هم الشياطين [(٧)] .

---

(١) إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٣٥٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٦٤٨ .

(٣) الأنعام : الآية (١٣٧) .

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ٢٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٦١١ ، والبحر المحيط : ٤ / ٢٣١ .

(٦) معاني القرآن ، للفراء : ١ / ٣٥٧ ، وحجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٢٧٤ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٦١١ .

وَوَصَفَ مكي هذه القراءة بأنها الاختيـار ؛ لصـحة الإعـراب فيهـا ، ولأن عليهـا الجماعة [1] .

أما قراءة عَليّ ـــ رضي الله عنه ـــ (زُيِّنَ) بضم الزاي ، مبنياً للمفعول ، ورفع (قَتْل) لأنه القائم مقام الفاعل ، وجر (أَوْلَادِهِمْ) بالإضافة ، ورفع (شُرَكَاؤُهُمْ) ، وهذا يحتمل تأويلين :

أحدهما : وهو الوجه ، أن يكون مرفوعاً بفعل مضمر دل عليه قوله " زُيِّنَ "، كأنه لما قال : زُيِّـنَ لكثير من المشركين قَتْلُ أولادِهم • قيل : مَنْ زَيَّنَهُ لهم ؟ فقيل : زَيَّنَهُ لهم شـركاؤهم فارتفع الشركاء بفعل مضمر دل عليه " زُيِّنَ " فهو إذاً كقولك : أُكِلَ اللحمُ زَيْـدٌ ، وُرِكبَ الفَرَسُ جَعْفَرٌ ، وترفع زيداً وجعفراً بفعل مضمر دل عليه هذا الظاهر • فهذا هو الوجه المختار في رفع الشركاء ، وشاهده في المعنى قـراءة الكافـة : (وَكَـذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِم شُرَكَاؤُهُمْ) ألا ترى أن الشركاء هم الْمُزَيِّنُـونَ لا محالة ؟ هكذا خرجه سيبويه [2] .

وأما الثاني : فأجازه قُطْرُب ، وهو أن يكون الشركاء ارتفعوا في صلة المصدر الذي هـو القَتْـل بفعلهم ، أي أن يكون فاعلاً بالمصدر، وكأنه وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين أن قَتَلَ شركاؤهم أولادَهم ، وشَبَّهَهُ بقوله : حُبِّبَ إليّ رُكوبُ الفرسِ زيـدٌ ، أي أنْ رَكِـبَ الفرسَ زيدٌ .

فعلى توجيه سيبويه الشركاء مُزَيِّنُونَ لا قاتلون ، كما ذلك في القراءة الأولى ، وعلـى توجيه قُطْرُب الشركاء قاتلون • ومَجَازُه أنهم لما كانوا مُزَيِّنِينَ القتلَ جعلوا هـم القـاتلين وإن لم يكونوا مباشري القتل [3] .

وأَرَى ـــ والله أعلم ـــ أن المعنى أن الْمُزَيِّنِينَ هم الشركاء ، وأن القاتل هم المشـركون ، وهذا واضح •

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٦١٢ •

(2) ينظر : الكتاب : ١ / ٢٨٨ ، ٢٩٠ •

(3) المحتسب : ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والبحر المحيط : ٤ / ٢٣١ •

[نَقْدِرَ ، ويُقَدَّرَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

قرأ الجمهور : (نَقْدِرَ) بنون العظمة مخففاً ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ واليَمَاني (يُقَدَّر) بضم الياء ، وفتح القاف ، والدال مشددة (٢) .

قراءة الجمهور : (نَقْدِرَ) بفتح النون ، مبنياً للفاعل ، معناها : نَضَيِّقُ عليه ، فهو من القَدْرِ لا من القُدْرة (٣). وقال قَتَادَة ، ومجاهد ، والفراء : هو من القَدْرِ الذي هو القضاء والحكم والمعنى : فَظَنَّ أن لن نَقْدِرَ عليه من العُقوبة ما قَدَّرْنَا ؛ أي فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة . وعلى هذا فــ (نَقْدِر) مأخوذ من القَدْرِ وهو الحكم دون القُدْرَة والاستطاعة (٤) .

ورُوِىَ عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثَعْلَب ، أنه قال في قول الله ــ عز وجل ــ : (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عليه) هو من التقدير ليس من القدرة ، يقال منه : قَدَرَ الله لك الخير يَقْدُرُهُ قَدْراً ، بمعنى قَدَّرَ الله لك الخيرَ . وأنشد ثعلب :

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ اللِّوَى بِرَوَاجِعٍ لَنَا أبداً ما أَوْرَقَ السَّلَمُ النَّضْرُ
ولَا عائدٌ ذَاكَ الزمان الذي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَقَعْ وَلَكَ الشُّكْرُ

يعني ما تُقَدِّرُهُ وتَقْضِي به يَقَعُ (٥) .

وقال الزَّجَّاج في بيان معنى هذه القراءة : " أي ظَنَّ أن لن نَقْدِرَ عليه ما قَدَّرْنَاهُ من كَوْنِهِ

(١) الأنبياء : الآية (٨٧) .
(٢) البحر المحيط : ٦ / ٣١١ .
(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٢٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٤٥١٢ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٥١٢ .

في بطن الحوت ، ويَقْدِرُ بمعنى يُقَدِّرُ • وقد جاء هذا في التفسير " [١] • قال القرطبي : والعلماء على هذين التأويلين [٢] •

أما قراءة عَلِيّ — رضي الله عنه — (يُقَدَّرَ عَلَيْهِ) بضم الياء ، وشد الدال ، مبنياً للمفعول ، فهي بمعنى قراءة الجمهور ؛ لأن (قَدَرَ) و (قَدِرَ) بمعنى واحد [٣] ، كما أن قَدَرَ وقَدَّرَ كذلك • يقال : قَدَرَ عليه الشيء ، وقَدَّرَهُ : ضَيَّقَهُ [٤] • وحذف الفاعل — هنا — للعلم به •

[يَمْشُونَ ، ويُمَشَّونَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ [٥] •

قرأ الجمهور : (يَمْشُونَ) بفتح الياء ، وسكون الميم ، وتخفيف الشين ، وقرأ عَلِيّ — رضي الله عنه — وجماعة : (يُمَشَّوْنَ) بضم الياء ، وفتح الميم ، وشد الشين المفتوحة [٦] •

قراءة الجمهور : (يَمْشُونَ) مضارع (مَشَى) ، مبنياً للفاعل • والمعنى : أن الله — سبحانه وتعالى — يقول مخبراً عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين إنهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التَّغَذِّي به ، ويَمْشُون في الأسواق للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم [٧] •

أما قراءة عَلِيّ — رضي الله عنه — (يُمَشَّوْنَ) بضم الياء ، وفتح الشين مشددة مبنياً

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٤٠٢ •

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٥١٢ •

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها •

(٤) لسان العرب : ٥ / ٣٥٤٧ (ق د ر) •

(٥) الفرقان : الآية (٢٠) •

(٦) المحتسب : ٢ / ١٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٨٧٦ ، والبحر المحيط : ٦ / ٤٤٩ ، وفتح القدير : ٤ / ٦٨ •

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣١٣ •

للمفعول ، بمعنى يُدْعَوْنَ إلى المشي ، ويُحْمَلُونَ عليه ، أي : يُمَشِّيهم حوائجُهُم والناس [(1)] .

قال ابن جني : " وجاء على (فُعِّل) لتكثير فِعْلهم ، إذ هم (عليهم السلام) جماعة ، ولو كانت (يُمَشُّون) بضم الشين لكانت أوفق لقوله ـ تعالى ـ : (لَيَأْكُلُونَ الطَّعَام) ، إلا أن معناه يُكْثِرُونَ المشيَ كما قال :

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ [(2)] [(3)]

وقال الزمخشري : ولو قرئ : (يُمَشُّونَ) لكان أوجه لولا الرواية [(4)] .

وهذه الآية نزلت جواباً للمشركين حين قالوا : (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُل الطعامَ وَيَمْشِي في الأَسْوَاقِ) فقد عَيَّر المشركون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالفاقة ، وحَزِن لذلك فنزلت تعزيةً له ، فقال جبريل (عليه السلام) : السلام عليك يا رسول الله ! الله ربك يقرئك السلام ويقول لك : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ) ، أي يبتغون المعايش في الدنيا [(5)] .

[يُبْلِسُ ، ويُبْلَسُ]

في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [(6)] .

قرأ الجمهور : (يُبْلِسُ) بضم الياء ، وكسر اللام ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : (يُبْلَسُ) بفتحها [(7)] .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٨٧٦ ، والبحر المحيط : ٦ / ٤٤٩ .

(2) البيت للمتنخل الهذلي . ينظر : ديوان الهذليين : ٢ / ٢١ ، ولسان العرب (ح ن ت) ، و (ق ط ط) ، والحانوت : الخمار ، والصراصرة : نبط الشام ، والقطاط : الجعاد .

(3) المحتسب : ٢ / ١٢٠ .

(4) البحر المحيط : ٦ / ٤٤٩ .

(5) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٨٧٥ .

(6) الروم : الآية (١٢) .

(7) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٦ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٦٠ .

الإبلاسُ : هو السكوت وانقطاع الحجة . يقال : أَبْلَسَ الرجلُ ، إذا سَكَتَ وانقطعتْ حجته ، ولم يُؤَمِّلْ أن تكون له حجة ، وقريب منه تَحَيَّرَ ، كما قال العَجَّاجُ :

يَا صَاحِ ! هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا ؟ قَالَ : نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسَا [١].

والمُبْلِسُ : الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يَهْتَدِي إليها[٢].

قراءة الجمهور : (يُبْلِسُ) بكسر اللام ، مبنياً للفاعل ، ومعناها : يَيْأَسُ المجرمون في القيامة من كل خير ، وينقطع كلامهم وحجتهم انقطاع يَئِسِينَ من رحمة الله [٣] .

أما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ (يُبْلَسُ) بفتح اللام على ترك تسمية الفاعل ، فمعناها : يُقْطَعُ بهم الكلام ويسكتون . يقال : أَبْلَسَ الرجلُ : قُطِعَ به ، وأَبْلَسَهُ ، إذا أَسْكَتَهُ [٤] .

وقال بعضهم في هذه القراءة : " وهذا بعيد ؛ لأن أَبْلَسَ لم يستعمل متعدياً ، ومخرجه أن يكون أقام المصدر مقام الفاعل وحَذَفَه وأقام المضاف إليه مقامه ، أي يبلس إِبْلاس المجرمين [٥] .

وقراءة الجمهور (يُبْلِسُ) بالبناء للفاعل أجودُ وأَعْرَفُ [٦] .

[ضَلَلْنا ، وضُلِّلْنا]

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ [٧] .

---

(١) هذا الرجز في : معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٦٦ ، ولسان العرب : ١ / ٣٤٣ ، والمكرس : الذي صار فيه الكرس ، وهو الأبوال والأبعار .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٦٦ ، ٥٢٦٧، ولسان العرب : ١ /٣٤٣ (ب ل س) .

(٣) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٢٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ١ / ٣٤٣ (ب ل س) .

(٤) البحر المحيط : ٧ / ١٦٠ .

(٥) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٢٨٢ ، هامش (١) .

(٦) ينظر : معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢٦٦ .

(٧) السجدة : الآية (١٠) .

قرأ الجمهور : (ضَلَلْنَا) بفتح الضاد واللام ، والمضارع (يَضِلُّ) ، بكسر عين الكلمة ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وأبو حَيْوَةَ : (ضُلِّلْنَا) بضم الضاد ، وكسر اللام مشددة [1] .

قراءة الجمهور (ضَلَلْنَا) بفتح الضاد المعجمة ، مبنياً للفاعل ، والمعنى : غِبْنَا في الأرض ، وهَلَكْنَا ، وأصله من قول العرب : ضَلَّ الماءُ في اللَّبَنِ ، والعرب تقول للشيء غَلَبَ عليه غَيْرُهُ حتى خَفِي فيه : قد ضَلَّ [2] .

أما قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ (ضُلِّلْنَا) بضم الضاد ، وتشديد اللام ، مبنيا للمفعول ، فمعناها أُهْلِكْنَا [3] .

والمعنى العام من الآية على القراءتين : يقول الله ـ تعالى ـ مُخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد أن هذا بعيد بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى الذي بدأهم وخلقهم من العدم [4] .

[يَصْعَدُ ، ويُصْعَدُ]

في قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [5] .

قرأ الجمهور : (يَصْعَدُ) بفتح الياء ، مبنياً للفاعل ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ (يُصْعَدُ) بضم الياء ، مبنياً للمفعول [6] .

الصعود : هو العروج والارتقاء . قال الخليل : صَعَدَ ، إذا ارْتَقَى ، وقد ضَرَبَ صعودَ

---

(1) البحر المحيط : ٦ / ٤٤٩ ، والفتوحات الإلهية : ٣ / ٤١٥ .

(2) تقدم هذا ص ١٧٦ .

(3) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٢٩٦ .

(4) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٥٧ ، ومفاتيح الغيب : ١٢ / ٥٤٧ ، والبيضاوي : ٢ / ١١٢ .

(5) فاطر : الآية (١٠) .

(6) البحر المحيط : ٧ / ٢٩٠ .

الكَلِمِ الطيبِ مثلاً لقبوله [١] .

قراءة الجمهور : (يَصْعَدُ) من (صَعِدَ) بكسر العين ، أي : عَرَجَ ، والمعنى : إلى الله يَعْرُجُ التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة ، والعمل الصالح يرفعه الله إليه ، أي يقبله [٢] . وقال ابن كثير : " إلى الله ــ تعالى ــ يَعْرُجُ الذكر والتلاوة والدعاء ، والعمل الصالح يَرْفَعُهُ الكلام الطيب ، أي الذكر والتلاوة والدعاء [٣] .

وقال أبو حَيَّان : صُعُود الكلام إليه ــ تعالى ــ كناية عن القبول[٤] .

والضمير في (يَرْفَعُهُ) يجوز أن يكون أحد ثلاثة أشياء ، وذلك قول أهل اللغة جميعاً ، فيكون والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، ويجوز أن يكون والعمل يرفعه الكلم الطيب ، أي لا يقبل العمل الصالح إلا من موحد ، والقول الثالث أن يَرْفَعَهُ الله عز وجل [٥] .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (إِلَيْهِ يُصْعَدُ) بضم الياء ، وفتح العين فعلى ما لم يسم فاعله ، والمُسْنَدُ إليه (الكَلِم) .

والمعنى : أن الكَلِم الطيب تُرَقِّيهِ الملائكةُ أو العملُ الصالح [٦] . فهذه القراءة أوضحت أن الكَلِم الطيب يَصْعَدُ وَيُرْقَى إلى الله ــ عز وجل ــ بواسطة الملائكة أو بالعمل الصالح .

والقراءتان متقاربتان في المعنى .

[شَهِدُوا ، وأُشْهِدُوا]

في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ

---

(١) العين : ١ / ٢٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ٨ : ٥٦٠١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٦٠١ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٩٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٥٤٩ .

(٤) البحر المحيط : ٧ / ٢٩٠ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٢٦٥ .

(٦) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلونَ ﴾ [١] .

قرأ الجمهور · (أَشَهِدُوا) بهمزة الاستفهام داخلة على (شَهِدُوا) ماضياً مبنياً للفاعل ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (أَأُشْهِدُوا) بهمزة داخلة على (أُشْهِدُوا) مبنياً للمفعول [٢] .

المشاهدة : المعاينة والحضور . يقال : شَهِدَهُ شُهُوداً ، أي : حَضَرَهُ ، فهو شَاهِدٌ ، وقومٌ شُهُودٌ ، أي حُضُورٌ . ويقال : شَهِدْتُ الشيءَ ، اطَّلَعْتُ عليه وعَايَنْتُهُ ، فأنا شَاهِدٌ ، والجمع أَشْهَادٌ وشُهُودٌ ، ويُعَدَّي بالهمزة فيقال : أَشْهَدْتُهُ الشيءَ [٣] .

قراءة الجمهور : (أَشَهِدُوا) بهمزة الاستفهام الداخلة على الماضي المبني للمعلوم . والمعنى أَحَضَرَ هؤلاء خَلْقَ الملائكة وشاهدوه حتى حكموا بأنهم إناث . وقيل : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) سألهم وقال : فما يدريكم أنهم إناث ؟ فقالوا : سمعنا بذلك من آبائنا ، ونحن نشهد أنهم لم يَكْذِبُوا في أنهم إناث [٤] .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (أَأُشْهِدُوا) بهمزتين محققتين ، الأولى همزة الاستفهام بمعنى الإنكار ، والثانية همزة التعدية ، والفعل مبني للمجهول ، فإن هذه القراءة بمعنى قراءة الجمهور . قال الفراء : " نَصَبَ الألف من (أَشَهِدُوا) عاصم ، والأَعْمَش ، ورفعها أهل الحجاز على تأويل : أُشْهِدُوا خَلْقَهم ؛ لأنه لم يسم فاعله ، والمعنى واحد " [٥] .

وقال ابن جني : " فإن قلت : فإن المشركين لم يَدَّعُو أنهم أُشْهِدُوا خَلْقَ ذلك ، ولا حَضَرُوه . قيل : اجتراؤهم على ذلك ، ومجاهرتهم به ، واعتقادهم إياه ، وانطواؤهم عليه فِعْلُ من شَاهَدَهُ ، وعَايَنَ مُعْتَقِداً ما يَدَّعِيهِ فيه ، لا من هو شَاكٌّ ومُرَجِّمٌ ومُتَظَنٌّ ، إن لم يكن معانداً ومُتَخَرِّصاً لما لا يعتقده أصلاً . فلما بلغوا هذه الغاية صاروا كالمُدَّعِين أنهم قد شَهِدُوا ما تشهروا به وأعصموا

---

(١) الزخرف : الآية (١٩) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ١١ .

(٣) لسان العرب : ٣ / ٢٣٤ ، والمصباح المنير : ١ / ٣٢٤ (ش هـ د) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١١٧ ، والبحر المحيط : ٨ / ١١ ، وتفسير ابن كثير : ٤ / ١٢٥

(٥) معاني القرآن : ٣ / ٣٠ .

(أيْ تَمَسَّكُوا) باعتقاده .

وهذا كقولك لمن يُزكِّي نَفْسَه ، وينفي الخبائث عنها ، أو شيئاً من الرذائل أن تَتِمَّ عليها (أي تمضي وتستمر) : وأنت إذاً تقول : إنك معصوم ، وهو لم يلفظ بادعائه العصمة ، لكنه لما ذهب بنفسه ذلك المذهب صار بمنزلة من قال : أنا معصوم " [1] .

[يُضِلَّ ، ويُضَلَّ]

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [2].

قرأ الجمهور : (يُضِلَّ) بضم الياء ، وكسر الضاد ، مبنياً للفاعل ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (يُضَلَّ) بفتح الضاد ، مبنياً للمفعول [3].

الضلال : حقيقته الذهاب عن الحق ، أخذاً من ضلال الطريق ، وهو العدول عن سَمْتِهِ . يقال : ضَلَّ عن الطريق ، وأَضَلَّ الشيءَ ، إذا أَضَاعَهُ [4].

قراءة الجمهور : (فَلَنْ يُضِلَّ) بالبناء للفاعل ، و (أَعْمَالَهُمْ) بالنصب على المفعولية والفاعل ضمير مستتر ، والتقدير : فَلَنْ يُضِلَّ اللهُ أَعْمَالَهُم . والمعنى : لن يُذْهِبَها بل يُكَثِّرُها ، ويُنَمِّيها ، ويُضَاعفها [5] .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (فَلَنْ يُضَلَّ) بالبناء للمفعول، و(أَعْمَالُهُم) بالرفع نائب فاعل ، وهذا مناسب للفعل (قُتِلَ) ، فإن هذه القراءة بمعنى قراءة الجمهور ، والفاعل فيهما واحد وهو الله ــ عز وجل ــ وحُذِفَ للعلم به .

---

(١) المحتسب : ٢ / ٢٥٤ .

(٢) محمد : من الآية (٤) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٤٠ ، والبحر المحيط : ٨ / ٦٥ .

(٤) لسان العرب (ض ل ل) ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٢٦٣ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٤ / ١٧٤ .

[تَوَلَّيتُم ، وتُوُلِّتم]

في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (تَوَلَّيتُم) بفتح التاء ، والواو ، واللام ، مبنياً للفاعل ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (تُوُلِّيتُمْ) بضم التاء ، والواو ، وكسر اللام ، مبنياً للمفعول (٢) .

قراءة الجمهور : (إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) بالبناء للفاعل ، تحتمل معنيين :

أحدهما : أن تكون بمعنى الوِلاية . يقال : وَلَّيتُهُ تَوْلِيَةً : جعلتُه وَالِياً ، وَوَلَّيتُ فلاناً أمرَ كَذَا ، إذا قَلَّدْتَهُ وِلاَيَتَهُ . والوِلاية بمنزلة الإمارة . والمعنى : فهل عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيتُم أمورَ الناسِ ، أو أَمْرَ الأمةِ ، بأن جُعِلْتُمْ حُكاماً أن تُفْسِدُوا في الأرض بالظلم وتُقَطِّعوا أرحامَكم بالبغي والقتل ، فَيَقْتُلُ قُرَيْشٌ بني هاشم ، وبنو هاشم قريشاً .

الثاني : أن تكون بمعنى الإعراض . يقال : تَوَلَّى عَنْهُ : أَعْرَضَ . والمعنى : إن انصرفتم عن محمد (صلى الله عليه وسلم) وأعرضتم عما جاءكم به ، أو عن القرآن وفارقتم أحكامه أن تصيروا إلى أمركم الأول من قطيعة الرحم والكفر والفساد ووأد البنات ، أي : دَفْنُهُنَّ أحياء (٣) .

أما قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (إِنْ تُوُلِّيتُم) بالبناء للمفعول ، وهي قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم) (٤)، فمعناها : إنْ تَوَلَّاكُم النَّاسُ (٥) ، أَوْ وُلِّيتُم

(١) محمد : الآية (٢٢) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٤٠ ، والمحتسب : ٢ / ٢٧٢ ، وإعراب القرآن ، للنحاس : ٤ / ١٨٧ ، والكشاف : ٣ / ٥٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٢٩٦ ، والبحر المحيط : ٨/ ٨٢ ، وفتح القدير: ٥ / ٣٨ ، وإتحاف فضلاء البشر: ٢ / ٤٧٨ .

(٣) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٦٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٢٩٥ ، ٦٢٩٦ .

(٤) جزء فيه قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم) ص ١٤٩ .

(٥) المحتسب : ٢ / ٢٧٢ .

أَمْرَ الناسِ [(١)] ، أو إنْ وَلِيَتْكُمْ ولايةُ جُوْرٍ خرجتم معهم في الفتنة وحاربتموهم [(٢)] ، وهذا كله يرجع إلى معنى الولاية .

وعلى هذا ، فهذه القراء تلتقي مع قراءة الجمهور في المعنى الأول. وجعل الزجاج القراءتين بمعنى واحد [(٣)] .

والأظهر في هذه الآية أن ذلك خطاب للمنافقين في أمر القتال ، وهو الذي سِيقَت الآيات فيه [(٤)] .

[يَطُوفُونَ ، ويُطَافُونَ]

في قوله تعالى : ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ [(٥)] .

قرأ الجمهور : (يَطُوفُونَ) مضارع (طَافَ) ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ والسُّلَمِيُّ : (يُطَافُونَ) بضم الياء ، وفتح الطاء ، وبعدها ألف ، مبنياً للمفعول [(٦)] .

قراءة الجمهور : (يَطُوفُونَ) بفتح الياء ، مبنياً للفاعل ، أي : يَتَرَدَّدُونَ . والمعنى أنهم إذا عَطِشُوا يَتَرَدَّدُون مرة بين الجحيم وهي جهنم يُعَذَّبُون فيها ، وبين الحميم الآنِي ، وهو الشراب الذي انتهى في النضج والحرارة حتى صار كالمُهْلِ . فإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم هذا الشراب الذي يقطع الأمعاء والأحشاء [(٧)] .

---

(١) إتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٢٩٦ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٣ .

(٤) البحر المحيط : ٨ / ٨٢ .

(٥) الرحمن : الآيتان : (٤٣) ، (٤٤) .

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص ١٤٩ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٧) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ١١٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٥٧٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٩٤ .

أما قراءة عَليٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (يُطَافُونَ) بالبناء للمفعول ، فمعناها : يُتَرَدَّدُ بهم مَرَّةً إلى الحميم ومَرَّةً إلى النار .

[يَنزِلُ ، ويُنَزَّلُ]

في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (وَمَا يَنْزِلُ) مبنياً للفاعل ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (وَمَا يُنَزَّلُ) مبنياً للمفعول (٢) .

قراءة الجمهور : (يَنْزِلُ) بفتح الياء ، وسكون النون ، وكسر الزاي ، مضارع (نَزَلَ) والمعنى : وما يَنْزِل من السماءِ من رِزْق ، ومَطر ، ومَلَكٍ (٣) .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (يُنَزَّلُ) بضم الياء مشدداً على ما لم يسم فاعله . فهي بمعنى قراءة الجمهور ، والفاعل في هذه القراءة ضمير مستتر يعود على الله ــ عز وجــل ــ وحُذِفَ للعلم به ، وفيه ما لا يَخْفَى من الفخامة والدلالة على أن عدم احتمال استناد الفعــل إلى فاعل آخر مُغْنٍ عن بناء الفعل للفاعل (٤) .

[قَدَّرُوهَا ، وقُدِّرُوها]

في قوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ ا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾(٥) .

قرأ الجمهور : (قَدَّرُوهَا) بفتح القاف ، مبنياً للفاعل ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ

---

(١) الحديد : من الآية(٤) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٦٣٩ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٥ / ٥ .

(٥) الإنسان : الآيتان : (١٥) ، (١٦) .

وجماعة : (قُدِّرُوهَا) بضم القاف ، مبنياً للمفعول [1].

قراءة الجمهور : (قَدَّرُوهَا) بفتح القاف والدال المشددة ، مبنياً للفاعل ، أي قَدَّرَهَا هم السُّقَاة الذين يطوفون بها عليهم ، أو الملائكة . والمعنى : أَتَوْا بالكأسِ على قَدْر رِيِّهم بغير زيادة ولا نقصان ، وذلك أَلَذُّ الشرابِ وأشْهَاه ، لكونه على مقدار حاجتهم لا يَفِيضُ ولا يَغِيضُ [2] .

وقال ابن عباس : قَدَّرُوهَا على مِلْءِ الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثِقَل أو بإفراط صِغَر[3] ، وقيل : إن الشاربين قَدَّرُوا لها مقادير في أنفسهم على ما اشْتَهَوْا وقَدَّرُوا [4] .

أما قراءة عَليٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (قُدِّرُوهَا) بضم القاف ، وكسر الدال المشددة ، مبنياً للمفعول ، فمعناها : جُعِلَتْ لهم على قَدْرِ إرادتهم [5]. قال أبو حيان : " والأقرب في تخريج هذه القراءة الشاذة : أن يكون الأصل : قُدِّرَ رِيُّهُمْ منها تَقْدِيراً ، فحُذِفَ المضاف وهو الذي ، وأقيم الضمير مقامه ، فصار التقدير : قُدِّرُوا منها ، ثم اتسع في الفعل فَحُذِفَتْ مِنْ وَوَصَل الفِعْل إلى الضمير بنفسه ، فصار : (قُدِّرُوها) فلم يكن فيه إلا حذف مضاف واتساع في المجرور " [6] .

ويرى بعض العلماء أن القراءتين بمعنى واحد . قال الفراء : " وقوله ـــ عز وجل ـــ : (قَدَّرُوهَا) قَدَّرُوا الكأسَ على رِيِّ أَحَدِهم لا فَضْلَ فيه ولا عَجْزَ عن رِيِّه ، وهو أَلَذُّ الشراب . وقد رَوَى بعضهم عن الشَّعْبِيِّ : (قُدِّرُوهَا تَقْدِيراً) والمعنى واحد " [7]. وقال المَهْدَوِيّ : مَنْ قرأ (قُدِّرُوها) فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى . [8]

---

(1) مختصر في شواذ القرآن ص ١٦٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٧٦ ، والبحر المحيط : ٨ / ٣٨٩ وفتح القدير : ٥ / ٣٥٠ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٧٦ ، والبحر المحيط : ٨ / ٣٨٩ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٧٦ .

(4) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(5) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٢٦٠ .

(6) البحر المحيط : ٨ / ٣٩٠ .

(7) معاني القرآن ٣ / ٢١٧ .

(8) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧١٧٦ .

المبحث الخامس

الإفراد والتثنية والجمع

أولاً : الإفراد والجمع :

إن وضع المفرد موضع الجمع وارد في لغة العرب ، وقد تحدث عنه علماء اللغة والنحو ٠

فبعضهم جعله ضرورة في الشعر، وبعضهم أجازه في الشعر والنثر٠ فسيبويه يقول : " وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً ، والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام ، قال :

لَا تُنْكِرُوا القَتْلَ وقَدْ سُبِينَا ... فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا [١]

ومما جاء في الشعر على لفظ الواحد يراد به الجمع :

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا ... فإنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ [٢]

ومثل ذلك [في الكلام] قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ [٣]، وقَرِرْنَا به عينا ، وإن شئت قلت : أَعْيُنَا

---

(١) البيت للمسيب بن زيد مناة الغنوي ٠ يقول : لا تنكروا قتلنا لكم ، وقد سبيتم منا خلقاً ، فقد شجيتم بقتلنا لكم ، كما شجينا نحن من قبل بما سبيتم منا ٠ فهذا بذاك يقال : شجى بالعظم ، إذا اعترض في حلقه وأغصه ٠

والشاهد فيه وضع (حلق) موضع (حلوق) ٠ ينظر : الكتاب : ٢ / ٢٠٩ ، وشرح المفصل : ٦ / ٢٢ ولسان العرب : ٣ / ٢٢٠٣ (ش ج ا) ٠

(٢) البيت في : الكتاب : ١ / ٢١٠ ، والمحتسب : ٢ / ٨٧ ، وشرح المفصل : ٦ / ٢٢ ، ولم أهتد لقائله ، والخميص : الجائع ٠

والشاهد فيه وضع الواحد " بطن " موضع الجمع " بطون " ٠

(٣) النساء : من الآية (٤) ٠

وأَنْفُساً " (١) . ويقول المُبَرِّد : " وقد جاز في الشعر أن تفرد وأنت تريد الجماعة ؛ إذا كان في الكلام دليل على الجمع. قال عَلْقَمَةُ بْنُ عَبَدَةَ :

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها　　　فَبِيضٌ ، وأمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ (٢)

فـ(بَطْنٌ) بمعنى بُطُون ، و(جِلْدُها) مفرد أريد به الجمع " (٣).

ومن الواضح أن سيبويه والمُبَرِّد جعلا ذلك ضرورة في الشعر ، وإن فُهِمَ من كلام سيبويه " قَرِرْنَا به عَيْناً وأَعْيُناً " أن ذلك يجوز في النثر أيضاً .

وما جعله سيبويه والمُبَرِّد ضرورة يراه الفَرَّاءُ جائزاً في الاختيار ، فقد قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ (٤) فَوَحَّد اليمين وجمع الشمائل ، وكل ذلك جائز في العربية ، قال الشاعر :

بِفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إنْ كَانَ هَدَّنِي　　　رَزِيَّةُ شِبْلَيَّ مُخْدِرٌ فِي الضَّرَاغِمِ (٥)

ولم يقل : بأفواه الشامتين ، وقال الآخر :

فَيِاسْتِ بَنِي عَبْسٍ وَأَسْتَاهُ طَيِّءٍ　　　وبِاسْتِ بَنِي دَوْدَانَ حَاشَا بَنِي نَصْرِ (٦)

فجمع ووحد ، فجاء التوحيد ؛ لأن أكثر الكلام يواجه به الواحد، فيقال : خذ عن يمينك وعن شمالك ، لأن المكلم واحد والمتكلم كذلك ، فكأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من القوم

(١) الكتاب : ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) البيت في ديوانه ص ١٣٢ ، والمفضليات : ١ / ٣٩٤ ، وشرح المفصل : ٦ / ٢٢ . والحسرى : جمع حسير ، وهي المعيبة بتركها أصحابها فتموت . و(ابيضت عظامها) لما أكلت السبع والطير ما عليها من لحم ، (صليب) : يابس لم يدبغ يصف فلاة قطعها إلى الممدوح .

(٣) المقتضب : ٢ / ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٤) النحل : من الآية (٤٨) .

(٥) البيت للفرزدق يرثي ابنين له ، وهو في ديوانه ص ٧٦٤ ، وشرح المفصل : ٦ / ٢٢ ، والمخدر : الأسد ، والضراغم جمع ضرغام وهو الأسد أيضاً .

(٦) البيت في شرح المفصل : ٦ / ٢٢ .

وإذا جمع فهو الذي لا مسألة فيه " (١).

فظهر من ذلك كله أنه لا مانع من وضع المفرد موضع الجمع طالما أن ذلك جائز في العربية ووارد عن العرب في نثرهم ، وقد قال ابن جني : " وقد شاع عنهم وقوع المفرد في موضع الجماعة " (٢) .

وقال الزمخشري : " يَفْعَلُون ذلك إذا أَمِنَ اللبس ، فإذا لم يُؤْمَن كقولك : فَرَسُهُم ، وثَوْبُهُم ، وأنت تريد الجمع رفضوه " (٣) .

وأرَى ــ والله أعلم ــ أنه لا ضرورة في القرآن وقراءاته .

هذا ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة قرئ فيها بالإفراد مقابل الجمع، والعكس ، نذكر منها ــ هنا ــ ما يخص قراءة علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ مُصَنِّفِينَ إياها على الوجه التالي :

(أ) الإفراد مقابل الجمع :

[كُتُبِه ، وكِتَابِه]

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (٤) .

قرأ الجمهور: (وَكُتُبِه) على الجمع ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ: (وكِتَابِه) على التوحيد (٥) .

---

(١) معاني القرآن : ٢ / ١٠٢ .

(٢) المحتسب : ٢ / ٨٧ .

(٣) الكشاف : ١ / ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) النساء : الآية (١٣٦) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ٢٩ .

الكتب : جمع كتاب ، مثل : مُثُل ومِثَال ، وحُمُر وحِمَار ، والمراد بها الكتب المنزلة من السماء [1] .

قراءة الجمهور : (وَكُتُبِهِ) على الجمع ، مراعاة لما تقدم وما تأخر : ما تقدم ذكر بلفظ الجمع وهو قوله (وَمَنْ يَكْفُرْ بالله ومَلَائِكَتِهِ) وما تأخر (وَرُسُلِهِ) فكذلك (كُتُبِهِ) على الجمع ليأتلف الكلام على نظام واحد [2] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (وَكِتَابِهِ) على الإفراد فتحتمل ثلاثة معان :

الأول : أن المراد بــ (الكتاب) المصدر الذي يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله [3] .

الثاني : أن (الكتاب) هو القرآن فلا وجه لجمعه [4] .

الثالث : أن (الكتاب) اسم للجنس ، وهو في معنى الجمع ، قال ابن عباس : الكتاب أكثر من الكُتُب [5] وقال أبو عُبَيْدَة : أراد كل كتاب الله بدلالة قوله : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾[6] فَوَحَّد إرادة الجنس ، وهذا كما تقول : كَثُرَ الدرهمُ في أيدي الناس ، تريد الجنس كله [7] .

وقال ابن جني ــ توضيحاً لهذه القراءة ــ : " اللفظ لفظ الواحد والمعنى معنى الجنس ، أي وُكُتُبِهِ . ومثله قوله ــ سبحانه ــ : (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) [8] أي : كُتُبُنَــا ، ألا

(1) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٣٦٨ .
(2) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ١٥٣ .
(3) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٣٤٨ .
(4) حجة القراءات ص ١٥٢ .
(5) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٣٦٨ .
(6) البقرة : من الآية (٢٩) .
(7) حجة القراءات ص ١٥٣ .
(8) الجاثية : من الآية (٢٩) .

ترى إلى قوله تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) [١] ، وقال تعالى : (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) [٢] فلكل إنسان كتاب ، فهي جماعة كما ترى ، وقد قال : (هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ) [٣] . ويُؤيِّدُه قول بعضهم : " والعامة على توجيه الكتاب مراداً بـه الجنس " [٤] .

وعلى هذا تتحد القراءتان معنى .

[وآلِهَتَكَ ، وإلاهَتَكَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [٥] .

قرأ الجمهور : (وَآلِهَتَكَ) على الجمع ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ وجماعةٌ : (وإِلَاهَتَكَ) على الإفراد [٦] .

قراءة الجمهور (وَآلِهَتَكَ) على الجمع تحتمل ثلاثة معان :

أحدها : أن يكون المراد بآلهة فرعون الأصنام التي كان يَعْبُدُها ، وكان قومه يعبدونها ـــ أيضاً ـــ تقرباً إليه . فكان يَعْبُدُ ويُعْبَدُ .

الثاني : المراد بالآلهة ـــ هنا ـــ : البَقَر ، فقد كان فرعون يَعْبُدُ البقرَ ، وكان إذا استحسن بقرةً أمر بعبادتها ، وقال : أنا ربكم وربُّ هذه .

---

(١) الإسراء : من الآية (١٣) .

(٢) الإسراء : من الآية (١٤) .

(٣) المحتسب : ١ / ٢٠٢ .

(٤) الدر المصون : ٧ / ٣١٢ ، وروح المعاني : ١٥ / ١٦ .

(٥) الأعراف : الآية (١٢٧) .

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص ٤٥ ، والمحتسب : ١ / ٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٧٩١ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٦٧ ، وفتح القدير : ٢ / ٢٣٣٥ ، والفتوحات الإلهية : ٢ / ٢٧٩ .

الثالث : قيل : كان يَعْبُدُ حَجَراً يُعَلِّقُهُ في صَدْرِه كياقوته أو نحوها (١) .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (وإلاَهَتَكَ) بكسر الهمزة ، وفتح اللام ، وبعدها ألف ، مفرد (آلِهَة) (٢) ، فإنها فسرت بأمرين :

الأول : أن معناها : ويتركك وعبادَتَكَ،فتكون إذ ذاك مصدراً مضافاً لمفعوله ، أي ويَتْرُكُ عِبادَتَهُ لَكَ . وعلى هذا المعنى كان فرعون يُعْبَدُ ولاَ يَعْبُدُ ، كما قال ابن عباس .

الثاني : أن المراد بـ (إلاَهَتَكَ) : مَعْبُودَكَ ، وهي الشمس التي كان يَعْبُدُها ، والشمس تسمى إلهَةَ (٣) قالت مَيَّةُ بنتُ أُمِّ عُتْبَةَ بن الحارث :

تَرَوَّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ عَصْراً فَأَعْجَلْنَا الإلَهَةَ أنْ تَؤُوبا (٤)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٣٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٧٩١ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٦٧ .

(٢) لسان العرب : ١ / ١١٥ ، (أ ل هـ) .

(٣) المحتسب : ١ / ٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٧٩٢ ، والبحر المحيط : ٤ / ٣٦٧ .

(٤) البيت في : تهذيب اللغة ، ولسان العرب (أ ل هـ) .

(ب) الجمع مقابل الإفراد :

[دعوتكما ، ودعواتكما]

في قوله تعالى : " قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ " [١] . قرأ الجمهور : (دَعْوَتُكُمَا) على الإفراد ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة : (دَعَوَاتُكُمَا) على الجمع [٢] .

الدعوة ـ هنا ـ معناها : الابتهال إلى الله ـ تعالى ـ بالسؤال ، والرغبة فيما عنده من الخير . يقال : دَعَوْتُ الله أَدْعُوهُ دُعَاءً : ابتهلتُ إليه بالسؤال ورَغِبْتُ فيما عنده من الخير [٣] .

قراءة الجمهور : (دَعْوَتُكُمَا) بفتح الدال والواو ، وسكون العين ، مفرد (دَعَوَات) ، والمراد : دعوة موسى وهارون (عليهما السلام) فقد نسبت الدعوة إليهما . وفي الآية دليل على أنهما دَعَوَا جميعاً لأن قوله : (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) يدل على أن الدعوة منهما جميعاً ، كما يدل على ذلك ـ أيضاً ـ قراءة الربيع : (دَعْوَتَيْكُمَا) [٤] وقيل : دعا موسى وأَمَّنَ هارون ، والتأمين كالدعاء [٥] .

أما قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ: (دَعَوَاتُكُمَا) بفتح الدال والعين والواو بعدها ألف ، فهي جمع دَعْوَة . قال ابن جني : " وبهذه القراءة تعلم أن قراءة الجماعة : (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) يراد فيها بالواحد معنى الكثرة . وساغ ذلك لأن المصدر جنس ، والأجناس يقع قليلها موقع كثيرها ، وكثيرها موقع قليلها " [٦] .

وعلى ذلك فالقراءتان بمعنى واحد . وقد أَوْضَحَت قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) يونس : الآية (٨٩) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٣٠٣ .

(٣) المصباح المنير : ١ / ١٩٤ (د ع ا) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٣١ ، والبحر المحيط : ٥ / ١٨٦ .

(٥) معاني القرآن ، للفراء : ١ / ٤٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٣٠٣ .

(٦) المحتسب : ١ / ٣١٦ .

وبينت أن المراد من قراءة الجمهور (دَعْوَتُكُمَا) هو الدَّعَوَات ، ولكن لما كان لفظ الواحد يدل على الجمع ، وكان أخفّ قُرِئ بالتوحيد ، لأنه الأصل وعليه أكثر القراء .

ومعنى هذه الآية أن الدعوة كانت من موسى وهارون (عليهما السلام) بتدمير آل فرعون والطبع على قلوبهم لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم ، وتبين أنهم لا خير فيهم ، وقد أجاب الله موسى وهارون فيما سألا ، وأمرهما بالمضي لأمره تعالى [(١)] .

[غَمْرَتِهِم ، وغَمَرَاتِهِم]

في قوله تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ [(٢)] . قرأ الجمهور : (فِي غَمْرَتِهِمْ) على الإفراد ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وأبو حَيْوَةَ ، والسُّلَمِيُّ : (فِي غَمَرَاتِهِمْ) على الجمع [(٣)] .

الغَمْرة في اللغة : ما يَغْمُرك ويَعْلُوكَ ، وأصله السِّتر ، ومنه الغِمْرُ : الحقد، لأنه يُغَطِّي القلب ، والغَمْرُ : الماء الكثير ، لأنه يُغَطِّي الأرض ، وغَمْرُ الرِّدَاء : الذي يشمل الناس بالعطاء .

والمراد بـ (الغَمْرَة) ــ هنا ــ الحِيرَة والغفلة والضلالة والانهماك في الباطل [(٤)] .

قراءة الجمهور : (فِي غَمْرَتِهِمْ) بفتح الغين والراء ، وسكون الميم ، مفرد (غَمَرَات) ، والمراد : في حِيرَتِهم وغفلتهم وضلالتهم [(٥)] . وقال بعضهم : المعنى : في جَهَالَتِهم وعَمَايَتِهم [(٦)] .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (فِي غَمَرَاتِهِمْ) بفتح الغين والميم والراء وبعدها ألف فهي على الجمع ؛ لأن لكل واحد غَمْرَة ، وعلى قراءة الجمهور فـ (غَمْرَة) تَعُمّ إذا

(١) تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٢٩ .

(٢) المؤمنون : الآية (٥٤) .

(٣) الكشاف : ٣ / ٣٤ ، ومفاتيح الغيب : ٢٣ / ١٠٥ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣٧٧ .

(٤) لسان العرب : ٥ / ٣٢٩٤ ، والمصباح المنير : ٢ / ٤٥٣ (غ م ر) ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٦٦٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٦٦٤ .

(٦) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٢٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٤ / ١٦ .

أُضِيفَتْ إلى عام [١] .

هذا ، والقراءتان بمعنى واحد ، وإن كانت قراءة علي — رضي الله عنه — قد أوضحت تعدد الغَمَرَات بتعدد أصحابها .

والمعنى على هاتين القراءتين أن الله — تعالى — يخاطب رسوله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : اترك هؤلاء — والمراد بهم كفار قريش — في حيرتهم وغَفْلتهم وضلالتهم وانهماكهم في الباطل حتى يترل بهم ، أو يأتي ما وُعِدُوا به من العذاب ، ولا يَضِيقُ صدرُك بتأخير العذاب عنهم فلكل شيء وقت ، وأن شأنهم شأن مَنْ ذُكِرَ من الأمم الذين كَذَّبُوا الرُّسل وما آل إليه أمرهم من الهلاك [٢] .

[مَثَل ، وأمثال]

في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [٣] .

قرأ الجمهور: (مَثَلُ) على الإفراد ، وقرأ عَلِيٌّ وابنُ عباس — رضي الله عنهما — : (أَمْثَالُ) على الجمع [٤] .

المَثَلُ : الشيء الذي يُضْرَبُ لشيء مَثَلاً فيُجْعَلُ مِثْلَهُ . ومَثَلُ الشيء: صِفَتُهُ . قال تعالى : (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ) [٥] ، وقال : (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) [٦] ،

---

(١) البحر المحيط : ٦ / ٣٧٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٦٦٤ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣٧٧ .

(٣) محمد : الآية (١٥) .

(٤) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٦٠ ، والمحتسب : ٢ / ٢٧٠ ، والكشاف : ٣ / ٥٣٤ .

(٥) الفتح : من الآية (٢٩) .

(٦) النحل : من الآية (٦٠) .

وأنكره أبو علي ، وقال : لم يُسْمَعْ مَثَلُ بمعنى الصفة ، وإنما معناه : الشَّبَه [1] .

قراءة الجمهور : (مَثَلُ الجَنَّةِ) بفتح الميم والثاء ، على الإفراد ، معناها : صِفَة الجنة المُعَدَّة للمتقين [2] وقيل : المعنى : شَبَهُ الجنة التي وُعِد المتقون في الحسن والنعمة والخلود كَشَبَهِ النار في العذاب والشدة والخلود [3] .

وقد اتفق النحاة على إعراب (مَثَلُ الجَنَّة) مبتدأ ، واختلفوا في الخَبَر فقيل : هو مذكور وهو (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) ، وقيل : محذوف ، فقيل : مُقَدَّر قبله ، وهو قول سيبويه والمُبَرِّد، والتقدير: ومن القَصَص مَثَلُ الجَنَّةِ ، أو مما يُقَصُّ عليكم مَثَلُ الجَنَّةِ [4] . وقيل بعده ، وهو قول النَّضْرِ بن شُمَيْل وابن عَطِيَّة ، والتقدير : مَثَلُ الجنةِ مَا تَسْمَعُونَ . فما تَسْمَعُونَ الخبرَ ، أو مَثَلُ الجنةِ ظاهر في نفس من وَعَي هذه الأوصاف [5] .

أما قراءة عَلِيٍّ — رضي الله عنه — : (أَمْثَالُ الجَنَّةِ) ، على الجمع ، فمعناها : صفات الجنة [6] .

وقد جعل الفَرَّاء القراءتين بمعنى واحد ، فقال : " مَثَلُ الجَنَّةِ ، أَمْثَالُ الجَنَّةِ : صفات الجَنَّة " [7] .

وقال ابن جني موضحاً ما أفادته قراءة الإمام عَلِيّ — رضي الله عنه — (أَمْثَالُ الجَنَّةِ) : " هذه القراءة دليل على أن القراءة العامة التي هي (مَثَلُ) ، بالتوحيد — بلفظ الواحد ومعنى الكثرة ؛ وذلك لما فيه من معنى المصدرية ؛ ولهذا جاز مَرَرْتُ برجلٍ مِثْلِ رَجُلَيْنِ وبرَجُلَيْنِ مِثْلِ رِجالٍ ، وبامرأةٍ مِثْلِ رَجُلٍ ، وبرَجُلٍ مِثْلِ امرأةٍ . ألا ترى أنك تستفيد في أثناء ذلك معنى التشبيه

---

(1) الصحاح ، ولسان العرب ، والمصباح المنير (م ث ل) .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٢٨٧ .

(3) المصدر السابق : ٥ / ٣٦٦١ .

(4) الكتاب: ١ / ١٤٣ ، والمقتضب : ٣ / ٢٢٥ .

(5) البحر المحيط : ٨ / ٧٨ .

(6) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٤٨٦ .

(7) معاني القرآن : ٣ / ٦٠ .

والتمثيل ؟ ومِثْل ومَثَل بمعنى واحد ، كِشْبه وشَبه ، وبِدْل وبَدَل " [١] .

وعلى هذا فقراءة الجمع (أَمْثَالُ) بيَّنَت المراد من قراءة الإفراد (مَثَلُ) ووضحته ؛ لأنها جنَان ، وكل واحدة لها مَثَل .

[عَشِيرَتَهُمْ ، وعَشِيرَاتِهِمْ]

في قوله تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [٢] .

قرأ الجمهور : (عَشِيرَتَهُمْ) على الإفراد ، وقرأ عَليٌّ — رضي الله عنه — : (عَشِيرَاتِهِمْ) على الجمع [٣] .

عَشِيرةُ الرجل : بنو أبيه الأَدْنُوْن (الأقربون) ، وقيل : هم القبيلة ، والجمع عَشِيرَات وعَشَائر [٤] .

قراءة الجمهور : (أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) مفرد (عَشِيرَات) ، و(عَشَائر) ، ولا واحد له من لفظه .

والمعنى على هذه القراءة أن الله — سبحانه وتعالى — أعلم أنه من كان مؤمناً بالله واليوم الآخر لا يُوَالِي من كَفَرَ ، ولو كان أباه أو أمه أو أخاه أو أحداً من أقاربه ؛ لأن الإيمان يَفْسُدُ بموالاة الكفار وإن كانوا أقارب [٥] .

أما قراءة عَلِيٍّ — رضي الله عنه —: (أَوْ عَشِيرَاتِهِمْ) جمع (عَشِيرَة)، فهي بمعنى قراءة الجمهور ، إلا أنها تفيد كثرة هؤلاء الأقارب .

---

(١) المحتسب : ٢ / ٢٧٠ .

(٢) المجادلة : من الآية (٢٢) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٥٤ .

(٤) لسان العرب : ٤ / ٢٩٥٥ ، والمصباح المنير : ٢ / ٤١٠ (ع ش ر) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٤١ .

ثانياً : الإفراد والتثنية :

قرأ الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ في بعض الآيات بلفظ التثنية مقابل الإفراد لدى الجمهور ، ونحن نتناول هذا على الوجه التالي :

[الماء ، والماءان]

في قوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾(1) .

قرأ الجمهور : (الْمَاءُ) على الإفراد ، وقرأ عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (المَـاءَان) على التثنية (2) .

الماء : اسم جنس يكون جمعاً وواحداً ، وأصله : (مَوَه) فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع حرفان خفيان فقلبت الهاء همزة ولم تقلب الألف لأنها أُعِلَّتْ مرة ، والعرب لا تجمع على الحرف إعلالين ، ولهذا يُرَدُّ إلى أصله في الجمع والتصغير فيقال : مِيَاه ، وأَمْوَاه ، ومُوَيْه ، وربما قالوا : (أَمْوَاء) بالهمز على لفظ الواحد (3) .

قراءة الجمهور : (فَالْتَقَى الماءُ) ، المراد : المـاءَان : مـاءُ السماء ، ومـاءُ الأرض ، لأن الالتقاء إنما يكون في اثنين فصاعداً ، وإنما جاز في الماء ، لأن الماء يكون جمعاً وواحداً ــ كما قلنا ــ وقيل : لأنهما لما اجتمعا صارا ماءً واحداً (4) .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (فَالْتَقَى الْمَاءَان) فهي بمعنى قراءة الجمهور ، أي : ماء السماء وماء الأرض ، وفي بعض المصاحف : (فالتقى الْمَاوَانِ) وهي لغة طَـيّء (5) ، وقد أوضحت هذه القراءة أن (أَلْ) في قراءة الجمهور للجنس .

---

(1) القمر : الآية (١٢) .

(2) البحر المحيط : ٨ / ١٧٥ .

(3) لسان العرب : ٦ / ٤٣٠٢ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥٨٦ .

(4) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ١٠٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٥٣٢ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٧٥ .

(5) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٥٣٢ .

ومعنى الآية على هاتين القراءتين : فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قُدِّرَ في اللوح المحفوظ أنه يكون ، وهو هلاك قوم نوح (عليه السلام) بالطوفان ، وقيل : على مِقْدار لم يزد أحدهما على الآخر . أي كان ماء السماء والأرض سواء [١] . والرأي الأول رَجَّحَهُ أبو حيان [٢] .

[يُنبَذَنَّ ، ويُنبَذانِّ]

في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [٣]. قرأ الجمهور: (لَيُنْبَذَنَّ) على الإفراد ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (لَيُنبَذَانِّ) على التثنية [٤] .

النبذ : الطرح والرمي . نَبَذَهُ يَنْبِذُهُ نَبْذاً : طَرَحَهُ . وصَبِيٌّ مَنْبُوذٌ : مطروحٌ . ونَبَذْتُ الشيءَ ، إذا رَمَيْتَهُ وأبعدْتَهُ [٥] .

قراءة الجمهور : (لَيُنْبَذَنَّ) على التوحيد (فيه ضمير الواحد) ، والمعنى : لَيُطْرَحَنَّ ولَيُلْقَيَنَّ هذا الهمزة اللمزة في الحُطَمَة ، وهي النار التي تكسر كل ما يلقى فيها وتَحْطِمُهُ وتَهْشِمُه ، قال الرَّاجِزُ :

إنَّا حَطَمْنَا بالقَضِيبِ مُصْعَبَا   يَوْمَ كَسَرْنَا أَنْفَهُ لِيَغْضَبَا [٦]

وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم ، وقيل : الدركة الثانية من درك النار [٧] .

---

(١) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ١٠٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦٥٣٢ .

(٢) البحر المحيط ٨ / ١٧٦ .

(٣) الهمزة : الآية (٤) .

(٤) البحر المحيط : ٨ / ٥١٠ ، وفتح القدير : ٥ / ٤٩٣ .

(٥) لسان العرب ٦ / ٤٣٢٢ ، والمصباح المنير : ٢ / ٥٩٠ (ن ب ذ) .

(٦) الرجز في : البحر المحيط : ٨ / ٥٠٩ ، وفتح القدير : ٢ / ٥٩٠ (ن ب ذ) .

(٧) جامع البيان ، للطبري : ٣٠ / ٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٥٢٨ ، والبحر المحيط : ٨ / ٥١٠ ، وتفسير ابن كثير : ٤ / ٥٤٨ .

أما قراءة عَلِيّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (لَيُنْبَذَانِّ) بألف بعد الذال ، وكسر النون على التثنية ، فالمراد : الهُمَزَة ومَالِه ، ومعناها : لِيُرْمَيّ هو ومَالُه في النار [1] .

وجعل الفَرَّاء قراءة الجمهور : (لَيُنْبَذَنَّ) بمعنى قراءة الإمام عَلِيّ ـــ رضي الله عنه ـــ (لَيُنْبَذَانِّ) ، فقال : " والمعنى واحد ؛ لأن واحده يكفي من اثنيه " [2] ، ووصف قراءة الإفراد (لَيُنْبَذَنَّ) بأنها قراءة العوام [3] ، ووصفها الزجاج بـــ " القراءة المعروفة " [4] .

ثالثاً : التثنية والجمع :

وردت قراءة واحدة للإمام علي ـــ رضي الله عنه ـــ بالتثنية مقابل الجمع في قراءة الجمهور ، وهي :

[فَدَمَّرْنَاهُم ، فَدَمِّرَانِهم]

في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴾ [5] .

قرأ الجمهور : (فَدَمَّرْنَاهُمْ) على الجمع ، وقرأ عَلِيّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (فَدَمِّرَانِّهِمْ) بكسر الميم ، وألف ونون مشددة على التثنية والأمر والتوكيد [6] .

التدمير : أشد الإهلاك ، وأصله : كسر الشيء على وجه لا يمكن إصلاحه . يقال : دَمَّرَهُ اللهُ ، ودَمَّرَ عليه [7] .

قراءة الجمهور : (فَدَمَّرْنَاهُمْ) على الجمع ، أي أهلكنا فرعون وقومه والذين مُسِخُوا

---

(1) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٣٦٢ ، والبحر المحيط : ٨ / ٥١٠ .

(2) معاني القرآن : ٣ / ٣٣ .

(3) المصدر السابق : ٣ / ٢٩٠ .

(4) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٣٦٢ .

(5) الفرقان : الآية (٣٦) .

(6) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٥ ، والمحتسب : ٢ / ١٢٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ٤٥٧ .

(7) البحر المحيط : ٦ / ٤٥٧ ، والمصباح المنير : ١ / ١٩٩ (د م ر) .

قردةً وخنازيرَ . والفاعل هو الله ، عز وجل [1] .

أما قراءة عَليّ ــ رضي الله عنه ــ (فَدَمِّرَاهِمّْ) فهي على التثنية والأمر لموسى وهارون (عليهما السلام) أن يُدَمِّرَاهُمْ ، أي يُهْلِكَاهُمْ إهلاكاً شديداً . وأُلْحِقَ نون التوكيد ألف التثنية كما تقول : اضْرِبَانِّ زيداً ، ولا تَقْتُلَانِّ جعفراً [2] .

ومعنى هذه الآية أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ أَمَـر موســى وهــارون بالــذهاب إلى فرعون وهامان والقِبْط الذين كَذَّبُوا بآيات الله ، فكَذَّبَ هــؤلاء موســى وهــارون فــأهلكهم الله إهلاكاً شديداً [3] .

(1) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٦٧ .

(2) المحتسب : ٢ / ١٢٣ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٤٩٠٦ ، ٤٩٠٧ .

المبحث السادس

التذكير والتأنيث

تمهيد :

لفت الجنس نظر الإنسان الأول حين عرف الفرق بين الذكر والأنثى في الإنسان والحيوان ، وانعكس أثر ذلك بالطبع على لغته .

وقد اعتنى علماء اللغة بظاهرة " التذكير والتأنيث " ، وجعلوا التذكير هو الأصل ، والتأنيث فرعاً ، يقول سيبويه : " اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث ؛ لأن المذكر أول ، وهو أشد تمكناً ، وإنما يخرج التأنيث من التذكير " [١] .

وقال أبو البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ : " اعلم أن المذكر أصل للمؤنث ، وهو ما خلا من علامة التأنيث ، لفظاً وتقديراً " [٢] .

ولما كان المذكر أصلاً لم يحتج إلى علامة تدل عليه ، واحتاج المؤنث لها ؛ لأنه فرع ، والدليل على ذلك : مجيئهم باسم مذكر يعم المذكر والمؤنث ، وهو (شيء) ، وأيضاً افتقار المؤنث إلى علامة ، ولو كان أصلاً لم يفتقر إليها كالنكرة لما كانت أصلاً لم تفتقر إلى علامة ، والمعرفة لما كانت فرعاً افتقرت إلى العلامة [٣] .

وهذا يعني أن اللغة العربية تفرق بين المذكر والمؤنث بعلامة معينة تدل على المؤنث .

وقد تختلف ألفاظ اللغة العربية ، وكذلك القراءات القرآنية بالتذكير تارة وبالتأنيث تارة أخرى ، وذلك فيما إذا كان المؤنث مجازياً غير حقيقي التأنيث ، فبعضهم يقصد إلى التذكير ، وبعضهم يقصد إلى التأنيث .

---

(١) الكتاب : ١ / ٢٢ .

(٢) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص ٦٣ .

(٣) شرح المفصل : ٥ / ٨٨ .

ولا خلاف بين العرب في تذكير الأسماء إذا كان المذكر حقيقياً كأعلام المذكرين العقلاء ، كما أنه لا خلاف بينهم في التأنيث إذا كان المؤنث حقيقياً كأسماء أعلام الإناث العاقلات •

ولذلك قسم علماء اللغة المذكر والمؤنث إلى حقيقي ، ومجازي • فالمذكر الحقيقي ما كان له فرج الذكر نحو : الرَّجُل ، والجَمَل ، والمذكر المجازي ما لم يكن له ذلك نحو : الجِدَار ، والعَمَل •

والمؤنث الحقيقي ما كان له فرج الأنثى نحو : المرأة ، والناقة ، والمجازي ما لم يكن كذلك لكن العرب أجرت عليه أحكام المؤنث في المعاملة مثل : غُرْفَة (ظاهر العلامة) ، وكَتِف ، ودَار (مقدرها) ، وهو موقوف على السماع [1] •

وهذا النوع يجوز فيه الأمران : إلحاق العلامة ، وعدم إلحاقها مثل : طَلَعَ الشمسُ ، وطَلَعَتِ الشمسُ ، إلا أن الاختيار إلحاق علامة التأنيث إذ لم يفصل بين الفعل ، وبين ذلك المؤنث المجازي بفاصل • بخلاف المؤنث الحقيقي فيلزم فيه إلحاق علامة التأنيث للفعل ، فتقول : جاءت فاطمة ؛ لأنه لم يفصل بين الفعل والاسم فاصل ، فإن فصل بينهما فاصل جاز الأمران ، نحو قولك : حَضَرَ القاضِي اليوم امرأة •

فإذا أسند الفعل إلى ضمير الاسم يلزم إلحاق العلامة ، لأن الضمير يحتاط له فوق ما يحتاط للاسم الصريح [2] •

هذا ، وقد وردت قراءات اختلفت فيها قراءة علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — مع قراءة الجمهور ، ونحن نتناولها على الوجه التالي :

---

(1) شرح المفصل : ٥ / ٩١ ، ٩٢ ، وتصريف الأسماء ص ١٣٩ •

(2) شرح المفصل : ٥ / ٩٣ ، وتصريف الأسماء ص ١٤٠ •

أولاً : تأنيث الفعل وتذكيره :

[تأخذكم ، ويأخذكم]

في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

قرأ الجمهور : (تَأْخُذْكُمْ) بالتاء ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (يَأْخُذْكُمْ) بالياء [2] .

قراءة الجمهور : (تَأْخُذْكُمْ) بالتاء ؛ لتأنيث (الرأفة) لفظاً . والمعنى : لا ترحموهما فتسقطوا عنهما ما أمر الله به من الحد [3] . وقال أهل التفسير : لا تمتنعوا عن إقامة الحدود شفقة على المحدود ، ولا تخففوا الضرب من غير إيجاع . وقال بعضهم : لا تأخذكم بهما رأفة في الضرب والجلد . والنهي في الظاهرة للرأفة ، والمراد : ما تدعو إليه الرأفة وهو تعطيل الحدود أو نقصها . ومعنى (في دين الله) : في حكم الله ، أو في طاعته وشرعه فيما أمركم به من إقامة الحدود [4] .

أما قِراءة علي ــ رضي الله عنه ــ : (يَأْخُذْكُمْ) بالياء من تحت ، فهي على التذكير ، وهو صواب ؛ لأن تأنيث الرأفة مجازي ، كما قال : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾[5] . وحَسَّنَ ذلك الفصل بالمفعول والجار والمجرور [6] . وهذه القراءة بمعنى قراءة الجمهور .

هذا ، وقد دلت قراءة الجمهور على هذا المعنى بتأنيث الفعل ، ودلت قراءة عَلِيٍّ

---

(1) النور : الآية (٢) .

(2) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٠ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣٩٤ ، والفتوحات الإلهية : ٣ / ٢٠٧ .

(3) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٢٨ .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٧٠٠ ، ٤٧٠١ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣٩٤ .

(5) هود : من الآية (٦٧) .

(6) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٢٤٥، والبحر المحيط : ٦ /٣٩٤ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٢٩٢ .

ـــ رضي الله عنه ـــ على ذلك أيضاً بتذكير الفعل ، وكلا الأمرين جائز ؛ لأن الفاعل مؤنث غير حقيقي .

[تَخفَى ، ويَخفَى]

في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [1]. قرأ الجمهور : (تَخْفَى) بالتاء ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ وجماعةٌ : (يَخْفَى) بالياء [2] .

والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ونافع (تَخْفَى) بالتاء ، وقرأ حمزة والكسائي (يَخْفَى) بالياء [3] .

خَفِيَ الشيء خَفَاء : لم يظهر ، وخَفَاهُ هو وأَخْفَاهُ : سَتَرَه وكَتَمَهُ . والخَافِيَةُ : نقيض العلانية [4] .

قراءة الجمهور : (لَا تَخْفَى) بتاء التأنيث ؛ لأن الفاعل وهو لفظ (خَافِيَة) مؤنث لفظي .

أما قراءة عَلِيّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (لَا يَخْفَى) بالياء ، فهي على تذكير الفعل ؛ لأن الفاعل مؤنث مجازي ، فيجوز فيه تذكير الفعل وتأنيثه ، وقد فصل بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور (مِنْكُمْ) .

فمن أَنَّثَ الفِعْلَ فلِلَفظِ (خَافِيَة) ، ومن ذَكَّرَ فلأن الفاعل مؤنث غير حقيقي التأنيث ، وللفصل بينه وبين فعله ، لأن الفاصل كالعِوَض [5] . وقال بعضهم : ومن قرأ بالياء فإنه يَرُدُّهُ إلى (أَمْرٍ خَافٍ) أي خَفِيّ [6] .

---

(1) الحاقة : الآية (١٨) .

(2) البحر المحيط : ٨ / ٣١٨ .

(3) السبعة في القراءات ص ٦٤٨ ، والنشر : ٢ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٥٥٧ .

(4) لسان العرب (خ ف ى) .

(5) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٧١٩ .

(6) المصدر السابق ص ٧١٨ ، ٧١٩ .

ومعنى الآية : يوم القيامة تُعرضون على الله للحساب والمجازاة وقد ظهرت منكم كل سريرة وحال كانت مستترة في الدنيا [1] وقيل : المعنى : لا تَخْفَى منكم على الله ولا تَتَوَارَى نَفْسٌ خافيةٌ ، كما قال ــ جل شأنه ــ : ﴿ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴾ [2] [3] .

ثانياً : الغائب بين التذكير والتأنيث :

[ابنَهُ ، وابنَهَا]

في قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [4] .

قرأ الجمهور : (ابْنَهُ) بضم الهاء ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (ابْنَهَا) بفتح الهاء وبعدها ألف [5] .

الابن : الولد ، وهمزته وصل ، وأصله : بَنَوٌ ، بفتحتين ، لأنه يجمع على بَنِين ، وجمع القلة أبناء ، وقيل : أصله : بِنْوٌ ، بكسر الباء مثل حِمْل بدليل قولهم بِنْت ، وهذا القول يقل فيه التغيير ، وقلة التغيير تشهد بالأصالة . ويطلق الابن على ابن الابن وإن سفل مجازاً [6] .

قراءة الجمهور : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) بتذكير ضمير الغاب ، وذلك على اعتبار أنه ابن نوح (عليه السلام) ، وفي إضافته إليه هنا ، وفي قوله : (إِنَّ ابْنِي لَيْسَ مِنْ أَهْلِي) [7] ونداؤه

---

(1) البحر المحيط : ٨ / ٣١٨ .

(2) غافر : من الآية (١٦) .

(3) حجة القراءات ص ٧١٩ .

(4) هود : الآية (٤٢) .

(5) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٠، والكشاف : ٢ / ٢٧٠ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٢٧ ، ومفاتيح الغيب : ١٧ / ٢٧١ .

(6) لسان العرب ، والمصباح المنير (ب ن و) .

(7) البحر المحيط : ٥ / ٢٢٦ .

دليل على أنه ابنه لِصُلْبِه [1].

أما قراءة علي ــ رضي الله عنه ــ (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهَا) بتأنيث ضمير الغائب ، فعلى أنه ابن امرأته ، وذلك على اعتبار أنه نُسِبَ إلى أمه وأُضِيفَ إليها ، ولم يُضَفْ إلى أبيه ، لأنه كان كافراً مِثْلَها ، وَرَعْياً أن لا يضاف إليه كافر ، وإنما ناداه ظناً منه أنه مؤمن [2] .

ومعنى الآية على هاتين القراءتين أن نوح (عليه السلام) دعا هذا الابن الذي كان في مَعْزِلٍ من دين أبيه . وقيل : في مكان عَزَلَ فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين ، دعاه أن يؤمن ويركب معهم السفينة فينجو ولا يكن مع الكافرين . واسم هذا الابن كَنْعَان ، وقيل : يَام [3] .

---

(1) البحر المحيط : ٥ / ٢٢٦ .

(2) المصدر السابق : ٥ / ٢٢٧ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٣٥٦ ، ٣٣٥٧ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٢٧ ، وتفسير ابن كثير : ٢ / ٤٤٦ .

الفصل الرابع

المستوى النحوي " التركيبي " ودلالته

تمهيد :

إذا كانت الدراسة الصوتية تتناول أصوات اللغة باعتبارهـا المـادة الأولى والمكونـات الأساسية التي تتكون منها اللغة . والدراسة الصرفية قمتم بدراسة الكلمة كمرحلة تالية لمرحلـة الصوت اللغوي في بناء اللغة ، فإن الدراسة النحوية ، أو التركيبية تصب جُلّ اهتمامها على ما هو أكبر من الوحدات الصوتية (الفونيمات) ، والوحدات الصرفية (الكلمات ، أو المورفيمـات) حيث ينظر إلى التراكيب والجمل (1) .

لذا فمن المناسب أن تَتَبَعَ الدراسة على المستوى النحوي والتركيبي ما سبق من مستويات صوتية ، أو صرفية .

ذلك أن التراكيب عبارة عن كلمات تألف بينها علاقة ما ، وتظهر في تراكيب مختلفة ، وقد تكون الكلمات المكونة لهذه التراكيب أو الجمل تحمل في نفسها ظاهرة لغويـة صـوتية ، أو صرفية . إذ فالدراسة على المستوى التركيبي دراسة لغوية أعم من كونها نحوية محضة (2) وهي قلب وجوهر الأنظمة اللغوية جميعها ، وواسطة العقد بينها ، وهي المحصلة النهائية لنظام اللغة .

ونحن في تناولنا للقضايا التي تتعلق بهذا المستوى نبتعد عن الخلافات النحوية المعهودة لدى النحاة ، فإن ذلك مجاله الدراسة النحوية الخالصة ، وإنما نعرض أو نعالج بعض القضايا النحوية من وجهة نظر علماء اللغة .

وقراءات عَلِيّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ تضمنت في جانب منها بعض التراكيب اللغوية التي حدث فيها تغاير بينها وبين قراءة غيره ، كالضمائر وما يحدث بين أنواعها من التفات ، والاختلاف بين علامات الإعراب ، وما يصحب ذلك من تنوع واختلاف في الدلالة أو المعنى .

ولذلك فإننا نتناول ــ إن شاء الله تعالى ــ قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ على المستوى التركيبي ودلالته على النحو التالي :

(1) ينظر : علم اللغة أسسه ومناهجه ، للدكتور عبد الله ربيع ص ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، وفقه اللغة في الكتب العربية ، للدكتور عبده الراجحي ،ص ١٢٩ ، ١٤٥ ، ومستويات التحليل اللغوي للدكتور أبي السعود الفخراني ص ٣٥ .

(2) قراءة شيبة بن نصاح ، للدكتور سيد الصاوي ص ٢٦٨ .

المبحث الأول

الضمائر

الضمائر : جمع ضمير على وزن (فَعِيل) من الضُّمور وهو الهُزَال ، والمُضْمَر على وزن (مُفْعَل) من الإضمار ، وهو الخفاء [١] .

والبصريون يقولون : الضمير ، والمُضْمَر ، وسيبويه يطلق على الضمير : الإضمار ، أو علامة الإضمار ، أو علامة المضمر [٢] . أما الكوفيون فيقولون : الكناية والمَكْنِيّ [٣] .

والضمير باعتبار دلالته يقسمه النحاة إلى قسمين :

١ ــ ما يدل على غيبة ، كـ (هُوَ ، وهِيَ) .

٢ ــ ما يدل على حضور ، وهو قسمان :

(أ) ما يدل على متكلم ، كـ (أَنَا ، ونَحْنُ) .

(ب) ما يدل على مخاطب ، كـ (أَنْتَ ، وأَنْتِ) .

كما ينقسم الضمير إلى : بارز ، ومستتر ، والبارز قسمان : متصل ، ومنفصل ، والمستتر قسمان أيضاً : واجب الاستتار ، وجائزه .

والمراد بواجب الاستتار ما لا يحل محله الظاهر ، والمراد بجائز الاستتار ما يحل محله الظاهر [٤] .

وسأذكر ــ فيما يلي ــ صور الضمائر التي وردت في قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ مبيناً الفرق بينها وبين قراءة غيره في هذا الشأن .

---

(١) لسان العرب ، والقاموس المحيط (ض م ر) .

(٢) الكتاب : ٢ / ٥ ، ٢ / ٨٧ .

(٣) شرح المفصل : ٣ / ٨٧ .

(٤) ينظر : شرح ابن عقيل : ١ / ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، وحاشية الصبان : ١ / ١٠٩ .

أولاً : التكلم والغيبة :

(أ) التكلم في مقابل الغيبة :

[تَبَيَّنَ ، وَنُبَيِّنُ]

في قوله تعالى : ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور: (وَتَبَيَّنَ) بفتح التاء والباء ، وتشديد الياء ، فِعْلاً ماضياً .

وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : " (وَنُبَيِّنُ) بضم النون ، ورفع النون الأخيرة ، مضارع (بَيَّنَ) (٢) .

يقال : بَانَ الأمرُ يَبِينُ فهو بَيِّنٌ ، وبَيَّنَ ، وتَبَيَّنَ ، واستَبَان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف (٣) .

قراءة الجمهور : (وَتَبَيَّنَ) بإضمار الفاعل الذي يدل عليه الكلام ، أي وتبين لكم (هو) أي حالهم .

أما قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ : (وَنُبَيِّنُ) على إضمار ، و(نَحْنُ) نبين لكم ، والجملة حالية (٤) .

والقراءتان بمعنى واحد ؛ لأن ذلك لا يتبين لهم إلا بِتَبَيِّنِ الله إياهم . والمعنى : وسكنتم في بلاد ثمود ونحوها فهلا اعتبرتم بمساكنهم ، بعدما تَبَيَّنَ لكم ما فعلنا بهم (٥) .

---

(١) إبراهيم : الآية (٤٥) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٩ .

(٣) المصباح المنير : ١ / ٧٠ (ب ي ن) .

(٤) البحر المحيط : ٥ / ٤٢٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٧١٨ .

[ليَسُوءُوا ، ولنَسُوءَ]

في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (لِيَسُوءُوا) بالياء ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (لِنَسُوءَ) بالنون (٢) .

والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع : (لِيَسُوءُوا) بالياء ، وضم الهمزة ، وقرأ الكِسائي : (لِنَسُوءَ) بالنون ، وفتح الهمزة (٣) .

يقال : سَاءَ يَسُوءُ ، إذا قَبُحَ . والمَسَاءة : نقيض المَسَرَّة . وسَاءَهُ يَسُوءُهُ : فَعَلَ به ما يَكْرَهُ ، نقيض سَرَّهُ (٤) .

قراءة الجمهور : (لِيَسُوءُوا) بلام كي ، وياء الغيبة ، وضم الهمزة وبعدها واو ضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين، وهذا إخبار عن قوله : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً ﴾ (٥) ، وجواب (إذا) محذوف تقديره : (بَعَثْنَاهُمْ) دل عليه (بَعَثْنَا) الأول .

والمعنى : فإذا جاء وعد الآخرة من المرتين بعثنا هؤلاء العباد الذين هم أولوا بأس شديد ؛ لِيَسُوءُوا وجوهكم بالسَّبْي والنَّهْب والقتل ، فيظهر أثر الحزن في وجوهكم ، وقيل : المراد بالوجوه : السادة ؛ أي : لِيَذِلُّوهُمْ (٦) .

أما قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (لِنَسُوءَ) بنون العظمة ، وفتح الهمزة ، فهي على

---

(١) الإسراء : الآية (٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٩٥١ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٠ .

(٣) السبعة في القراءات ص ٣٧٨ ، والنشر : ٢ / ٣٠٦ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٤) لسان العرب : ٣ / ٢١٣٨ ، والمصباح المنير : ١ / ٢٩٨ (س و أ) .

(٥) الإسراء من الآية (٥) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن :٥ / ٣٩٥١ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٠ .

لفظ الجمع للمتكلمين ، اعتباراً بقوله (وقَضَيْنا ، وبَعَثْنا ، ورَدَدْنا) ، والفاعل لذلك في الحقيقة هو الله — تعالى — فإذا أُسند الفعل في اللفظ إليه جاز أن يسوء وجوههم بالوعد ، وجاز أن يسوءها بالعباد . فالقراءة بالنون (لِنَسُوءَ) تستعمل على المعاني كلها [1] .

ويُعَضِّدُ هذه القراءة قراءة أُبَيّ (لِنَسُوءَنَّ) بلام الأمر ، والنون التي للعظمة ، ونون التوكيد الخفيفة آخراً [2] .

وفي قراءة عَليّ — رضي الله عنه — (لِنَسُوءَ) التفات من الغيبة إلى التكلم .

[يَهْدِ لَهُمْ ، ونَهْدِ لَهُمْ]

في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ ﴾ [3] .

قرأ الجمهور : (يَهْدِ) بالياء ، وقرأ عَليٌّ وابنُ عباس — رضي الله عنهما — والسُّلَمِيُّ : (نَهْدِ) بالنون [4] .

الهدى : البيان . هَدَيْتُهُ الطريق أَهْدِيه هِدايةً ، هذه لغة الحجاز ، ولغة غيرهم يتعدى بالحرف فيقال : هَدَيْتُهُ إلى الطريق ، بمعنى بَيَّنْتُ ، ولغة أهل الغَوْر : هَدَيْتُ لَك ، أي : بَيَّنْتُ ، وبها نَزَلَتْ : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ [5] [6] .

قراءة الجمهور: (يَهْدِ) بياء الغيبة ، وفي فاعل هذا الفعل وجهان :

أحدهما : ضمير عائد على الله — تعالى — أي : أَلَمْ يُبَيِّنِ اللهُ لهم ؟ ومَفْعُول يُبَيِّن محذوف ، أي العِبَرَ

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٩٥١ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٢٩٣ .

(2) البحر المحيط : ٦ / ١٠ .

(3) السجدة : الآية (٢٦) .

(4) مختصر في شواذ القرآن ص ١١٨ ، وجامع البيان ، للطبري : ٢١ /٧٢ .

(5) طه: من الآية (١٢٨) .

(6) العين : ٤ / ٧٨ ، ولسان العرب : ٦ / ٤٦٣٩ ، ٤٦٤٠ ، والمصباح المنير : ٢ / ٦٣٦ (هـ د ى).

بإهلاك القرون السابقة ، ثم قال : (كَمْ أَهْلَكْنَا) ، أي كثيراً أهلكنا . فكم مفعوله بأَهْلَكْنَا، والجملة كأنها مفسرة للمفعول المحذوف لـ (يَهْدِ) .

الثاني : أن الفاعل مُقَدَّر تقديره : الهُدَى ، و(يَهْدِ) يدل عليه ، والمعنى : أولَم يَهْدِ لَهُم الهُدَى .

والأول هو المختار ، يدل عليه قراءة من قرأ : (أَوَ لَم نَهْدِ) بالنون ، ومعناه : نُبَيِّن ، ولأن الوجه الثاني فيه حذف الفاعل ، وهو لا يجوز عند البصريين (١) .

وذهب الفَرَّاء إلى أن (كَمْ) في موضع رفع بـ (يَهْدِ) كأنك قلت : أولم تَهْدِهم القرون الهالكة (٢). ورد بأن (كَمْ) استفهام لا يعمل فيها ما قبلها ، وهي لا تزال عن الابتداء (٣) .

أما قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ : (نَهْدِ) بالنون ، فقد قال القُرْطُبِيّ فيها : " هذه قراءةٌ بَيِّنَةٌ"، أي : أولم نبين لهم إهلاكنا القرون الكافرة من قبلهم (٤) . وعلى هذا فهي تلتقي مع قراءة الجمهور في الوجه الأول ، وهو أن فاعل التبين هو الله ، تعالى .

ومعنى الآية : أولم يبين الله لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك قبلهم من الأمم الماضية ، بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاءوهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ، وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحدا (٥) .

[وَلِيُوَفِّيَهُمْ ، ولِنُوَفِّيَهُمْ]

في قوله تعالى :﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (٦) .

قرأ الجمهور:(وَلِيُوَفِّيَهُمْ)بالياء ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة :(وَلِنُوَفِّيَهُمْ) بالنون (٧)

والقراءتان متواترتان ، فقد قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم : (وَلِيُوَفِّيَهُمْ) بالياء من

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٧ م ٥٣٦٨ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢٦٧ .

(٢) معاني القرآن : ٢ / ٣٣٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٢١٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٣٦٨ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٦٣ .

(٦) الأحقاف : الآية (١٩) .

(٧) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٩ .

تحت ، وقرأ نافع ، وابن عامر، وحمزة ، والكِسائي : (وَلِنُوَفِّيَهُمْ) بنون العظمة [1] .

توفيةُ الشيءِ : بَذْلُهُ وَافياً ، واستيفاؤه : تَناوُله وَافياً . وأَوْفاهُ حَقَّهُ ، وَوَفَّاهُ توفيةً بمعنى ، أي : أعطاه وافيا ، واستوفى حقه وَتَوَفَّاهُ بمعنى [2] .

قراءة الجمهور (وَلِيُوَفِّيَهُمْ) بالياء ، للحمل على لفظ الغيبة ، والمراد : لِيُوَفِّيَهُمْ هو ، أي الإخبار عن الله ــ تعالى ــ وقد سبق في قوله : ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [3].

وحجة من قرأ بالياء فإنه رد الفعل إلى الله ــ تعالى ــ في قوله (يَتَقَبَّل) و(يَتَجَاوَز) بمعنى : (يَتَقَبَّلُ اللهُ وَيَتَجَاوَزُ وَلِيُوَفِّيَهُم الله) إذ كان في سياقه ليأتلف الكلام [4] .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (وَلِنُوَفِّيَهُمْ) بالنون ، وهي نون المتكلم المعظم نفسه ، للإخبار من الله ــ جل ذكره ــ عن نفسه ، وذلك لأنه أتى عَقِيب قوله (نَتَقَبَّلُ . . . وَنَتَجَاوَزُ) فكذلك (وَلِنُوَفِّيَهُم) إذ كان في سياقه [5] .

ومن الواضح أن القراءتين متفقتان في الدلالة من خلال عود الضمير الفاعل . فالفاعل على التقديرين هو الله ــ تعالى ــ ولذلك اختار بعضهم القراءة بالياء كأبي حاتم ، واختار بعضهم القراءة بالنون كأبي عُبَيْد [6] .

ومعنى الآية على القراءتين : ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا ، أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ، ومن أجل ما عملوا فيهما ، وَلِيُوَفِّيَهُمْ (وَلِنُوَفِّيَهُمْ) تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه ، كأنه قيل : وَلِيُوَفِّيَهُمْ أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم ، قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم ، فجعل الثواب درجات ، والعقاب دركات [7] .

(1) السبعة ، لابن مجاهد ص ٥٩٨ ، والنشر : ٢ / ٣٧٣ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٤٧٢ .

(2) المفردات في غريب القرآن ص ٥٢٨ ، والصحاح (و ف ى) .

(3) الأحقاف من الآية (١٧) .

(4) حجة القراءات لأبي زرعةص٦٦٥ .

(5) المصدر السابق ، والصفحة .

(6) الكشف ، لمكي : ٢ /٢٧٣ ، وزاد المسير: ٧ / ٣٧٢ ، والدر المصون : ٦ /١٤٠ .

(7) الكشاف : ٤ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

ب) الغيبة مقابل التكلم :

[نُقَيِّض ، ويُقَيِّض]

في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (نُقَيِّضْ) بالنون ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعة : (يُقَيِّضْ) بالياء (٢) .

قَيَّضَ الله له قرينا : هَيَّأَهُ وَسَبَّبَهُ من حيث لا يَحْتَسِبه (٣) .

قراءة الجمهور : (نُقَيِّضْ) بنون العظمة ، ويكون الفاعل ضمير المتكلم ، إخباراً من الله ــ عز وجل ــ عن نفسه ، ويقويه ضمير المتكلم قبله في قوله : (جَعَلْنَا) ، وبعده في قوله : (نَذْهَبَنَّ) و (نُرِيَنَّكَ) .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (يُقَيِّضْ) بالياء ، فيكون الفاعل ضمير الغائب (هو) العائد على الرحمن ، لذكره أولاً ، أي يُقَيِّض الرحمن له شيطانا (٤) .

وعلى هذا فالقراءتان بمعنى واحد .

والمعنى على هاتين القراءتين : ومن يُعْرِض وَيَتجاهل وَيَتَعَامَ عن ذكر الله ــ عز وجل ــ يُهَيِّئ الله ويُسَبِّبْ له شيطاناً يكون ملازماً ومصاحباً له في الدنيا ، يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام ، وينهاه عن الطاعة ، ويأمره بالمعصية ، ويكون ــ أيضاً ــ ملازماً ومصاحباً له في الآخرة إذا قامَ من قبرِه ، وذلك جزاءً له على كفره (٥) .

---

(١) الزخرف : الآية (٣٦) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٧ .

(٣) لسان العرب : ٥ / ٣٧٩٥ (ق ي ض) .

(٤) البحر المحيط : ٨ / ١٧ .

(٥) معاني القرآن ، للفراء : ٣ / ٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٣٥ ، ٦١٣٦ ، والبحر المحيط : ٨ / ١٦ .

ثانياً : الخطاب والتكلم :

(أ) التكلم في مقابل الخطاب :

[علِمتَ ، وعلِمتُ]

في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾ (1) .

قرأ الجمهور : (عَلِمْتَ) بفتح التاء على الخطاب ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : (عَلِمْتُ) بضم التاء على التكلم (2) .

العلم : إدراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان : أحدهما : إدراك ذات الشيء، والثاني : الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منفي عنه .فالأول : هو المتعدي إلى مفعول واحد ، نحو : ﴿ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (3) . والثاني : المتعدي إلى مفعولين ، نحو : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ (4) .

والعلم من وجه ضربان : نظري ، وعملي . فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم ، والعملي ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات ، ومن وجه آخر ضربان : عقلي ، وسمعي (5) .

ويقول أصحاب المعجمات العربية : العِلْمُ : اليقين . يقال : عَلِمَ يَعْلَمُ ، إذا تَيقَّنَ ، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً ، يقال : عَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُهُ عِلْماً : عَرَفْتُهُ . فإذا كان(عَلِمَ) بمعنى

(1) الإسراء : الآية (١٠٢) .

(2) معاني القرآن ، للفراء : ٢ /١٣٢ ، وجامع البيان ، للطبري : ١٥ / ١١٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤٠٦٥ ، والبحر المحيط : ٦ / ٨٣ ، وفتح القدير: ٣ / ٢٦٣ .

(3) الأنفال : من الآية (٦٠) .

(4) الممتحنة : من الآية (١٠) .

(5) المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٣ .

اليقين تعدى إلى مفعولين ، وإذا كان بمعنى عَرَفَ تعدى إلى مفعول واحد [١] .

قراءة الجمهور : (لَقَدْ عَلِمْتَ) بفتح التاء ، على جعل الضمير للمخاطب ، وهو فرعون ، أي خطاب موسى لفرعون وتبكيته [٢] في قوله عنه إنه مسحور .

والمعنى : لقد علمتَ يا فرعون أن ما جئتُ به ليس من باب السحر، وأن الذي أوجد الآيات التسع رب السموات والأرض ؛ لتكون دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته [٣] . والدليل على أن فرعون ومن كان تبعه قد عَلِمُوا صحة أمر موسى ، وأن هذه الآيات من عند الله قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾ [٤] ، وقوله : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ [٥] [٦] .

أما قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (لَقَدْ عُلِمْتُ) بضم التاء ، فهي على إخبار موسى عن نفسه أنه ليس بمسحور ، كما وصفه فرعون ، بل هو يعلم أن ما أنزل هؤلاء الآيات إلا الله [٧] .

ودليل هذه القراءة ما رُوِيَ عن عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ قال : " واللهِ مَا عَلِمَ عَدُوُّ اللهِ ، إنما عَلِمَ موسى (صلى الله عليه وسلم) ، وقرأ (عَلِمْتُ) بضم التاء " [٨] .

ورَجَّحَ بعض العلماء قراءة الجمهور : (عَلِمْتَ) بفتح التاء . قال أبو عُبَيْد : " والمأخوذ به عندنا فتح التاء ، وهو الأصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا

---

(١) لسان العرب : ٤ / ٣٠٨٣ ، والمصباح المنير : ٢ / ٤٢٧ (ع ل م) .

(٢) التبكيت : التعنيف . يقال : بكت زيد عمراً تبكيتاً : عير وقبح فعله

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤٠٥٦ ، والبحر المحيط : ٦ / ٨٣ .

(٤) الأعراف : من الآية (١٣٤) .

(٥) النمل : من الآية (١٤) .

(٦) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٤١١ .

(٧) البحر المحيط : ٦ / ٨٣ .

(٨) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ١٣٢ .

بهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ ؛ ولأن موسى لا يحتج بقوله : عَلِمْتُ أنا ، وهو الرسول الداعي " (١) . وقال الزجاج : " والأجود في القراءة (لَقَدْ عَلِمْتَ) ـ بفتح التاء ـ لأن عِلْمَ فرعون بأنها آيات من عند الله أَوْكَدُ في الحجة عليه " (٢) . وقال الفراء : " والفتح أَحَبُّ إِلَيَّ ، وقال بعضهم : قرأ الكِسائي بالرفع ، فقال : أخالفه أشد الخلاف " (٣) .

وأرى أن لقراءة عَلِي ـ رضي الله عنه ـ (عَلِمْتُ) بضم التاء ، وجها ، وذلك أنه لما قيل : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٤) كان ذلك قدحاً في علمه لأن المجنون لا يَعْلَم ، فكأنه نفى ذلك ودفع عن نفسه فقال : لَقَدْ عَلِمْتُ صحةَ ما أَتَيْتُ به عِلْماً صحيحاً كعلم الفضلاء ، فصارت الحجة عليه من هذا الوجه .

[عَجِبْتَ ، وعَجِبْتُ]

في قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (٥) . قرأ الجمهور : (عَجِبْتَ) بتاء الخطاب ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعة : (عَجِبْتُ) بتاء المتكلم (٦) .

والقراءتان متواترتان ، فقد قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : (عَجِبْتَ) بفتح التاء ، وقرأ حمزة ، والكِسائي : (عَجِبْتُ) بضم التاء (٧) .

العَجَبُ : إنكار ما يَرِد عليك لقلة اعتياده . وقد عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجَباً ، وتَعَجَّبَ ، واسْتَعْجَبَ .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤٠٦٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٢٦٣ .

(٣) معاني القرآن : ٢ / ١٣٢ .

(٤) الشعراء : من الآية (٢٧) .

(٥) الصافات : الآية (١٢) .

(٦) معاني القرآن ، للفراء :٢ /٣٨٤، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٨، ولسان العرب : ٤ / ٢٨١١ (ع ج ب) ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٤٠ .

(٧) السبعة ، لابن مجاهد ص ٥٤٧ ، والنشر : ٢ / ٣٥٦ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

وأصل العَجَب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ، ويقل مثله قال: قد عَجِبْتُ من كذا وكذا . ويستعمل التعجب على وجهين : أحدهما : ما يحمده الفاعل ، ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به . والثاني : ما يكرهه ، ومعناه الإنكار والذم له [1] .

قراءة الجمهور : (بَلْ عَجِبْتَ) بفتح التاء، خطاباً للنبي (صلى الله عليه وسلم) . والمعنى : بل عجبتَ يا محمد من نزول الوحي عليك ، أو مما نَزَلَ عليك من القرآن وهم يَسْخَرُونَ به . ويجوز أن يكون المعنى : بل عَجِبْتَ من إنكارهم البعث ، وهم يسخرون من أمر البعث . ويجوز أيضاً : بَلْ عَجِبْتَ من إعراضهم عن الحق وعَمَا هُمْ عن الهُدَى ، وأن يكونوا كافرين مع ما جئتَهُم به من عند الله ، وهم يَسْخَرُونَ منك [2] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (بَلْ عَجِبْتُ) بضم التاء ، فهي إخبار عن الله عز وجل .

وهذه القراءة تحتمل ثلاثة معان :

الأول : أن الله ــ تعالى ــ أخبر عن نفسه بالعَجَب ، وهو يريد : بل جَازَيْتُهُم على عَجَبِهِم من الحق ، فسمي فِعْلَهُ باسم فِعْلِهِم ، لأنه تعالى أخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق ، فقال: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾[3]،وقال: ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[4] ، ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ﴾[5] فقال تعالى : (بَلْ عَجِبْتُ) بل جازيتهم على التعجب [6] .

---

(1) لسان العرب : ٤ / ٢٨١١ ، والمصباح المنير:٢ / ٣٩٣ (ع ج ب) .

(2) معاني القرآن وإعرابه : ٤ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٨ ، وحجة القراءات ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٤٠ .

(3) ص : من الآية (٤) .

(4) ص : من الآية (٥) .

(5) يونس: من الآية (٢) .

(6) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٨ .

الثاني : أن يكون معنى (بَلْ عَجِبْتُ) : بل أنكرتُ . قال الحُسَين بن الفَضْل : التعجب من الله : إنكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب (١) وقال صلى الله عليه وسلم : " عَجِبَ رَبُّكُم من إِلِّكُمْ وقُنُوطِكُمْ وسرعة إجابته إياكم " (٢) .

الثالث : أن يكون العَجَبُ بمعنى وقوع ذلك العمل عند الله عظيماً . فيكون معنى (بَلْ عَجِبْتُ) أي بل عَظُمَ فعلهم عندي . ويُعَضِّدُهُ ما رُوِيَ في الحديث : " عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ " ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " عَجِبَ اللهُ من قومٍ يدخلون الجنة في السلاسلِ" (٣) .

وقد اختار الفراء ، وأبو عُبَيْد هذه القراءة . قال الفراء : " وقوله : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ قرأها الناس بنصب التاء ورفعها ، والرفع أحب إلي لأنها قراءةُ عَلِيٍّ ، وابن مسعود، وعبد الله بن عباس " (٤) .

هذا ، وقد أنكر شُرَيْح القاضي قراءة عَلِيّ – رضي الله عنه – (بَلْ عَجِبْتُ) ، وقال : إن الله لا يَعْجَبُ من شيء وإنما يَعْجَبُ من لا يَعْلَم (٥) ، ورد عليه الفراء ، والزجاج بأن هذا الإنكار غلط . فالعَجَب وإن أسند إلى الله – تعالى – فليس معناه من الله كمعناه من العباد ، ألا ترى أنه قال : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٦) وليس السُّخْرِيّ من الله كمعناه من العباد ، وكذلك قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٧) ليس ذلك من الله كمعناه من العباد ، وقوله :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٩ .

(٢) هذا الحديث في: النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير: ١ / ٦١ ، ٣ / ١٨٤ ، والإلّ : شدة القنوط .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٩ .

(٤) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣٨٤ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٧٠٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٨ / ٥٧٠٨ .

(٦) التوبة : من الآية (٧٩) .

(٧) البقرة : من الآية (١٥) .

﴿ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ [١] ، ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [٢] والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين [٣] .
هذا ، بالإضافة إلى أن هذه القراءة متواترة ، كثيرة الرواية .

وأَرَى أنه لا مانع من نسبة العَجَبِ إلى الله ، وأن يكون بمعنى المُجَازاة ، وما ذُكِر أولاً هو الصحيح .

(ب) **الخطاب مقابل التكلم** :

[نَشَاءُ ، وتَشَاءُ]

في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [٤] .

قرأ الجمهور : (مَا نَشَاءُ) بالنون ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (مَا تَشَاءُ) بالتاء ، على الخطاب [٥] .

المشيئة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواءً ، وعند بعضهم المشيئة في الأصل : إيجاد الشيء وإصابته ، وإن كان قد يستعمل في التعارف موضع الإرادة . فالمشيئة من الله ــ تعالى ــ هي الإيجاد ، ومن الناس هي الإصابة .

والمشيئة من الله تقتضي وجود الشيء ، ولذلك قيل : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، والإرادة منه لا تقتضي وجود المراد لا محالة [٦] .

قراءة الجمهور : (مَا نَشَاءُ) بالنون ، والفاعل ضمير المتكلمين (نَحْنُ) العائد على قَوْمِ

---

(١) الأنفال : من الآية (٣٠) .

(٢) النساء : من الآية (١٤٢) .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٣٨٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٤ / ٣٠٠ .

(٤) هود من الآية (٨٧) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ٦١ .

(٦) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧١ .

شُعَيْب وهم مَدْيَن . وقوله : (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ) معطوف على قوله (مَا يَعْبُدُ) .

والمعنى : أَصَلاَتُكَ يا شُعَيْب تأمرك أن نَترِكَ ما يعبد آباؤنا ، وفعلنا في أموالنا ما نشاء ، أي : نُريد . وكان قوم شُعَيْب (عليه السلام) يعبدون الأوثان ، وَيَبْخَسُون الكيل والوزن في أموالهم ، فكأنهم قالوا : إنا قد تراضينا بالبَخْس فيما بيننا فلم تمنعنا منه ؟ وَرُوِىَ عن زَيْد بن أَسْلَم قال : كان مما نهاهم عنه حَذْفُ الدراهم ، أي : كَسْرُهَا [(١)] .

أما قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (مَا تَشَاءُ) بالتاء ، على الخطاب ، والفاعل ضمير المخاطب (أَنْتَ) العائد على شُعَيْب (عليه السلام) ، وقوله : (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ) معطوف على (أَنْ نَتْرُكَ) .

والمعنى : أصلاتك تأمرك بترك ما يعبد آباؤنا ، وفعلنا في أموالنا ما تَشَاء (ما تُريد) أنْتَ يا شُعَيْب من إيفاء المكيال والميزان [(٢)] و (أو) للتنويع ، أي تأمرك مرة بهذا ومرة بهذا . وقيل بمعنى الواو [(٣)] .

ثالثاً : الخطاب والغيبة :

(أ) الخطاب في مقابل الغيبة :

[يستطيع ، وتستطيع]

في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [(٤)] .

قرأ الجمهور : (يَسْتَطِيعُ) بالياء ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ وجماعةٌ : (تَسْتَطِيعُ) بالتاء [(٥)] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٤٠٦ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٥٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٤٠٦ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٥٤ .

(٣) البحر المحيط : ٥ / ٢٥٤ .

(٤) المائدة : الآية (١١٢) .

(٥) المحرر الوجيز : ٥ / ٤٣٤ ، والبحر المحيط : ٤ / ٥٧ ، ٥٨ ، والدر المصون : ٤ / ٤٩٩ ، وتفسير أبي السعود : ٣ / ٩٧ .

والقراءتان سبعيتان ، فقد قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) بالياء ، ورفع الباء • وقرأ الكسائي وحده : (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) بالتاء ، ونصب الباء ، واللام مدغمة في التاء [1] •

الاستطاعة : الطاقة والقدرة على الشيء • يقال : اسْتَطَاع يَسْتَطِيع ، وقد تحذف التاء فيقال : اسْطَاعَ يَسْطِيعُ [2] •

قراءة الجمهور : (يَسْتَطِيعُ) بالتاء على الغيبة ، و(رَبُّكَ) بالرفع على الفاعلية ، أي هل يَفْعَلُ رَبُّكَ ذلك ؟ لأنهم لم يشكوا في استطاعة الباري ذلك ، لأنهم كانوا مؤمنين ، وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لإزالة الشك ، فقولهم : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) سؤال عن الفِعْل دون القدرة عليه ، تعبيراً عنه بلازمه • وقيل : الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة ، لا على ما تقتضيه القدرة •

وقيل : المعنى: هَلْ يُطِيعُ رَبُّكَ ؟ بمعنى : هَلْ يُجِيبُكَ ؟ و(اسْتَطَاعَ) بمعنى (أَطَاعَ) كـ (اسْتَجَابَ) بمعنى (أَجَابَ) ، قاله السُّدّي [3] •

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) بتاء الخطاب ، لعيسى (عليه السلام) ، ونصب الباء من (رَبَّك) على التعظيم ، فهي على حذف مضاف ، أي : هَلْ تَسْتَطِيعُ سؤالَ رَبِّكَ في إنزالِ المائدة علينا ؟ هل تَفْعَلُ ذلك لَنَا ؟ وهذا كما تقول للرجل : هَلْ تَستَطِيعُ أن تُكَلِّمَنِي؟ وقد علمتَ أنه مستطيعٌ لذلك [4] •

واختار أبو عُبَيْدَة هذه القراءة ، قال : " لأن القراءة الأولى تُشْبِهُ أن يكون الحواريون

(1) السبعة ، لابن مجاهد ص ٢٤٩ ، والنشر : ٢ / ٢٥٦ ، وإتحاف فضلاء البشر : ١ / ٥٤٥ •

(2) لسان العرب : ٤ / ٢٧٢١ ، والمصباح المنير : ٢ / ٣٨٠ (ط و ع) •

(3) المحرر الوجيز : ٥ / ٤٣٤ ، والبحر المحيط : ٤ / ٥٧ ، ٥٨ ، والدر المصون : ٤ / ٤٩٩ ، وتفسير أبي السعود : ٣ / ٩٧ •

(4) المصادر السابقة ، والكشف : ١ / ٤٢٢ ، والتفسير الكبير : ١٢ / ١٣٠ ، وإملاء ما من به الرحمن : ١ / ٢٢٢ •

شَاكِّينَ ، وهذه لا توهم ذلك " [1] . وقال الرَّازي : " وهذه القراءة أَوْلَى من الثانية ؛ لأن هـذه القراءة : (هَلْ يَسْتَطِيعُ) توجب شكهم في استطاعة عيسى ، ولا شك أن الأُولى أَوْلَى " [2] .

والحقيقة أن قراءة الجمهور لا توهم شكا؛ لأن قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ والكِسائي قد بَيَّنَتْ المراد من قراءة الجمهور ، ونَفَتْ تَوَهُّم الإشكال الذي قد فهم منها، وهو الشك في قدرة الله ـــ عز وجل ـــ على إنزال المائدة ، وهذا ينافي الإيمان الذي أثبته الله ـــ تعالى ـــ للحواريين في الآية قبلها ؛ إذ سياق الآية قبلها : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [3] فكيف يكون سُؤَالُهم سؤال شك في قدرة الله وهم مؤمنون ؟ ! بل سؤالهم كان لعيسى (عليه السلام) هل يَقْدِرُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ ؟ كما دلت على ذلك قراءة عَلِيٍّ ـــ رضي الله عنه ـــ والكِسائي .

وعلى ذلك فلا يُلْتَفَتُ إلى من ذَكَرَ أن الحواريين لم يكونوا مؤمنين ، بناءً على ظاهر قراءة الجمهور، قال الزمخشري : " فإن قلت : كيف قالوا : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) بعد إيمانهم وإخلاصهم ؟ قلت : ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص ، وإنما حَكَى ادِّعَاءَهُم لهما ، ثم أَتْبَعَهُ قوله : (إِذْ قَالُوا) فآذن أن دعواهم كانت باطلة ، وأنهم كانوا شاكين ، وقوله : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم ، ولذلك قول عيسى (عليه السلام) لهم معناه : اتقوا الله ، ولا تشكوا في اقتداره ، واستطاعته ، ولا تَقْتَرِحُوا عليه ، ولا تَتَحَكَّمُوا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها " [4] .

ولم يرتض المفسرون مقالة الزمخشري . قال أبو حيان :" أما غير الزمخشري من أهل التفسير فأطبقوا على أن الحواريين كانوا مؤمنين . قال ابن عطية : لا خلاف أحفظه في أن

---

(1) الدر المصون : ٤ / ٤٩٩ .

(2) التفسير الكبير : ١٢ / ١٢٩ .

(3) المائدة : الآية (١١١) .

(4) الكشاف : ١ / ٦٥٤ .

الحواريين كانوا مؤمنين [١] . وقال ابن الأنباري : لا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين شَكُّوا في قدرة الله ، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مَعِي ؟ وهو يعلمُ أنه مُسْتَطِيعٌ له ، ولكنه يريد : هَلْ يَسْهُلُ عَلَيْكَ " [٢] .

مما سبق يتضح لنا أن قراءة الجمهور لا تُوجِب شَكًّا ، وأن قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ والكِسائي قد بينت المراد من قراءة الجمهور ، ورفعت الإشكال المحتمل فيها [٣] .

ولعل ذلك كان السبب الرئيس في إيثار عَلِيّ القراءة بتاء الخطاب مع نصب الباء ، خاصة وقد وردت الآثار الدالة على اختيار الصحابة لهذه القراءة ، فقد رُوِيَ عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أنها قالت : " كان القومُ أعلمُ بالله ــ عز وجل ــ من أن يقولوا : هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ؟ إنما قالوا : هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ ؟ " [٤] . وعن مُعاذ بن جَبَل ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : " أَقْرَأَنَا النبي (صلى الله عليه وسلم) (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) . وهي قراءة عائشة ، وابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ [٥] .

[يعلموا ، وتعلموا]

في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [٦] قرأ الجمهور : (يَعْلَمُوا) بالياء ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (تَعْلَمُوا) بالتاء [٧] .

العلم : إدراك الشيء بتحقيقه ، وذلك ضربان : أحدهما : إدراك ذات الشيء ، والثاني :

---

(١) المحرر الوجيز : ٥ / ٢٣٤ .

(٢) البحر المحيط : ٤ / ٥٧ ، والدر المصون : ٤ / ٤٩٩ .

(٣) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام : ٢ / ٦٦٦ .

(٤) حجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٢٤١ .

(٥) الكشف : ١ / ٤٢٢ ، وقراءة سعيد بن جبير، للدكتور عبد الهادي السلمون ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٦) التوبة : الآية (٧٨) .

(٧) مختصر في شواذ القرآن ص ٥٤ ، والبحر المحيط : ٥ / ٧٥ .

الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منفي عنه [1] .

قراءة الجمهور: (أَلَمْ يَعْلَمُوا) بياء الغيبة ، وهذا استفهام تضمن التوبيخ والتقريع للمنافقين على ما أسروا من النفاق ، والعزم على إخلاف ما وعدوه ، وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين ، وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها [2] .

أما قراءة علي ـــ رضي الله عنه ـــ : (أَلَمْ تَعْلَمُوا) بالتاء ، فهي خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير ، وأنه تعالى فاضح المنافقين ، ومعلم المؤمنين أحوالهم التي يكتمونها شيئاً فشيئاً ، سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُم ، هذا التقسيم عبارة عن إحاطة علم الله بهم [3] .

ومما لاشك فيه أن القراءة بالياء أَنْسَب ، لتقدم لفظ الغيبة فيما سبق هذه الآية ، وبهذه القراءة قرأ أكثر القراء .

[يدْعُونَ ، وتدْعُونَ]

في قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [4] .

قرأ الجمهور : (يَدْعُونَ) بالياء، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (تَدْعُونَ) بالتاء [5] .

الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بـ (يَا) أو (أَيَا) من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو : يَا فُلَان ، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، ويستعمل الدعاء استعمال التسمية، ودَعَوْتُه إذا سَأَلْتَهُ وإذا اسْتَغَثْتَهُ ، والدعاء إلى

---

(1) المفردات في غريب القرآن ص٣٤٣ ، وينظر ص ٢٦٧ .

(2) البحر المحيط : ٥ / ٧٥ ، ٧٦ .

(3) المصدر السابق : ٥ / ٧٥ .

(4) يونس: الآية (٦٦) .

(5) مختصر في شواذ القرآن ص ٥٧ ، والبحر المحيط : ٥ / ١٧٤ .

الشيء : الحث على قَصْدِه [1].

قراءة الجمهور : (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ) تحتمل ثلاثة معان :

الأول : أن تكون (ما) نافية ، و(شركاءُ) مفعول (يَتَّبِعُ) ، ومفعول (يَدْعُونَ) محذوف لفهم المعنى ، تقديره : آلهةً أو شركاءَ . والمعنى : أن الذين جعلوهم آلهة وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة ، إذ الشركة في الألوهية مستحيلة ، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء .

الثاني : أن تكون (ما) استفهامية في موضع نصب بـ (يَتَّبِعُ) و(شركاءَ) منصوب بـ (يَدْعُونَ) والمعنى : وأي شيء يَتَّبِعُ الذين يَدْعُونَ من دون الله شركاء ، تقبيحاً لفعلهم . كأنه قيل : من يَدْعُو شريكاً لله لا يَتَّبِعُ شيئاً .

الثالث : أن تكون (ما) موصولة ، عطفاً على (مَنْ) والعائد محذوف . والمعنى : والذي يَتَّبِعُه الذين يَدْعُونَ من دون الله شركاءَ ، أي : وله شركاؤهم . ويجوز أن تكون (ما) موصولة في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره : والذي يَتَّبِعُهُ المشركون باطل [2].

أما قراءة عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ : (تَدْعُونَ) بالتاء ـ على الخطاب ـ فوجهها أن يُحْمَل (وَمَا يَتَّبِعُ) على الاستفهام . والمعنى : وأي شيء يَتَّبِعُ الذين تدعوهم شركاء من الملائكة والنبيين ، يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فِعْلِهم [3] .

---

(1) المفردات في غريب القرآن ص ٣٠١ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٢٨٧ ، والبحر المحيط : ٥ / ١٧٤ .

(3) البحر المحيط : ٥ /١٧٤ .

[يَمْتَرُونَ ، وتَمْتَرُونَ]

في قوله تعالى : ﴿ ذَلكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذي فيه يَمْتَرُونَ ﴾ [(١)] . قرأ الجمهور : (يَمْتَرُوْنَ) بالياء ، وقرأ عَليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (تَمْتَرُوْنَ) بالتاء [(٢)] .

الامتراء في الشيء : الشك فيه . وامْتَرَى (افْتَعَلَ) إما من المِرْية وهي الشك ، وإما من المِرَاء وهو المجادلة والمُلاحَاة وكلاما مَقُولٌ هنا [(٣)] .

قراءة الجمهور: (يَمْتَرُوْنَ) بياء الغيبة ، أي : يَشُكُّون . والمعنى : ذلك عيسى ابن مريم القولُ الحقُّ الذي فيه يشكون. وقيل : معنى(يَمْتَرُوْنَ) : يختلفون ، أي : يختلف المبطلون والمُحِقُّون ممن آمَنَ به ، وكَفَرَ به [(٤)] .

أما قراءة عَليٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (تَمْتَرُوْن) بتاء الخطاب ، فمعناها : تَخْتَلِفُونَ فيه فتصيرون أحزاباً [(٥)] .

[يَدْعُونَ ، وتَدْعُونَ]

في قوله تعالى : ﴿ وَلا يَمْلكُ الَّذينَ يَدْعُونَ منْ دُونه الشَّفَاعَةَ إلَّا مَنْ شَهدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [(٦)] .

قرأ الجمهور : (يَدْعُونَ) بالياء ، وقرأ عَليٌّ ــ رضي الله عنه ــ وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ : (تَدْعُونَ) بالتاء [(٧)] ، قراءة الجمهور : يَدْعُونَ) بياء الغيبة تحتمل وجهين :

---

(١) مريم : الآية (٣٤) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٨٥ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٧٩ .

(٣) لسان العرب : ٦ / ٤١٨٩ ، ٤١٩٠ (م ر ا) ، والبحر المحيط : ٦ / ١٧٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٢٧٨ ، والحر المحيط : ٦ / ١٧٨ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٠ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٢٧٨ .

(٦) الزخرف : الآية (٨٦) .

(٧) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٦ .

أحدهما : أن تكون (مَنْ) في قوله : (إلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) في موضع خفض ، وأراد بـ (الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) عيسى ، وعُزَيْراً ، والملائكة . والمعنى : ولا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شَهِد بالحق وآمن على عِلْم وبصيرة .

الثاني : أن تكون (مَنْ) في محل رفع . والمراد بـ (الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) : الآلهة . والمعنى : لا يشفعون لعابديها إلا من شهد بالحق ، يعني عُزَيْراً ، وعيسى ، والملائكة ، فإنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله ، وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به [1] .

أما قراءة عَلِيٍّ — رضي الله عنه — : (تَدْعُونَ) بتاء الخطاب ، فمعناها أن النَّضْرَ بن الحارث ونَفَراً من قريش قالوا : إن كان ما يقول محمد (صلى الله عليه وسلم) حقاً فنحن نَتَوَلَّى الملائكةَ وهم أحق بالشفاعة لنا منه، فأنزل الله ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من الملائكة أو الأصنام أو الجن أو الشياطين شفاعة لأحد يوم القيامة (إلَّا مَنْ شَهِدَ بالحق) يعني المؤمنين إذا أذن لهم [2] .

(ب) الغيبة مقابل الخطاب :

[تَفْعَلُوا ، ويَفْعَلُوا]

في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [3] .

قرأ الجمهور : (تَفْعَلُوا) بالتاء ، وقرأ عَلِيٌّ — رضي الله عنه — : (يَفْعَلُوا) بالياء [4] .

قراءة الجمهور: (وَمَا تَفْعَلُوا) بالتاء ، خطاباً للمؤمنين ، و(ما) شرطية منصوبة بالفعل بعدها ، وجواب الشرط (فَإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٧٠ .

(٢) المصدر السابق : ٩ / ٦١٧٠ .

(٣) البقرة : الآية (٢١٥) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٩٥١ ، والبحر المحيط : ٢ / ١٥١ .

والمعنى : وما تفعلوا أيها المؤمنون من شيء من وجوه البر والطاعات فإن الله يحصيه ، وإذا أحصاه جازى عليه . وجعل بعضهم (وَمَا تَفْعَلُوا) ـــ هنا ـــ راجعاً إلى معنى الإنفاق، أي : وما تفعلوا من إنفاق خير، فيكون الأول بياناً للمَصْرِف ، وهذا بيان للمُجازاة ، والأَوْلَى العموم لأنه يشمل إنفاق المال وغيره ، ويَتَرَجَّحُ بحَمْل اللفظ على ظاهره من العموم [1].

أما قراءة عَلِيّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (وَمَا يَفْعَلُوا) بالياء ، على ذكر الغائب ، فهذا من باب الالتفات ، أو من باب ما أضمر لدلالة المعنى ،أي : وما يفعل الناس ، فيكون أَعَمَّ من المخاطبين قَبْلُ ؛ إذ يشملهم وغيرهم [2]. وربما آثر الإمام عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ القراءة بالياء لهذا الغرض .

وهذه الآية نزلت في عمرو بن الجَمُوح ، وكان شيخاً كبيراً فقال : يا رسول الله إن مالي كثيرٌ، فبماذا أتصدقُ ، وعلى من أنفقُ ؟ فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ [3] .

[تَحْسَبَنَّ ، ويَحْسَبَنَّ]

في قوله تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾ [4]. قرأ الجمهور : (تَحْسَبَنَّ) بالتاء ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (يَحْسَبَنَّ) بالياء [5] .

والقراءتان سبعيتان متواترتان ، فقد قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، والكِسائي : (تَحْسَبَنَّ) بتاء الخطاب ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة : (يَحْسَبَنَّ) بياء الغيبة [6] .

الحِسبان ، بالكسر : الظن . حَسِبْتُ زيداً قائماً أَحْسَبُهُ ، من باب تَعِبَ في لغة جميع العرب إلا بني كِنَانَة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ١ / ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، والبحر المحيط : ٢ / ١٥١ .

(2) البحر المحيط : ٢ / ١٥١ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٩٥٠ .

(4) الأنفال : الآية (٥٩) .

(5) البحر المحيط : ٤ / ٥٠٦ .

(6) السبعة ، لابن مجاهد ص ٣٠ ، والنشر: ٢ /٢٧٧ ، وإتحاف فضلاء البشر: ٢ / ٨٢ .

غير قياس بمعنى ظَنَنْتُ [1] .

قراءة الجمهور: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ) بالتاء ، خطاباً للنبي (صلى الله عليه وسلم) أو للسامع ، وفي الفعل ضمير الفاعل ، و(الَّذِينَ كَفَرُوا) مفعول أول، و(سَبَقُوا) مفعول ثان .

والمعنى: لا تَظُنَّنَّ يا محمد من أَفْلَتَ من وقعة بَدْر قد سَبَقَ إلى الحياة، فإنهم لا يُعْجِزُونَ ، أي : لا يفوتون في الدنيا حتى يُظْفِرَكَ الله بهم ، وقيل : يعني في الآخرة [2] .

أما قراءة عَلِيٍّ – رضي الله عنه – : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ) بالياء على الغيبة ، أي : ولا يَحْسَبَنَّ الرسولُ ، أو حاسبٌ ، أو المؤمنُ ، ويكون (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) المَفْعُولَيْنِ . ويجوز أن يكون (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعلاً ، والمفعول الأول محذوف . والمعنى: ولَا يَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُوا أَنفُسَهُمْ سَبَقُوا أي لَا يَحْسَبَنَّ الكفارُ أَنْفُسَهُمْ فَاتُوا ، لأنهم لا يُعْجِزُونَ ، أي: لا يَفُوتُونَ [3] .

قال الزَّجَّاج : " وفيها وجه آخر : ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا " [4] .

وزعم بعض النحويين أن الوجه في قراءة الياء ضعيف عند أهل العربية ؛ لأنه لم يأت لـ (يَحْسَبَنَّ) بمفعول ، وهو يحتاج إلى مَفْعُولَيْن [5] .

وفيما ذكرناه في إعراب هذه القراءة وتفسيرها رد على ذلك ، هذا بالإضافة إلى أن هذه القراءة متواترة قرأ بها حمزة ، وابن عامر ، وهو من العرب الذين سبقوا اللحن [6] .

---

(1) المصباح المنير : ١ / ١٣٤ (ح س ب) .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٩٦٠ ، والبحر المحيط : ٤ / ٥٠٥ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٨٢ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٩٦١ ، والبحر المحيط : ٤ / ٥٠٥ .

(4) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٤٢١ .

(5) ينظر : المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، ومعاني القرآن ، للفراء : ١ / ٤١٥ ، ٤١٦ .

(6) البحر المحيط : ٤ / ٥٠٦ .

المبحث الثاني

الاختلاف في الإعراب

١ ـ الرفع مقابل النصب "

[والعمرةَ ، والعمرةُ]

في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (وَالْعُمْرَةَ) بالنصب ، وقرأ عَلِيٌّ ، وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ : (والْعُمْرَةُ) بالرفع (٢) .

العمرة في اللغة : القصد والزيارة ، وهي مأخوذة من الاعتمار وهو الزيارة . يقال : اعْتَمَرَ الرجل : قَصَد وَزَارَ ، وأَعْمَرْتُهُ إعْمَاراً : جعلتُه يَعْتَمِر . قال ابن السِّكِّيت : اعْتَمَرْتُه إذا قَصَدْتَ لَهُ (٣) .

والعمرة في العمل هي الحج الأصغر ، ومعناه الطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة فقط (٤) .

قراءة الجمهور: (والعُمْرَةَ) بالنصب ، عطفاً على (الحَجّ) و(لله) متعلق بـ (أَتِمُّوا) وهو مفعول من أجله ، ويجوز أن يكون في موضع الحال ، ويكون العامل محذوفاً تقديره : كائنين لله .

---

(١) البقرة : من الآية (١٩٦) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١٢ ، والكشاف : ١ / ٣٣٤ ، ومفاتيح الغيب : ٥ / ١٤٠ ، والبحر المحيط : ٢ / ٨٠ .

(٣) المصباح المنير: ٢ / ٤٢٩ (ع م ر) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ١ /٢٦٧ .

والمعنى: أتموهما . وقد اختلف العلماء في المعنى المراد بإتمام الحج والعمرة ، فقيل : أداؤهما والإتيان بهما ، كقوله : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [(١)] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ [(٢)] ، أي : ائتوا بالصيام ؛ وهذا على مذهب من أوجب العمرة ، ومن لم يوجبها قال : المراد تمامهما بعد الشروع فيهما ، فإن من أحرم بنُسُك وجب عليه المضي فيه ولا يفسخه . وعن عَلِيّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ إِتْمَامُهُمَا أن تُحْرِمَ بهما من دُوَيْرَةِ أَهْلِك . وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ : إِتْمَامُهُمَا أن تخرج قاصداً لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك [(٣)] .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (والعُمْرَةُ) بالرفع على الابتداء، و(لله) الخبر ، فهي تدل على عدم وجوب العمرة ، وتشير إلى أنها سُنَّة ، ولذلك رَفَعَ فَقَطَعَهَا عن الأمر ، وانفرد به الحج .

والمعنى : وأتموا الحجَّ ، والعُمْرَةُ لله ، أي : هي مما تتقربون به إلى الله ــ عز وجل ــ وليس بفرض . وقيل : إن ذلك يدل على زيادة المحافظة عليها ، كما رُوِىَ "الصَّوْمُ لِي" [(٤)] [(٥)] .

وقال الفَرَّاء : " فلو قرأ قارئ (والعَمْـرَةُ للهِ) فرفـعَ العمـرة جـاز ؛ لأن المعتمـر إذا أتى البيت فطاف به وبين الصفا والمروة حل من عمرته . والحج يأتي فيـه عرفـات وجميـع المناسك ؛ وذلك قوله : (وَأَتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرَةَ لله) يقول : أَتِمُّوا العمرة إلى البيت والحج إلى أقصى مناسكه" [(٦)] .

وأرى ــ والله أعلم ــ أن قراءة عَلِيّ رضي الله عنه ــ بينت أن العمرة تختلف عن

---

(١) البقرة : من الآية (١٢٤) .

(٢) البقرة : من الآية (١٨٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٨٤٨ ، والبحر المحيط : ٢ / ٨٠ .

(٤) ينظر : صحيح البخاري (الصوم) ٣ /٢٤ ، والصيام ٥ / ١٣٢ ، وموطأ مالـك (جـامع الصـيام) ص ١٢٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٢٢٦ ، وإعراب القراءات الشواذ : ١ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والبحر المحـيط : ٢ / ٨٠ ، ٨١ .

(٦) معاني القرآن : ١ / ١١٧ .

الحج ، فهو فُرْض وهي سُنَّةٌ .

[قَوْلَ ، وقَوْلُ]

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (قَوْلَ) بالنصب ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وابن أبي إسحاق ، والحَسَن : (قَوْلُ) بالرفع (٢) .

القَوْلُ والقِيلُ واحد ، والقَوْلُ يستعمل على أوجه أظهرها أن يكون للمركب من الحروف المُبْرَّز بالنطق مفرداً كان أو جملة ، وتسمى القصيدة والخطبة ونحوهما قولاً . كما يُسْتَعْمَل القول للمُتَصَوَّر في النفس قبل الإبْرَاز باللفظ ، فيقال : في نفسي قولٌ لم أظهره . كما يُعَبَّر بالقول عن الاعتقاد والإلهام . قَالَ يَقُولُ قَوْلاً وَمَقَالاً وَمَقَالَةً (٣) .

قراءة الجمهور : (قَوْلَ) بالنصب على خبر (كَانَ) ، واسمها في قوله (أَنْ يَقُولُوا) نحو : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ (٤) .

وقال الفراء : " وقوله : (إنَّمَا كَانَ قَوْلَ المؤمنينَ) ليس هذا بخبر ماض يخبر عنه ، كما تقول: إنما كنتَ صَبياً ولكنه : إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعُوا أن يقولوا سمعنا . وهو أدب من الله . كذا جاء التفسير " (٥) .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (قَوْلُ) بالرفع ، فعلى أنه اسم (كَانَ) ، و(أَنْ

---

(١) النور : الآية (٥١) .

(٢) المحتسب : ٢ / ١١٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٨٣٢ ، والبحر المحيط : ٦ / ٤٢٩ ، وفتح القدير : ٤ / ٤٥ ، والفتوحات الإلهية : ٣ / ٢٣٤ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٤١٥ ، والصحاح (ق و ل) ، والمصباح المنير : ٢ / ٥١٩ .

(٤) آل عمران : من الآية (١٤٧) ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٨٣٢ .

(٥) معاني القرآن : ٢ / ٢٥٨ .

يَقُولُوا) الخبر أي : كان قولهم أن يقولوا .

والمعنى أن الله ــ عز وجل ــ أخبر بطاعة المهاجرين والأنصار ، بأنهم إذا دُعُوا إلى كتاب الله وحُكْم رسوله ، وإن كان ذلك فيما يكرهون ، كان قولهم أن يقولون : سمعنا وأطعنا [١] .

وقيل : المعنى : إنما قَوْلُ المؤمنينَ ، و(كَانَ) صلة في الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ﴾ [٢] [٣] .

هذا ، وقد رَجَّحَ بعض العلماء قراءة الجمهور (قَوْلَ) بالنصب . قال ابن جني : " أقوى القراءتين إعراباً ما عليه الجماعة من نصب (القَوْل) ، وذلك أن في شرط اسم (كان) وخبرها أن يكون اسمها أَعْرَف من خبرها .

وقوله تعالى:﴿ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أَعْرَفُ من (قَوْل المؤمنين) ؛ وذلك لشبه (أن) وصلتها بالمضمر من حيث كان لا يجوز وصفها ، كما لا يجوز وصف المضمر . والمضمر أَعْرَفُ من (قول المؤمنين) ؛ فلذلك اختارت الجماعة أن تكون (أن) وصلتها اسم (كان) . ومثله : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [٤] ، أي : إلا قولهم على ما مضى " [٥] .

وقال الزمخشري : " والنصب أقوى ؛ لأن أَوْلَى الاسمين بكونه اسماً لـ(كَانَ) أَوْغَلُهُمَا في التعريف ، و(أَنْ يَقُولُوا) أَوْغَلُ ؛ لأنه لا سبيل عليه للتنكير ، بخلاف (قول المؤمنين) " [٦] .

وقال صاحب الإتحاف:" والجمهور على نصب (قَوْلَ) خبراً لـ(كان)، والاسم (أَنْ)

---

(١) إعراب القراءات الشواذ : ٢ / ١٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٨٣٢ .

(٢) مريم : من الآية (٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٨٣٢ .

(٤) الأعراف : من الآية (٨٢) .

(٥) المحتسب : ٢ / ١١٥ .

(٦) البحر المحيط : ٦ / ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

المصدرية وما بعدها ، وهو الأرجح ؛ لأنه متى اجتمع معرفتان ، فالأَوْلَى جَعْل الأَعْرَف الاسم " [1] .

ونص سيبويه على أن اسم كان وخبرها إذا كانتا معرفتين فأنت بالخيار في جعل ما شئت منهما الاسم والآخر الخبر من غير اعتبار شرط في ذلك ولا اختيار [2] .

٢ ـ النصب مقابل الرفع :

[الحَقُّ ، والحَقَّ]

في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [3] .

قرأ الجمهور : (الحَقُّ) بالرفع ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : (الحَقَّ) بالنصب [4] .

الحَقُّ : خلاف الباطل ، وهو مصدر حَقَّ الشيءُ من بَابَيْ ضَرَبَ ، وقَتَلَ ، إذا وَجَبَ وثَبَتَ [5] .

قراءة الجمهور : (الحَقُّ) بالرفع على أنه مبتدأ ، والخبر هو (مِن رَّبِّكَ) فيكون المجرور في موضع رفع أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي هو الحق من ربك ، والضمير عائد على الحق المكتوم ، أي : ما كتموه هو الحَقُّ من ربك ، ويكون المجرور في موضع الحال ، أو خبراً بعد خبر .

---

(١) إتحاف فضلاء البشر : ٢ / ٣٠١ .

(٢) الكتاب : ١ / ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) البقرة : الآيتان (١٤٦) ، (١٤٧) .

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠ ، وإعراب القرآن، للنحاس : ١١ / ٢٧٠ ، والكشاف : ١ / ٣٢٢ ، والتبيان ١ / ١٢٦ ، ومفاتيح الغيب : ٤ / ١٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ٦٥٣ ، والبحر المحيط : ١ / ٦١٠ ، وفتح القدير : ١ / ١٥٤ .

(٥) المصباح المنير : ١ / ١٤٣ (ح ق ق) .

ويجوز رفع (الحَقّ) على أنه فاعل لفعل محذوف ، أي : جَاءَكَ الحقُّ من رَبِّكَ [1] . قال أبو حيان : " وأَبْعَدَ من ذهب إلى أنه مبتدأ وخبره محذوف تقديره : الحقُّ من رَبِّكَ يَعْرِفُونَهُ " [2] .

والألف واللام في (الحَقّ) للعهد ، وهو الحق الذي عليه الرسول(صلى الله عليه وسلم) ، أو الحق الذي كتموه ، أو للجنس على معنى : أن الحق هو من الله لا من غيره [3] .

والخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، والمراد : أُمَّتُهُ . والمعنى: ما كتموه هو الحق من ربك . وقيل : استقبال الكعبة لا ما أَخْبَرَكَ به اليهود من قبلتهم يا محمد هو الحق من ربك فلا تكونن من الشاكين في ذلك ، لأن ما جاء من الله ــ تعالى ــ لا يمكن أن يقع فيه شك ولا جدال ؛ إذ هو الحق المحض الذي لا يمكن أن يلحق فيه ريب ولا شك [4] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (الحَقَّ) بالنصب ، على أن يكون معمولاً لـ (يَعْلَمُونَ) ، أي يَعْلَمُونَ الحَقَّ ، ويكون مما وقع فيه الظاهر موقع المضمر ، أي وهم يَعْلَمُونَه كائناً من رَبِّكَ . ويصح نصبه بفعل محذوف تقديره : الْزَم الحَقَّ من رَبِّكَ ، ويدل عليه الخطاب بعده ﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [5] .

[صلاتُهم ، وصلاتَهم]

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [6] .

قرأ الجمهور: (صَلاَتُهُمْ) بالرفع ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (صَلاَتَهُمْ)

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٦٥٣ ، والبحر المحيط : ١ / ٦١٠ .

(2) البحر المحيط : ١ / ٦١٠ .

(3) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٦٥٣ ، والبحر المحيط : ١ / ٦١٠ .

(5) المصدران السابقان ، والصفحتان .

(6) الأنفال : الآية (٣٥) .

بالنصب [1] .

المُكَاء : الصفير بالفم . يقال : مَكَا الإنسان يَمْكُو مَكْواً ومُكَاءً ، إذا صَفَرَ بفِيهِ . قال بعضهم : هو أن يَجْمَعَ بين أصابع يديه ، ثم يُدْخِلَهَا في فِيهِ ثم يَصْفِرُ فيها [2] .

والتصدية : التصفيق باليد . يقال : صَدَّى يُصَدِّي تَصْدِيَةً ، إذا صَفَّقَ بيديه . والتصدية : ضَرْبُكَ يداً على يَدٍ لِتُسْمِعَ ذلك إنساناً ، ومنه قول عمرو ابن الإطنابة :

وَظَلُّوا جَمِيعاً لَهُمْ ضَجَّةٌ مُكَاء لَدَى البَيْتِ بالتَّصْدِيَة [3]

أي : بالتصفيق [4] .

قراءة الجمهور: (صَلاَتُهُمْ) بضم التاء ، اسم(كَان) ، و(مُكاءً) بالنصب خبرها ، والأول معرفة والثاني نكرة ، و(تَصْدِيةً) معطوف على (مُكَاء) .

وأكثر أهل العلم على أن الصلاة ـ هنا ـ : هي الطواف ، وقد سماه الرسول (صلى الله عليه وسلم) صلاة [5] .

لقد كانت قريش تطوف بالبيت عُرَاة رجالهم ونساؤهم ، مُشَبِّكِينَ بين أصابعهم يَصْفِرُون ويُصَفِّقُونَ ، فكان ذلك عبادة في ظنهم ، وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يخلطون علي في صلاته [6] .

أما قراءة عَلي ـ رضي الله عنه ـ (صَلاَتَهُمْ) بنصب التاء ، خبر (كَانَ) ، و(مُكَاءٌ) بالرفع اسمها . فهي على تقدير : وما كان المكاءُ والتصديةُ إلا صلاتَهم .

---

(1) مختصر في شواذ القرآن ص ٤٩ .

(2) لسان العرب (م ك ا) .

(3) البيت في : الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٩٢٦ .

(4) المصدر السابق : ٤ / ٢٩٢٦ ، ولسان العرب (ص د ى) .

(5) البحر المحيط : ٤ / ٤٨٦ ، وينظر : النسائي : كتاب الحج باب (١٣٢٢) ، والبيهقي : ٥ / ٨٧ ، والمستدرك للحاكم : ١ / ٤٥٩ .

(6) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٩٢٦ ، والبحر المحيط : ٤ / ٤٨٥ .

وخَطَّأَ قوم منهم أبو علي الفارسي هذه القراءة ؛ لجعل المعرفة خبراً ، والنكرة اسماً . قالوا : ولا يجوز ذلك إلا في ضرورة ، كقول حَسَّان ابن ثابت : [1]

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ [2]

ووَصَفَها العُكْبَرِي بأنها قراءة ضعيفة [3] .

وخَرَّجَ ابن جني هذه القراءة على أن (المُكاءَ والتصديةَ) اسم جنس ، واسم الجنس تعريفه وتنكيره واحد . قال : " اعلم أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ، ألا ترى أنك تقول: خرجتُ فإذا أسدٌ بالباب فتجد معناه معنى قولك : خرجتُ فإذا الأسدُ بالباب لا فرق بينهما ؟ وذلك أنك في الموضعين لا تريد أسداً واحداً معيناً ، وإنما تريد خرجتُ فإذا بالباب واحد من هذا الجنس ، وإذا كان كذلك جاز ـ هنا ـ الرفع في (مُكَاء وتَصْدِيَة) جوازاً قريباً ، حتى كأنه قال : وما كان صلاتَهم عند البيت إلا المُكَاءُ والتصدية ، أي : إلا هذا الجنس من الفعل . . . وأيضاً فإنه يجوز مع النفي من جعل اسم (كان) وأخواتها نكرة ما لا يجوز مع الإيجاب . ألا تراك تقول : ما كان إنسان خيراً منك ، ولا تجيز كان إنسان خيراً منك ؟ فكذلك هذه القراءة أيضاً ، لما دخلها النفي قوي وحسن جعل اسم كان نكرة . هذا إلى ما ذكرناه من مشابهة نكرة اسم الجنس لمعرفته ، ولهذا ذهب بعضهم في قَوْلِ حَسَّان :

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

أنه إنما جاز ذلك من حيث كان (عَسَل ومَاء) هما جنسين ، فكأنه قال : يكون مِزَاجَها العَسَلُ والماءُ ، فبهذا تَسْهُلُ هذه القراءة ، ولا يكون من القُبْح واللَّحْنِ الذي ذهب إليه الأَعْمَش على ما ظن " [4] .

---

[1] البيت في : الكتاب : ١ / ٤٩ ، والمقتضب : ٤ / ٩٢ ، والمحتسب : ١ / ٢٧٩ ، وديوان حسان (٣) ـ السبيئة : الخمر . وبيت رأس : موضع بالشام ، والشاهد في قوله : (يكون مزاجها عسل) .

[2] البحر المحيط : ٤ / ٤٨٦ .

[3] إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٥٩٣ .

[4] المحتسب : ١ / ٢٧٩ .

[عُصبةٌ ، وعُصبَةً]

في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (عُصْبَةٌ) بالرفع ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (عُصْبَةً) بالنصب (٢) .

العصبةُ من الرجال : جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين . وقال بعضهم : ما بين الواحد إلى العشرة . وقال ابن فارس: نحو العشرة ، وليس لها واحد من لفظها كالرهط والنفر، والجمع عُصَب ، مثل : غُرْفَة وغُرَف (٣) .

قراءة الجمهور: (عُصْبَةٌ) بالرفع ، خبر المبتدأ (نحن) والجملة حالية ، والمعنى : تفضلهما علينا في المحبة ، وهما ابنان صغيران ، لا كفاية فيهما ولا منفعة ، ونحن جماعة عشرة رجال ، كُفَاة نقوم بمرافقة ، فنحن أحق بزيادة المحبة منهما (٤) .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (عُصْبَةً) بالنصب ، فهي على الحال التي سَدَّتْ مسد الخبر، والخبر محذوف ، وهو عامل في (عُصْبَةً) . والتقدير : ونحن نجتمع عُصْبَةً ، وهذا كقول العرب : حُكْمُكَ مُسْمَطاً (٥) .

أراد : لَكَ حُكْمُكَ مُسْمَطاً ، فحذف الخبر استخفافاً لعلم السامع ما يريد القائل . وقدره بعضهم : حُكْمُكَ ثَبَتَ مُسْمَطاً (٦) .

(١) يوسف : الآية (٨) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٢ ، والكشاف : ٢ / ٣٠٥ ، ومفاتيح الغيب : ٨ / ٩٣ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٨٣٣ .

(٣) لسان العرب : ٤ / ٢٩٦٥ ، والمصباح المنير : ٢ / ٤١٣ (ص ب ح) .

(٤) البحر المحيط : ٥ / ٢٨٣ .

(٥) المسمط : المرسل غير المردود .

(٦) البحر المحيط : ٥ / ٢٨٣ .

ووصف العُكْبَرِي النصب بأنه ضعيف [١] ، وفي مختصر ابن خالويه : وسمعت ابن مجاهد يقول : ما قرأ أَحدٌ بالنصب [٢] .

وأرَى ـ والله أعلم ـ أنه إذا ثبت أن لهذه القراءة وجهاً في العربية فلا داعي لوصفها بالضعف .

[المصَوِّرُ ، والمصَوَّرَ]

في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣] .

قرأ الجمهور : (المُصَوِّرُ) بالرفع ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ : (المُصَوَّرَ) بالنصب [٤] .

المُصَوِّرُ: هو الذي صور جميع الموجودات، ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها ، على اختلافها وكثرتها [٥] .

قراءة الجمهور : (المُصَوِّرُ) بكسر الواو المشددة ، ورفع الراء صفة ثالثة لله ـ عز وجل ـ فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما . والمراد بالتصوير : التخطيط والتشكيل .

والمعنى: هو الله ، المُقَدِّر ، المُنْشِئ المُخْتَرِع ، مُصَوِّرُ الصورِ ومُرَكِّبُها على هيئات مختلفة . لقد خلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خِلَق : جعله عَلَقَةً ، ثم مُضْغَةً ، ثم جعله صورةً وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يُعْرَف بها ويتميزُ عن غيره بِسَمْتِها . فتبارك الله أحسن الخالقين [٦] .

(١) إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٦٨٣ .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٢ .

(٣) الحشر : الآية (٢٤) .

(٤) مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٧٢٧، والبحر المحيط : ٨ /٢٤٩ .

(٥) لسان العرب : ٤ / ٢٥٢٣ (ص و ر) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ٦٧٧١ .

أما قراءة عَلي ـــ رضي الله عنه ـــ فـ(المُصَوَّرَ) بفتح الواو، ونصب الـــراء ، مفعـــولاً بالباري ، أي : الذي يبرأ المُصَوَّرَ ، أي : يُميِّزُ ما يُصَوِّرُ بتفاوت الهيئات • و(أل) للجنس ، حيث أراد جنس المُصَوَّر [١] •

٣ ـ التنوين مقابل الإضافة :

[شهادةَ اللهِ ، وشهادةً اللهِ]

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَــوْتُ حِــينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِــيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَــى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ [٢] •

قرأ الجمهور : (شَهَادَةَ) من دون تنوين على الإضافة ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ ونُعَيْم بن مَيْسَرَة ، والشَّعْبِيّ : (شَهَادَةً) بالتنوين ونصب ما بعدها [٣]•

الشهادة : الإخبار بما قد شوهد • يقال : شهد بكذا بمعنى أخبر به • والشهادة : خـــبر قاطع ، تقول منه : شَهِدَ الرجلُ على كَذَا [٤] •

قراءة الجمهور : (شَهَادَةَ اللهِ) بنصب شهادة وإضافتها إلى الله ؛ لأنه تعالى هو الآمـــر بإقامتها الناهي عن كتمانها •

وجملة (وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ) معطوفة على قوله (لاَ نَشْتَرِي به ثَمَناً) فيكون من جملـــة المُقْسَمِ عليه •

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٦٧٧٢ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٤٩ •

(٢) المائدة : الآية (١٠٦) •

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ٣٥ ، والمحتسب : ١١ / ٢٢١ ، والبحر المحيط : ٤ / ٤٨ •

(٤) لسان العرب : ٣ / ٢٣٤٨ (ش هـــ د) •

والمعنى : ولا نكتم ما أَعْلَمَنَا الله من الشهادة [١] .

أما قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ : (شَهَادَةً اللهَ) فهي بتنوين (شهادة) ونصب اسم (الله) والناصب لهما (نَكْتُمُ) . والتقدير : ولا نَكْتُمُ اللهَ شَهَادَةً . ويحتمل أن يكون المعنى : ولا نَكْتُمُ شهادةً واللهِ ، ثم حذف الواو ونصب الفعل إيجازاً [٢] .

وذكر ابن جني أن قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ (شَهَادَةً) بالتنوين أَعَمّ من قراءة الجماعة : (شَهَادَةَ اللهِ) بالإضافة ، غير أنها بالإضافة أفخم وأشرف وأحرى بترك كتمانها ؛ لإضافتها إلى الله سبحانه [٣] .

هذا ، وحَذْفُ التنوين كثير في كلام العرب موجود حَسَن [٤] . قال سيبويه : " واعلم أن العرب يستخفون فيحذفون التنوين ، ولا يتغير من المعنى شيء ، وينجر المفعول لكف التنوين من الاسم ، فصار عمله فيه الجر ، ودخل في الاسم معاقباً التنوين .

وليس يغير كف التنوين ، إذا حذفته مستخفاً ، شيئاً من المعنى ، ومن ذلك قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [٥] [٦] .

وعليه تكون القراءة بالإضافة وحذف التنوين هي الأحسن والأكثر لكثرة القراء بها ، وهي المختارة لخفتها .

[مُتَّخِذَ ، ومُتَّخِذاً]

في قوله تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٤٤٥ ، والبحر المحيط : ٤ / ٤٨ .
(٢) البحر المحيط : ٤ / ٤٨ .
(٣) المحتسب : ١ / ٢٢١ .
(٤) الحجة ، لابن خالويه ص ٣١٠ ، والكشف ، لمكي : ٢ / ٢٣٩ .
(٥) آل عمران : من الآية (١٨٥) .
(٦) الكتاب : ١ / ١٦٥ ، ١٦٦ .

مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (مُتَّخِذَ) من دون تنوين ، بالإضافة لـ (المُضِلِّينَ) ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : (مُتَّخِذاً) بالتنوين (٢) .

قراءة الجمهور : (مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ) بنصب اسم الفاعل خبراً لـ (كـان) ، وإضافته لـ (المُضِلِّين) في موضع المفعول به ، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله .

والإضافة وترك التنوين في هذه القراءة على التخفيف ، وهي اللغة الفاشية المستعملة .

أما قراءة علي ـ رضي الله عنه ـ : (مُتَّخِذاً) بالتنوين وعدم الإضافة ، ونصب (المُضِلِّينَ) فإنما على الأصل ؛ لأن اسم الفاعل إذا نُوِّنَ نَصَبَ ما بعده إذا كان بمعنى الحال والاستقبال ، فيعملُ عَمَلَ الفِعْل ويكون (المُضِلين) مفعولاً لاسم الفاعل (مُتَّخِذ) العامل عَمَل فِعْله .

والمعنى على هاتين القراءتين : وما كنت مُتَّخِذَ الشياطين أو الكفار أعواناً ، يَعْني ما أسْتَعَنْتُهُم على خلق السموات والأرض ولا شَاوَرْتُهُم . (٣)

---

(١) الكهف : الآية (٥١) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص٨٠ ، والكشاف :٢ / ٤٨٨ ، ومفاتيح الغيب : ٢١ / ١٢٨ ، والبحر المحيط : ٦ / ١٣٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٤١٥٤ .

المبحث الثالث

الزيادة والنقصان

(أ) الزيادة :

[أن يطَّوَّف ، وألاَّ يطَّوَّف]

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

قرأ الجمهور : (أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) . وقرا عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (أَلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[2] .

وعلى ذلك فقراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ ومن معه تغاير قراءة الجمهور ؛ لأنها قد زيد فيها (لَا) بين (أَنْ) و (يَطَّوَّفَ) .

طافَ بالشيء يَطوفُ طَوْفاً وطَوَافاً : استدار به وجاء من نواحيه . وتَطَوَّفَ بالبيت ، واطَّوَّفَ على البدل والإدغام ، بمعنى طافَ . يقال : تَطَوَّفَ الرجلُ ، أي : طافَ[3] .

قراءة الجمهور : (أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) ، أي : أَنْ يَتَطَوَّفَ بهما . وفي إيراد صيغة (التَّفَعُّل) إيذان بأن من حق الطائف أن يتكلف في الطواف ، ويبذل فيه جهده .

ومعنى هذه القراءة : لا جُناح على الحاج أو المعتمر أن يطوف بالصفا والمروة ؛ لأنهما من شعائر الحج والعمرة ، ولو لم يكونا من شعائرهما لكان التَّطَوُّف بهما بدعة ؛ لأنه إيجاب أمر لم يتقدم إيجابه ، وهذا بِدْعة ، كما لو تطوف بالبصرة أو بالكوفة أو بغيرهما من الأماكن على وجه القربة

(١) البقرة : الآية (١٥٨) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١١ ، والمحتسب : ١ / ١١٥ ، والمحرر الوجيز : ٢ / ٢٨ .

(٣) لسان العرب : ٤ / ٢٧٢٢ ، والمصباح المنير : ٢٢ / ٣٨٠ (ط و ف) .

والطاعة كما تَطَوَّفَ بالحرم ، لكان بذلك مبتدعاً [1] .

وفي إيراد الطواف بعدم الجناح المشعر بالتخيير ، لما أنه كان في عهد الجاهلية على الصفا صَنَمٌ يقال له : (إسَاف) ، وعلى المَرْوَة آخر اسمه (نَائِلَة) ، وكانوا إذا سعوا بينهما مَسَحُوا بهما فلما جاء الإسلام ، وكسر الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما ، فلذلك نزلت [2] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (أَلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا) فتحتمل وجهين :

الأول : أن تكون (لا) زائدة ، فيصير معناها متحداً مع قراءة الجمهور ، كأنه قال : لا جُنَاح عليه أن يَطَّوَّفَ بهما ، وزاد (لاَ) كما زيدت في قوله ــ تعالى ــ : ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [3] وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [4] .

الثاني : أنها غير زائدة ، بمعنى : أن رفع الجُناح في فعل الشيء هو رفع في تركه ، إذ هو تخيير بين الفعل والترك ، نحو : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾ [5] .

وعلى هذا الوجه تكون قراءة الجمهور فيها رفع الجُنَاح في فعل الطواف نصاً ، وفي قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ رَفْعُ الجُناح في الترك نصاً [6] . قال ابن جني : " وأما قراءة من قرأ : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا) فظاهره أنه مفسوح له في ترك ذلك ، كما قد يُفْسَحُ للإنسان في بعض المنصوص عليه المأمور به ، تخفيفاً ، كالقَصْر بالسفر ، وترك الصوم ، ونحو ذلك من الرُّخَصِ المسموح فيها " [7] . ويكون السعي بين الصفا والمروة

---

(1) المحتسب : ١ / ١١٥ ، ١١٦ ، والدر المصون : ٢ / ١٩٠ .

(2) تفسير أبي السعود : ١ / ١٨١ ، وروح المعاني : ٢ / ٢٥ .

(3) الأعراف : من الآية (١٢) .

(4) الحديد : من الآية (٢٩) .

(5) البقرة : من الآية (٢٣٠) .

(6) المحتسب : ١ / ١١٥ ، ١١٦ ، والدر المصون : ٢ / ١٩٠ .

(7) المحتسب : ١ / ١١٦ .

على ذلك ليس واجباً [1] .

ومن هذا المنطلق وجدنا خلافاً بين العلماء في الطواف بهما ، فبينما يرى ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وابن الزبير ، وعطاء ، ومجاهد ، وابن حنبل أن الطواف بهما ليس واجباً ، يرى الشافعي ، وأحمد ، ومالك في مشهور مذهبهم أنه ركن ، أما الثَّوْرِيّ ، وأبو حنيفة فإنهما يريان أنه واجب يُجْبَرُ بدَمٍ [2] .

وعلى هذا فالناظر في قراءة عليٍّ — رضي الله عنه — يجدها تحتمل الآراء الثلاثة ، فرأي ابن عباس ومن وافقه الذي يرى أن الطوافَ ليس واجباً، ورأى أبي حنيفة ومن وافقه الذي يرى أن الطوافَ واجبٌ يُجْبَرُ بدَمٍ يوافق قراءة عليّ على أن (لَا) ليست زائدة . أما رأي الشافعي ومن وافقه الذي يرى أن السعي بين الصفا والمروة رُكْنٌ تؤيده قراءة عليّ — رضي الله عنه — على أن (لا) زائدة ، ولعل ذلك كان سبباً في إيثار عليّ — رضي الله عنه — لما قَرَأَ به ، بخلاف قراءة الجمهور التي لا تحتمل هذه الآراء جميعها . والله أعلم .

[آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، وآمَنَ المؤمنون]

في قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [3]

قرأ الجمهور : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إليه مِن رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ) ، وقرأ عَلِيٌّ — رضي الله عنه — : (وآمَنَ المُؤْمِنُونَ) [4] .

الإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد (عليه الصلاة والسلام) ويُوصَف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوته ، وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان

---

(1) إعراب القراءات الشواذ : ١ / ٢١٨ ، ٢١٩ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٦٧١ ، ٦٧٢ ، والبحر المحيط : ١ / ٦٣١ ، وتفسير ابن كثير : ١ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وروح المعاني ٢ / ٢٥ .

(3) البقرة : الآية (٢٨٥) .

(4) البحر المحيط : ٢ / ٣٧٨ .

النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، ويقال لكل واحد من الاعتقاد ، والقول الصدق ، والعمل الصالح إيمان [1] .

قراءة الجمهور : (آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنزِلَ إليه من رَّبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ) تحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون قوله (والمؤمنونَ) معطوفاً على قوله (الرَّسُولُ) و(كُلٌّ) لشمول الرسول والمؤمنين .

الثاني : أن يكون (المؤمنون) مبتدأ أول ، و(كُلٌّ) مبتدأ ثان لشمول المؤمنين خاصة ، و(آمَنَ بالله) جملة في موضع خبر كل ، والجملة من كل وخبره في موضع خبر المؤمنين ، والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ الأول محذوف وهو ضمير مجرور ، تقديره : كُلٌّ مِنْهُمْ آمَنَ ، كقولهم : السَّمْنُ مَنَوَانِ بِدِرْهَم ، يريدون : مَنُهُ بِدِرْهم [2] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (وآمَنَ المؤمنون) . فالمؤمنون مرفوع بـ (آمَنَ) ، و(كُلٌّ) يشمل الرسول والمؤمنون .

وفي هذه القراءة إظهار للفعل الذي أضمر في قراءة الجمهور . وقد أفاد هذا الإظهار التأكيد على تصديق المؤمنين بالقرآن [3] .

والمعنى في هذه الآية : صَدَّقَ الرسول بالقرآن الذي أنزل من عند الله ، وبجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها ، وكذلكِ المؤمنون كلهم صَدَّقُوا بالله وملائكته وكُتُبِهِ ورسله . وسبب نزول هذه الآية أنه لما نزل ﴿ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ [4] الآية أشفقوا منها ، ثم تقرر الأمر على أن (قَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا) فرجعوا إلى التضرع والاستكانة فمدحهم الله وأثنى عليهم ، وقدم ذلك بين يدي رِفْقِهِ بهم وكَشْفِهِ لذلك الكرب الذي أوجبه تأولهم فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح

---

(1) المفردات في غريب القرآن ص ٢٦ .

(2) البحر المحيط : ٢ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(3) المصدر السابق : ٢ / ٣٧٨ .

(4) البقرة : من الآية (٢٨٤) .

والثناء ورفع المشقة في أمر الخواطر ، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله تعالى [١] .

[والعَصْرِ ، والعَصْرِ ونوائب الدهر]

في قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [٢] . قرأ الجمهور : (والعَصْرِ) وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (والعَصْرِ ونَوَائِبِ الدَّهْرِ) بزيادة ونَوَائِب الدَّهْر [٣] .

العَصْرُ : الدهرُ . وقال قَتَادة : هو آخر ساعة من ساعات النهار . وقيل : العَصْرُ : الليل والنهار . وقيل : أقسم بصلاة العصر وهي الوسطى ؛ لأنها أفضل الصلوات [٤] .

قراءة الجمهور : (والعَصْرِ) معناها : أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يقسم بالدهر لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع [٥] .

أما قراءة عَلِيٍّ ــ رضي الله عنه ــ : (والعَصْرِ ونَوَائِبِ الدَّهْرِ) ففيها زيادة على قراءة الجمهور (ونَوَائِب الدهر) ، أي : نَوَازِلُه .

(ب) النقصان (الترخيم) :

الترخيم في اللغة : ترقيق الصوت وتليينه ؛ يقال : صوت رَخِيم ، أي رقيق لَيِّن ، وكلام رَخِيم : لَيِّن سَهْل . وعن الأصمعي قال : سألني سيبويه فقال : ما يقال للشيء السهل ؟ فقلت له : المُرَخَّم ، فوضع باب الترخيم [٦] .

وفي الاصطلاح : حذف أواخر الأسماء المفردة في النداء بطريقة مخصوصة ؛ للتخفيف

---

(١) البحر المحيط : ٢ / ٣٧٨ .

(٢) العصر : الآيتان (١) ، (٢) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٥٢٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٧٥٢٢ ، ٧٥٢٣ .

(٥) المصدر السابق : ١٠ / ٧٥٢٢ .

(٦) لسان العرب : ٢ / ١٦١٧ ، والمصباح المنير : ١ / ٢٢٤ (ر خ م) .

غالباً ، أو لداع آخر كالتلميح أو الاستهزاء [١] فيقال في مالك : يا مَالِ ، وفي حارث : يَا حَارِ ، وفي فاطمة ، يا فَاطِم ، وفي عائشة : يا عَائِش ، وفي مروان : يا مَرْو ٠٠٠ وهكذا .

ويجوز في آخر الاسم المرخم وجهان :

أحدهما : أن يبقى على ما كان عليه قبل الحذف من حركة أو سكون ، أو صحة أو إعلال ، لأن المحذوف في نية الملفوظ ، وتسمى هذه اللغة لغة من ينتظر ــ وهي اللغة الفضلى [٢] .

والآخر : أن تبنيه على الضم مثل : يا زيد ، كأنك أنزلته منزلته ولم تراع المحذوف ، وتسمى هذه اللغة لغة من لا ينتظر [٣] .

وقد ورد على هذا قراءة واحدة قرأ فيها الإمام عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ بالترخيم ، وبيانها كالتالي :

[يَا مَالِكُ ، ويَا مَالِ]

في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [٤] . قرأ الجمهور : (يا مَالِكُ) ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (يَا مَالِ) بكسر اللام وحذف الكاف [٥] .

قراءة الجمهور : (يَا مَالِكُ) بإثبات الكاف ، وهو خازن جهنم ، خلقه لغضبه ، إذا زَجَر النار زجرة أكل بعضها بعضاً ، واللام في (لِيَقْضِ) لام الطلب والرغبة .

أما قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ : (يا مَالِ) بحذف الكاف ، وكسر اللام ، فهي على

---

(١) الكتاب : ٢ / ٢٣٩ ، وضياء السالك : ٣ / ٢٩٠ .

(٢) الكتاب : ٢ / ٢٤١ ، وضياء السالك : ٣ / ٢٩٧ .

(٣) الكتاب : ٢ / ٢٤٥ ــ ٢٥١ ، وضياء السالك : ٣ / ٢٩٨ .

(٤) الزخرف : الآية (٧٧) .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٦ ، والمحتسب : ٢ / ٢٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٦٣ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٧ ، وفتح القدير : ٤ / ٤٦٥ .

لغة من ينتظر الحرف ، وهي اللغة التي تبقي الاسم المرخم على ما كان عليه قبل الحذف .

وهناك قراءة ثالثة قرأ بها أبو السَّوَّار الغَنَوِيّ : (يا مَالُ) بالبناء على الضم على لغة من لا ينتظر الحرف [1] .

والمعنى العام من الآية على هذه القراءات : أن أهل النار نَادَوْا مَالِكاً ، وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها ، فقالوا : لِيُمِتْنَا رَبُّكَ مرة حتى لا يتكرر عذابنا [2] .

هذا ، وقد أفادت قراءة عَلِي ــ رضي الله عنه ــ (يَا مَالِ) سراً جديداً ، وذلك أنهم ــ لعظم ما هم عليه ــ ضعفت قواهم ، وذَلَّتْ أنفسهم ، وصَغُرَ كلامهم ، فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه ، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله ، القادر على التصرف في منطقه [3] .

---

(1) البحر المحيط : ٨ / ٢٧ ، ٢٨ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٦١٦٤ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٨ .

(3) المحتسب : ٢ / ٢٥٧ .

المبحث الرابع

من المبنيـــات

١- لام الأمر :

[فَلْيَصُمْهُ ، وفَلِيَصُمْهُ]

في قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [١] .

قرأ الجمهور : (فَلْيَصُمْهُ) بإسكان اللام ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ : (فَلِيَصُمْهُ) بكسرها [٢] .

لام الأمر هي التي يطلب بها إحداث فِعْل ، مثل : لِيَدْرُس المجتهدُ ، وهي من عوامل الأفعال ، وعملها فيها الجزم فهي في ذلك كإن الشرطية ، ولم الجازمة [٣] ، وحقها الكسر إذا أفردت .

قراءة الجمهور : (فَلْيَصُمْهُ) بإسكان لام الأمر ، أجروا ذلك مجرى (فَعِل) فخففوا. وهذه اللام إذا جاءت بعد واو العطف كقوله تعالى :﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[٤]أو بعد فائه كما سبق فهي ساكنة،وإذا جاءت بعد ثُمَّ،أو على الابتداء فهي مخفوضة [٥] ،

(١) البقرة : من الآية (١٨٥) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٢ .

(٣) شرح المفصل : ٩ / ٢٤ .

(٤) الحج : من الآية (٢٩) .

(٥) رسالة في اللامات ، لأبي جعفر النحاس (ضمن كتاب نصوص في اللغة) ص١٢ .

وجعل ابن يعيش تسكينها بعد ثُمَّ ضعيفاً ، كقراءة الكِسائي : ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ [(١)] ؛ لأن ثم حرف على ثلاثة أحرف يمكن الوقوف عليه ، فلو أسْكَنْتَ ما بعده من اللام لكنتَ إذا وقفتَ عليه تبتدئ بساكن ، وذلك لا يجوز [(٢)]. قال الأُشْمُوني : " وتسكينها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها ، وليس بضعيف بعد ثُمَّ ، ولا قليل ولا ضرورة ، خلافاً لمن زعم ذلك" [(٣)] ويرى المُبَرِّد أن كَسْرَهَا بعد ثُمَّ لَحْنٌ [(٤)].

وقد عُزِيَ تسكين لام الأمر بعد الواو ، والفاء ، وثُمَّ إلى قريش [(٥)] ، وعلى لغة قريش ما جاء في القرآن الكريم ، نحو : ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ [(٦)] .

أما قراءة علي — رضي الله عنه — : (فَلِيَصُمْهُ) بكسر اللام ، فعلى الأصل ، من قِبَل أنها حرف جاء لمعنى . قال أبو حيان : " وكَسْرُ لام الأمر هو مشهور لغة العرب " [(٧)] .

والمعنى على هاتين القراءتين : فمن حَضَرَ منكم المِصْرَ في الشهر عاقلاً بالغاً صحيحاً مقيماً فَلْيَصُمْهُ [(٨)] .

[وَلْنَحْمِلْ ، وَلِنَحْمِلْ]

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [(٩)].

---

(١) الحج : من الآية (١٥) .

(٢) شرح المفصل : ٩ / ٢٤ .

(٣) شرح الأشموني : ٤ / ٤ .

(٤) المقتضب : ٢ / ١٣٣ وما بعدها .

(٥) شواهد التوضيح ، لابن مالك ص ١٨٧ .

(٦) البقرة : من الآية (٢٨٢) .

(٧) البحر المحيط : ٢ / ٤٨ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٧٨٤ .

(٩) العنكبوت : الآية (١٢) .

قرأ الجمهور : (وَلْنَحْمِلْ) بإسكان اللام ، وقرأ عَلِيٌّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (وَلِنَحْمِلْ) بكسرها [1] .

الحِمْل ، بالكسر : ما يحْمَلُ على الظهر ونحوه ، والجمع أحمـــالٌ ، وحُمُـــولٌ . والحِمْـــلُ ـــ هنا ـــ مجازٌ بمعنى الحَمَالة لا الحِمْل على الظهر [2] .

قراءة الجمهور : (وَلْنَحْمِلْ) بإسكان لام الأمر تخفيفاً ، لتقدم واو العطف عليها ، وهذا السكون عارض [3] ، وقد نُسِبَ إلى قريش فيما سبق .

أما قراءة عَلِيّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (وَلِنَحْمِلْ) بكسر اللام ، فعلى أصـــل حركـــة الأمر ، وهو لغة أهل الحجاز [4] .

وقد نص الفَرَّاء ، والزَّجَّاج على أن هذا أمر في تأويل الشرط والجـــزاء ، كمـــا أن قولـــه : ﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ [5] نَهْيٌ في تأويل الجزاء . وهو كثير في كلام العرب . قال دِثار بن شَيْبان النَّمَرِيّ :

فَقُلْتُ ادْعِي وأَدْعُ فإنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَان

أراد : ادْعِي ولأَدْعُ فإن أَنْدَى ، فكأنه قال : إن دعوتِ دعوتُ .

وعليه فالمعنى : إن تتبعوا الطريق في ديننا الذي نسلكه حملنا خطاياكم ، أي : إن كان فيه إثم فنحن نحتمله [6] وهذا قول صناديد قريش ، كانوا يقولون لمن آمن منهم : لا نبعث نحـــن ولا أنتم ، فإن كان عليكم وزر فإننا نحمل عنكم الإثم [7] .

---

(1) البحر المحيط : ٧ / ١٣٩ .

(2) المصباح المنير : ١ / ١٥١ .

(3) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، لابن خالويه ص ٥٣ .

(4) الفتوحات الإلهية : ٣ / ٣٦٩ .

(5) النمل : من الآية (١٨) .

(6) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٣١٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٤ / ١٦١، ١٦٢ .

(7) البحر المحيط : ٧ / ١٣٩ .

وقال ابن هشام : " المراد باللام ومصحوبها ـ هنا ـ الخبر [1] ، حيث أخبر أنهم يحملون خطاياهم على جهة التشبيه بالثِّقَلِ ، فالحمل ـ هنا ـ مجاز، لكنهم أخرجوه في صفة الأمر ؛ لأنها أوجب وأشد تأكيداً في نفس السامع من المجازاة [2] .

٢ ـ اسم فعل الأمر " هَيْتَ "

(هَيْتَ) اسم للفعل ، وفيه ضمير المخاطب كـ (صَهْ ومَهْ) ، ومسماه : أَسْرِعْ . يقال : هَيْتَ إذا دَعَاهُ .

وهو لازم لا يتعدى إلى مفعول ، كما أن مسماه كذلك ، وفيه لغات : هَيْتَ بالفتح ، وهَيْتُ بالضم ، وهَيْتِ بالكسر .

وأصله البناء على السكون كصه ، إلا أنه التقى في آخره ساكنان : الياء والتاء فحركت التاء لالتقاء الساكنين ، فمن فتح فطلبا للخفة ، لثقل الكسرة بعد الياء ، ومن ضم فإنه شبهه بالغايات نحو: قبل وبعد ، ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين [3] .

وذكر ابن يعيش أن (هَيْتَ) : اسم فعل أمر بمعنى " أَسْرِعْ " أو " أَقْبِلْ " . وهذا هو الراجح [4] ، وقيل : إنه اسم فعل مضارع بمعنى " تَهَيَّأْتُ " [5] .

وجاء في اللسان : هَيْتَ ، أي : أَقْبِلْ ، وهَلُمَّ ، وتَعَالَ يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر ، إلا أن العدد فيما بعده ، تقول : هَيْتَ لَكُمَا ، وهَيْتَ لَكُنَّ [6] .

وقد كَثُرَت لغات العرب في هذه الكلمة ، وما ورد فيها من قراءات قرآنية فمرجعه إلى

(١) مغني اللبيب ص ٢٩٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٥٢١٩ ، والبحر المحيط : ٧ / ١٣٩ .

(٣) شرح المفصل : ٤ / ٣٢ .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٥) اسم الفعل في كلام العرب والقرآن الكريم ، للدكتور السيد محمد عبد المقصود ص٣٤٠ .

(٦) لسان العرب : ٦ / ٤٧٣٢ (هـ ي ت) .

تعدد اللغات فيها ، ذكر صاحب الفتوحات الإلهية أن القراءات كلها لغات في هذه الكلمة [١] ، كما رد صاحب الإتحاف هذه القراءات إلى اللغات [٢] .

والقراءات التي وردت في هذه اللفظة منها المتواتر ومنها الشاذ ، وقد تضمنتها الكتب المعنية بجمع القراءات والاحتجاج لها [٣] .

وقد نَصَّتْ كتب القراءات والتفسير على أجود هذه القراءات ، وأكثرها . قال الزجاج : " أجودها وأكثرها (هَيْتَ) بفتح التاء " [٤]. وفي معاني القرآن ، للنحاس : " أصحه إسناداً ما رواه الأعمش سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ : (هَيْتَ) " [٥] .

[هَيْتَ ، وهِئْتُ]

في قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٦] .

قرأ الجمهور : (هَيْتَ) بفتح الهاء والتاء ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ وجماعةٌ : (هِئْتُ) بكسر الهاء ، وبعدها همزة ساكنة ، والتاء مضمومة [٧] .

---

(١) الفتوحات الإلهية : ٢ / ٤٤٥ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر : ٢ / ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) ينظر: السبعة ، لابن مجاهدص٣٤٧ ، والحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ص ١٩٤ ، وحجة القراءات ، لأبي زرعة ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ومختصر في شواذ القرآن ص ٦٣٣ ، والمحتسب : ١ / ٣٣٧ ، وتحفة الأقران للدعيني ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٠٠ .

(٥) معاني القرآن : ٢ / ٣٢٢ .

(٦) يوسف : الآية (٢٣) .

(٧) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٤٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٣ / ١٠٠ ، وإعراب القرآن ، للنحاس : ٢ /٣٢٢ ، والمحتسب : ١ /٣٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٤٨٥ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٩٤ .

قراءة الجمهور: (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، وسكون الياء قرأ بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [1] و(هَيْتَ) اسم فعل بمعنى أَسْرِع ، و(لَكَ) للتبيين ، كنحو : سُقْيًا لَـكَ ، أمرته أن يسرع إليها .

وقال الفراء : " (هَيْتَ) لغة لأهل حَوْرَان سقطت إلى مكة فتكلموا بها [2]. قال أبو عُبَيْدَة : سألت شيخاً عالماً من حَوْرَان فذكر أنها لغتهم [3].

وروى الأزهري عن أبي زيد : (هَيْتَ لَكَ) بالعبرية (هَيْتَا لَجْ) ، أي : تعال ، أعربه القرآن [4] .

وقال الخليل : " تقول : (هَيْتَ لَكَ) بمنزلة (هَلُمَّ) ، يقال إنه كلام أهل مِصْر " [5] . وقال ابن عباس : بالسريانية ، وقال السُّدّي : بالقبطية . هَلُمَّ لَكَ [6] .

مما سبق يتبين أن (هَيْتَ) في الأصل ليست عربية ، وإنما جاءت للغة العرب من لغة أجنبية ، وتناولتها ألسنة قبائل العرب فاختلفت في نطقها كل حسب ما يناسبه في النطق فتعددت فيها اللغات ، ثم تناولها القرآن فعربها ، واختلفت فيها القراءات تبعاً لذلك .

والمعنى على هذه القراءة : هَلُمَّ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ إلى ما أدعوكَ إليه .

أما قراءة علي ـــ رضي الله عنه : (هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء ، وضم التاء ، وبينهما همزة ساكنة فَفِعْلٌ؛ يقال فيه : هِئْتُ أَهِيئُ هَيْئَةً كجِئْتُ أَجِيءُ جَيْئَةً [7]، أي : تهيأتُ لـك وَتَزَيَّنْـتُ

---

(1) جزء فيه قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم) ص ١١٤ .

(2) معاني القرآن : ٢ / ٤٠ .

(3) البحر المحيط : ٥ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وفتح القدير : ٣ / ١٦ .

(4) لسان العرب (هـي ت) ، وفي البحر المحيط : ٥ / ٢٩٤ : " وقال أبو زيد : هي عبرانية (هيتا لخ) أي : تعاله " .

(5) العين (هـ ي ت) ٤ / ٨١ .

(6) تحفة الأقران ص ٥٨ ، ٥٩ ، والدر المصون : ٤ / ١٦٧ .

(7) المحتسب : ١ / ٣٣٧ .

وتَحَسَّنْتُ . ويحتمل أن يكون (هِئْتُ) اسم فعل كـ (هَيْتَ) . قال الزجاج : " (هِئْتُ لَكَ) بمنزلة (هَيْتَ) والحجة فيها كالحجة فيها مفتوحة " [1] .

ووصف عِكْرِمَة هذه القراءة بأنها غير مرضية ؛ لأنها لم تسمع في العربية . قال أبو عمرو : اذهب فاستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن هل تعرف أحداً يقول هذا ؟ ! وقال الكسائي أيضاً : لم تُحْكَ (هِئْتُ) عن العرب [2] ، ولكن النحاس قال : وهي جيدة عند البصريين ؛ لأنه يقال : هَاءَ الرجلُ يَهَاءُ وَيهِيءُ ، فهَاءَ يَهِيءُ مثل : جَاءَ يَجِيءُ ، و(هِئْتُ) مثل (جِئْتُ) " [3] .

وأرَى ــ والله أعلم ــ أن قراءة الجمهور : (هَيْتَ) ، بفتح التاء والهاء ، الأفصح ، والأكثر ، فقد نُسِبَتْ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وصرحت مصادر اللغة بذلك ، وقرأ بها معظم القراء السبعة .

ومعنى الآية : خادَعَت امرأةُ العزيز سيدنا يوسف (عليه السلام) عن نفسه ، وغَلَّقَت الأبوابَ السبعة وقالت : أَسْرِع إليّ أو هَلُمَّ لَكَ . قال : معاذَ الله ، أي أعوذ بالله إنه ربي سيدي ومالكي ــ يريد قَطْفِير ــ أحْسَنَ مَثْوَاي . حين قال : أَكْرِمِي مَثْوَاه فما جزاؤه أن أخونَه في أهله إنه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسنَ بالسيئ [4] .

٣ ـ الباء الجارة مقابل (مِنْ) :

[مِنْ أمرِ الله ، وبأمرِ الله]

في قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٠٠ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٤٨٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٣٤٨٦ .

(٣) المصدر السابق ، والصفحة .

(٤) الكشاف : ٢ / ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾[1] .

قرأ الجمهور : (مِـنْ أَمْـرِ اللهِ) ، وقـرأ عَلِـيٌّ ــ رضـي الله عنـه ــ وجماعـةٌ : (بِأَمْرِ اللهِ)[2] .

قراءة الجمهور : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) تحتمل أربعة معان :

الأول : لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار ، فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النـهار ، يحفظون المستخفي بالليل والسارب بالنهار من الأشياء المضرة ؛ لطفاً منه به ، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبين قدر الله ، وهذا الحفظ بأمر الله وبإذنـه ، أي أن حفظهـم إيـاه متسبب عن أمر الله لهم بذلك ، فـ (مِنْ) ــ هنـا ــ بمعـنى البـاء ، وحـروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، كما تقول للرجل : أُجِيئـك مـن دعائـك إيـاي وبدعائك إياي[3] .

الثاني : للإنسان ملائكة يَعْتَقِبُونَ ، يأتي بعضهم بعقب بعض ، يحفظونه مما أمرهم الله ــ تعالى ــ به لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله ، كما تقول : يحفظونه عَنْ أَمْرِ اللهِ[4] .

الثالث : قال الفراء : " في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : له مُعَقِّبَاتٌ مِنْ أمر الله من بين يديـه ومن خلفه يحفظونه "[5] مما يخافه ، فـ (مِنْ) على هذا مرفوعة الموضع؛ لأنها صـفة للمرفوع الذي هو (مُعَقِّبَاتٌ) . وليس المعـنى أنهـم يحفظونـه مـن أمـر الله أن يَنْزِلَ به[6] .

---

(1) الرعد : الآية (١١) .

(2) المحتسب : ١ / ٣٥٥ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٦٤ .

(3) معاني القرآن ، للفراء : ٢ / ٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٦٢٦ ، ٣٦٢٧ .

(4) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٤٢ .

(5) معاني القرآن : ٢ / ٦٠ .

(6) المحتسب : ١ / ٣٥٥ .

الرابع : قيل : المعنى : للرسول (صلى الله عليه وسلم) ملائكة تحفظه من أعدائه [1] .

والقول الأول في عود الضمير في (لَهُ) على اسم الله ــ تعالى ــ هو الأولى الذي ينبغي أن يُحْمَل عليه ، وعليه يُفَسَّر .

أما قراءة عَلِي ــ رضي الله عنه ــ : (يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللهِ) فالمفعول ــ هنا ــ محذوف ، أي يحفظونه مما يحاذره بأمر الله . قال ابن جني : " وجاز أن يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وبإقداره فاعليها عليها ، فيكون هذا كقول القائل : هربت من قضاء الله بقضاء الله " [2] .

وهذه القراءة تلتقي مع قراءة الجمهور في المعنى الأول ، وإن كانت قراءة الجمهور أسهل طريقاً ، وأرسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عروقاً ، وذلك أنه ــ سبحانه ــ وكل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم [3] .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٦٢٨ -

(2) المحتسب : ١ / ٣٥٥ .

(3) المصدر السابق : ١ / ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

المبحث الخامس

بين الاسمية والحرفية

[مَنْ عِنْدَهُ ، ومِنْ عِنْدِه]

في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور: (وَمَنْ عِنْدَهُ) بفتح الميم والدال ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (مِنْ عِنْدِهِ) بكسر الميم والدال (٢) .

وعلى ذلك فقراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ تغاير قراءة الجمهور بنية ودلالة ، أما قراءة الجمهور فــ (مَنْ) اسم موصول معطوف على لفظ الجلالة في محل رفع ، والتقدير : كفى الله ، وكفى من عنده علم الكتاب شهيداً بيني وبينكم . ويجوز أن يكون (مَنْ) في موضع جر عطفاً على لفظ اسم الجلالة (الله) ، ويحتمل أن يكون خبراً ، والمبتدأ (عِلْمُ الكتابِ) (٣) .

وقد أورد العلماء في معنى هذه القراءة الأقوال الآتية :

الأول: أن المراد بــ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾علماء اليهود والنصارى.

الثاني : أنه عبد الله بن سلام .

الثالث : أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق ، منهم : عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي .

---

(١) الرعد : الآية (٤٣) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٧ ، والمحتسب : ١ / ٣٥٨ ، والمحرر الوجيز : ١٠ / ٥٥ ، والبحر المحيط : ٥ / ٣٩١ ، والدر المصون : ٧ / ٦٣ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ٢ / ٦٥ .

الرابع : جبريل (عليه السلام) .

الخامس : عَليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

السادس : ابن يامين الإسرائيلي .

السابع : أنه الله ـــ عز وجل ـــ [1] .

أما قراءة عَليّ ـــ رضي الله عنه ـــ : (مِنْ عِنْدِهِ) فـ(مِنْ) حرف جر، والضمير في (عِنْدِهِ) عائد على الله ـــ تعالى ـــ والمعنى: مِن فضله ولطفه عِلْم الكتاب [2] ويكون (مِنْ عِنْدِه) خبر مقدم . و(عِلْمُ الكتاب) مبتدأ مؤخر [3] .

وإذا كانت قراءة الجمهور تحتمل كل هذه المعاني المتقدمة فإن قراءة علي ـــ رضي الله عنه ـــ تحتمل أحد هذه المعاني ، وبذلك تكون قد بينت المراد من قراءة الجمهور . قال الزجاج : " ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (من) يعود على الله ـــ عز وجل ـــ .. والذي يدل على أنه راجع إلى الله قراءة من قرأ ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾، لأن الأشبه ـــ والله أعلم ـــ أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره ، وذلك التفسير جائز ؛ لأن البراهين إذا قامت ـــ مع اعتراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن ـــ فهو أمر مؤكد " [4] .

وقال الزمخشري : " ويجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ـــ بفتح الميم والدال ـــ هو الله ـــ عز وجل ـــ والمعنى : كفى بالذي يستحق العبادة ، وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيد بيني وبينكم ، وتعضده قراءة من قرأ : ﴿ ومِنْ عِندِه عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾

(١) زاد المسير : ٤ / ٣٤١ ، ٣٤٢٢ ، وينظر : معاني القرآن ، للنحاس : ٣ / ٥٠٧ ، وتفسير أبي السعود : ٥ / ٢٩ .

(٢) المحتسب : ١ / ٣٥٨ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن : ٢ / ٦٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٥١١، ١٥٢ .

على (مِنْ) الجارة ، أي : ومِنْ لَدُنْهُ عِلْمُ الكتابِ؛ لأنه علم من علمه من لُطْفِه وفَضْله " [1] .

وهذه الآية رد على هؤلاء الكفار الذين أنكروا رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) .

ومعنى الآية على هاتين القراءتين : يقول الكافرون : ما أرسلك الله ، فقل لهم يا محمد : حسبي الله هو الشاهد عليّ وعليكم ــ شاهد عليّ فيما بلغت عنه من الرسالة ، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان ــ ومن عنده علم اللوح المحفوظ ، وهو الله ــ سبحانه وتعالى ــ فإنه قد شَحَنَ كتابه بالدعوة إلى عبادته ، وأيدني بأنواع التأييد ، فهو الذي يختص بعلم ما في اللوح من الأشياء الكائنة الثابتة التي من جملتها رسالتي [2] .

[ثُمَّ ، وثَمَّ]

في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ [3]. قرأ الجمهور : (ثُمَّ) بضم الثاء ، وقرأ عَلِيٌّ ــ رضي الله عنه ــ وجماعةٌ : (ثَمَّ) بفتحها [4] .

قراءة الجمهور : (ثُمَّ) بضم الثاء ، حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور : التشريك في الحكم ، والترتيب ، والمهلة [5] .

والمعنى : إذا ورد الخلائق كلهم النار ، بمعنى دخلوها ، خلص الله المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم ، فـ (ثُمَّ) ــ هنا ــ تدل على نجاء بعد الدخول ، لأنه لم يقل ونُدْخِلُ الظالمين ، وكأن (نَذَرَ) و(نَتْرُك) للشيء الذي قد حصل في مكانه .

هذا ، على أن الورود هو الدخول . وقال ابن مسعود والحسن وقَتَادَة : إن ورودها ليس دخولها .

---

(1) الكشاف : ٢ / ٣٦٤ .

(2) تفسير ابن كثير: ٢ /٥٢١ ، والكشاف : ٢ / ٣٦٤ ، وتفسير أبي السعود : ٥ / ٢٩ .

(3) مريم : الآية (٧٢) .

(4) البحر المحيط : ٦ / ١٩٧ ، ١٩٨ .

(5) مغني اللبيب ص ١٥٨ .

قال الزجاج : وحجتهم في ذلك جيدة جداً من جهات : إحداهن أن العرب تقول : وَرَدْتُ ماءَ كذا ولم تَدْخُلْهُ ، وقال الله — عز وجل — : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ (1) وتقول إذا بلغتَ البلدَ ولم تَدْخُلْهُ : قد وَرَدْتُ بَلَدَ كَذَا وكَذَا . والحجة القاطعة في هذا القول ما قاله الله — عز وجل — : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ (2) .. فهذا — والله أعلم — دليل أن أهل الحسنى لا يدخلون النار، وفي اللغة : وَرَدْتُ بَلَدَ كَذَا وكذا، إذا أشرفت عليه ، دخلته أو لم تدخله ، فالورود — هاهنا — بالإجماع ليس بدخول " (3) .

أما قراءة عَلِيّ — رضي الله عنه — : (ثَمَّ) بفتح الثاء ، فاسم يشار به إلى المكان البعيد . ومعناه : هُنَاكَ ، نحو: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾ (4) وهو ظرف لا يتصرف .

والمعنى : يوم القيامة إذا مر الناس على الصراط ، وهو جسر ممدود على جهنم ، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم خلص الله المؤمنين المتقين منها . فالورود على هذا هو الجواز على الصراط ، وليس الدخول ؛ لأن الإنسان قد يرد الشيء ولم يدخله ، كما سبق (5) .

وعلى هذا فقد أفادت قراءة عَلِيٍّ — رضي الله عنه — أن المراد بالورود في هذه الآية المرور على النار ، وليس الدخول فيها .

---

(1) القصص : من الآية (23) .

(2) الأنبياء : الآيتان (101) ، (102) .

(3) معاني القرآن وإعرابه : 3 / 341 ، 342 .

(4) الشعراء : الآية (64) .

(5) معاني القرآن وإعرابه : 3 / 341 ، والجامع لأحكام القرآن : 6 / 4308 ، والبحر المحيط : 6 / 197 .

[مَنْ بَعَثَنَا ، ومِنْ بَعْثِنَا]

في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (١) .

قرأ الجمهور : (مَنْ بَعَثَنَا) بفتح الميم والثاء ، وقرأ عَلِيٌّ ـ رضي الله عنه ـ : (مِنْ بَعْثِنَا) بكسر الميم والثاء ، وسكون العين (٢) .

البَعْثُ : الإحياء من الله للموتى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ (٣) ، أي أحييناكم . وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث ، وبعث الله الخلق يبعثهم بعثاً : نشرهم . من ذلك (٤) .

قراءة الجمهور : (مَنْ بَعَثَنَا) على أن (مَنْ) اسم استفهام ، و(بَعَثَ) فعل ماض . والمعنى : قال المشركون يا ويلنا من أَهَبَّنَا ، أي أَنْبَهَنَا وأيقظنا ، وهي قراءة عبد الله بن مسعود ، من قبورنا التي كنا نعتقد في الدنيا أننا لا نبعث منها . فالمرقد استعارة عن مضجع الميت ، واحتمل أن يكون مصدراً ، أي من رقادنا ، وهو أجود ، أو يكون مكانا فيكون المفرد فيه يراد به الجمع ، أي : من مراقدنا (٥) .

أما قراءة عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ : (مِنْ بُعْثِنَا) فـ (مِنْ) حرف جر ، و(بَعْثِنَا) مصدر مجرور به ، وتتعلق (مِنْ) بالويل ، كقولك : يَا تَأَلُّمِي مِنْكَ ، أو تكون حالاً من (وَيْلَنَا) فتتعلق بمحذوف ، حتى كأنه قال : يا وَيْلَنَا كائناً مِنْ بَعْثِنَا (٦) .

(١) يس : الآية (٥٢) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١٢٥، والمحتسب : ٢ / ٢١٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٥٦٧٨ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٢٥ ، وفتح القدير : ٤ / ٣٧٤ .

(٣) البقرة : من الآية (٥٦) .

(٤) لسان العرب : ١ / ٣٠٧ (ب ع ث) .

(٥) البحر المحيط : ٧ / ٣٢٥ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ٥٧٤ .

(٦) ينظر : المحتسب : ٢ / ٢١٣ ، وإعراب القراءات الشواذ : ٢ / ٣٦٦ .

قال ابن جني : " وجاز أن يكون حالاً منه ، كما يجوز أن يكون خبراً عنه ، كقول الأعشى :

وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُل [١]

وذلك أن الحال ضرب من الخبر .

وأما (مِنْ) في قوله تعالى : ﴿ مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ فإنها متعلقة بنفس البعث ، كقولك : سَرَّنِي بعثك من بلدك إلي " [٢] .

ومعنى الآية أنه عند النفخة الثالثة ، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور يقول الكافرون : يا وَيْلَنَا من بَعَثَنَا من قبورنا التي كنا نعتقد في الدار الدنيا أننا لا نُبْعَث منها ، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ . [٣]

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره : قالت هريرة لما جئت زائرها . وهو في ديوانه ص ٥٧ .

(٢) المحتسب : ٢ / ٢١٣ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٥٧٤ .

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبكرمه يعفو ويغفر الذلل والهفوات •

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأفصح الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين •

وبعـد ،،،

فبعون الله وتوفيقه قد انتهيت من دراستي لقراءة علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ من الناحية اللغوية ، وقد توصلت فيها إلى نتائج ، من أهمها :

١ ــ أن علياً ــ رضي الله عنه ــ كان أحد عناصر الإجماع على المصحف الإمـام ، وهـو مصحف عثمان الذي أرسل إلى الأمصار ، وأنه ــ كرم الله وجهه ــ كان حريصاً كـل الحرص على سلامة النص القرآني على ما هو عليه في رسم عثمان ، رضي الله عنه •

٢ ــ أن الإمام علياً ــ رضي الله عنه ــ قارئٌ ذو نظر ورأي في البيـان القـرآني ، يُضَـمِّنُ قراءاته بعض آرائه ، شأنه شأن بقية صاحبة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ممـن أثرت عنهم هذه القراءات •

وقد أبانت الدراسة عن سعة علمه ، وذلك من خلال حرصه على الرواية الشاذة الـتي خالف فيها العامة ، ودقته فيها مع مسايرتها لقواعد اللغة الصحيحة والمعمول بها •

٣ ــ بلغ عدد قراءات الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ التي قمت بجمعها ودراستها دراسـة لغوية مائة وثمان وأربعين قراءة ، تبين أن منها مائة وثلاثين قراءة من القراءات التي تعرف بالشواذ ، وثماني عشرة قراءة متواترة •

وعلى هذا فقراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ في جملتها ــ تعد الآن في الشواذ ، لانقطاع سَنَدها ، ولا يعني هذا الانقطاع علة في القراءة نفسها ، وإنما العلة في فَقْد من يحملـها ويؤديها •

٤ ــ اتضح من خلال الدراسة أن قراءة عَلِيّ ــ كَرَّم الله وجهه ــ تتضمن قدراً من الظواهر الخاصة بلسان تميم وما جاورها من قبائل البادية ، فحيث يكون الكسر في قراءة الجمهور يكون الضم في قراءة علي القرشي ، وحيث تكون قراءة الجمهور : (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) بالحاء تكون قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ (وَطَلْعٍ) بالعين بدل الحاء ، وفي ذلك عدول من الصوت المهموس إلى الصوت المجهور ، وتلك ظاهرة بدوية •

ومن هذه الظواهر ــ أيضاً ــ تسكين عين الكلمة في قراءة علي مقابل تحريكها عند جمهور القراء •

ومنها ما ذكره الخليل في كتاب العين (٥ / ١٧١) أن علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ كان يقرأ : (وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فيُشْبِعُ رفع النون إشباعاً وكان قريشاً قلباً ، أي محضاً •

وربما كانت به رغبةُ أن ينتهج نهجاً خاصاً في نطقه ، يميزه عما جرت عليه البيئة القرشية ولم يكن ذلك بدعاً ، ما دام يستخدم لهجة لا تغض من قراءته ، بل هي بعكس ذلك تعلي من شأنها •

وقد يكون منهجه في ذلك تعليمياً ، شأنه شأن الجيل الأول ، الذي كان يؤدي الحروف حيناً بلسانه ، وحيناً بلسان غيره •

٥ ــ قد يكون إيثاره لقراءة علي أخرى مرجعه إلى أن القراءة المختارة تبين المراد من قراءة الجمهور ، أو توسع معناها ، أو تزيل إشكالاً فيها ، وقد يكون بالقراءة المختارة دلالة تتعلق بأمر يحتاج إلى التوكيد والمبالغة ، وهو غير متحقق في قراءة الجمهور •

٦ ــ اشتملت قراءة عَلِيّ ــ رضي الله عنه ــ على كثير من الظواهر اللغوية (صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، ودلالية) مما يدل على سعة ثقافته وتناوله لمختلق جوانب المعرفة ، فكان بحق من فصحاء العرب وعلماء اللغة الذين لا يُشَقُّ غُبَارُهُم •

٧ ــ أبانت الدراسة عن كثير من الصيغ والأبنية التي تضمنتها قراءة عَلِي ــ رضي الله عنه ــ والسبب في ذلك هو اختلاف النطق بين القبائل ، مع الاتفاق في المعنى •

٨ ـــ أظهرت الدراسة كثيراً من صور الاختلاف في الاشتقاق المتعلق ببنية الكلمة ، مع الاتحاد في الدلالة أو الاختلاف فيها ، ولعل ذلك راجع إلى تعدد لغات العرب واختلافها ، وهو بدوره وسيلة من وسائل زيادة الثروة اللغوية •

٩ ـــ اتضح من خلال الدراسة أن هناك تلاحماً بين المستويات اللغوية الثلاثة المعاصرة (الصوتي والصرفي ، والنحوي) والمستوى الرابع وهو الدلالي ، وأنه لا يقل أهمية عنها ، ولذا جاء الربط بينه وبينها في كل مستوى من المستويات الثلاثة الأول حتى لا يتكرر الحديث عنه •

١٠ ـــ بعد العرض المستفيض لما رُوِيَ عن علي ـــ رضي الله عنه ـــ من قراءات ، وتصنيفها ضمن أنظمة اللغة المختلفة ، تبين أن بعض هذه القراءات ينتسب إلى الاختلاف اللهجي ، وبعضها الآخر يعزي إلى الزيادة البيانية •

هذا ، وإني لأرجو الله ـــ تبارك اسمه ، وعلا ذكره ـــ أن يجعل في هذا العمل خدمة لكتابه وإسهاماً في تنمية الدراسات اللغوية القرآنية في جانب من جوانبها المختلفة ، وأسأله من فضله الواسع أن يجعل فيه علماً ينتفع به •

﴿ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

وصلي الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي

وعلى آله وصحبه في كل لحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

دكتور

محمد علام محمد عبد الرحمن

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني ، لأبي شامة المقدسي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٩ هـ .

٢ ـ أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي ، للدكتور عبد الغفار حامد هلال . الطبعة الأولى . طبع دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة ١٩٧٩ م .

٣ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، للبنا الدمياطي ـ تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل ـ الطبعة الأولى . عالم الكتب ـ بيروت ١٩٨٧ م .

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٥م .

٥ ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، للدكتور عبد الصبور شاهين ـ الطبعة الأولى نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٧م .

٦ ـ أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري ـ تحقيق علي فاعور ـ الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٨ م .

٧ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ـ تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس ـ طبعة دار المدني ـ القاهرة ١٩٨٩ م .

٨ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) ـ طبعة إحياء دار التراث العربي ـ بيروت . من دون تاريخ .

٩ ـ أساس البلاغة ، للزمخشري ـ تحقيق عبد الرحيم محمود ـ مطبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٩٨٢ م .

١٠ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير ـ تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرين ـ طبعة الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠ م .

١١ ــ أسس علم اللغة ، لماريو باي ــ ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر ــ الطبعة الثانية • نشر عالم الكتب ــ القاهرة ١٩٨٣م •

١٢ ــ اسم الفعل في كلام العرب والقرآن الكريم ، للدكتور السيد محمد عبد المقصود ــ الطبعة الأولى • مطبعة الأمانة ــ القاهرة ١٩٨٦م•

١٣ ــ إصلاح المنطق ، لابن السكيت ــ تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ــ دار المعارف بمصر ١٩٤٩م •

١٤ ــ الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ــ الطبعة الخامسة • نشر مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ١٩٧٩ م •

١٥ ــ الأصوات اللغوية ، للدكتور محمد علي الخولي ــ نشر دار الفلاح • الأردن ١٩٩٠م •

١٦ ــ أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، للدكتور كريم زكي حسام الدين ــ الطبعة الثالثة • النهضة المصرية ــ القاهرة ٢٠٠١ م •

١٧ ــ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه ــ مكتبة المتنبي• القاهرة ١٩٤١م •

١٨ ــ إعراب القراءات الشواذ ، لأبي البقاء العكبري ــ تحقيق محمد السيد أحمد عزوز ــ الطبعة الأولى • عالم الكتب ــ بيروت ١٩٩٦م •

١٩ ــ إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس ــ تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ــ الطبعة الثانية • النهضة العربية ــ بيروت ١٩٨٥م•

٢٠ ــ الألسنية العربية ، لريمون طحان ــ مطبعة دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٨٠ م •

٢١ ــ إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، لأبي البقاء العكبري ــ الطبعة الأولى • طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٧٩ م •

٢٢ ــ البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ،

الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٣ م .

٢٣ ـ البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الثانية مطبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٩٧٢م.

٢٤ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الثانية . مطبعة دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٩ م .

٢٥ ـ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ، لابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ـ مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م.

٢٦ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ـ الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية بجمالية مصر ١٣٠٦ هـ .

٢٧ ـ تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الثانية. دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧١ م .

٢٨ ـ تاريخ الأدب العربي ، لأحمد حسن الزيات ـ الطبعة الخامسة والعشرون . مطبعة الرسالة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة .

٢٩ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٠ م وما بعدها .

٣٠ ـ تاريخ القرآن ، للدكتور عبد الصبور شاهين ـ القاهرة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

٣١ ـ تاريخ اللغات السامية ، للدكتور إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) ـ الطبعة الأولى . دار القلم ـ بيروت ١٩٨٠ م .

٣٢ ـ التبصرة في القراءات ، لمكي بن أبي طالب ـ تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ـ الطبعة الأولى ـ الكويت ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٣٣ ـ التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء العكبري ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٦ م .

٣٤ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ، لابن الجزري ـ تحقيق عبد الفتاح القاضي ومحمد الصادق قمحاوي ـ نشر دار الوعي بحلب ـ الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ٠

٣٥ ـ تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن ، للرعيني (ت ٧٧٩ هـ) ـ تحقيق علي حسين البواب ـ الطبعة الأولى ٠ دار المنارة ـ جدة ١٩٨٧ م ٠

٣٦ ـ التخريجات النحوية والصرفية في قراءة الأعمش (ت ١٤٨ هـ) ، للدكتور سمير عبد الجواد ـ طبعة الحسين الإسلامية ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م ٠

٣٧ ـ تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبي ـ طبعة حيدر آباد ـ الهند ١٩٦٤ م ٠

٣٨ ـ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، لأبي حيان الأندلسي ـ تحقيق الدكتور حسن هنداوي ـ الطبعة الأولى ٠ دار القلم ـ دمشق ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م ٠

٣٩ ـ تصحيح الفصيح وشرحه ، لابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور محمد بدوي المختون ، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب ـ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م ٠

٤٠ ـ التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري ـ مطبعة إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٣٢٥ هـ ٠

٤١ ـ تصريف الأسماء ، للشيخ محمد الطنطاوي ـ طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ الطبعة السادسة ١٤٠٨ هـ ٠

٤٢ ـ التطور النحوي للغة العربية ، لبرجشتراسر ـ ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ـ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ٠

٤٣ ـ التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ـ طباعة ونشر دار الشئون الثقافية العامة ـ بغداد ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ٠

٤٤ ـ تفسير البيضاوي ـ طبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة ١٩٦٦ م ٠

٤٥ ـ تفسير الجلالين (المحلى ، والسيوطي) ـ طبع دار التراث ـ القاهرة .

٤٦ ـ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة .

٤٧ ـ التفسير الكبير(المسمى بمفاتيح الغيب)، للفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) ـ الطبعة الأولى . دار الغد ـ القاهرة ١٩٩١ م .

٤٨ ـ تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ الطبعة الثانية . نشر دار المعرفة ـ بيروت ١٩٧٥ م .

٤٩ ـ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى . دار المعارف النظامية ـ الهند ١٣٢٥ هـ .

٥٠ ـ تهذيب اللغة ، للأزهري ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون وآخرين ـ طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م .

٥١ ـ جامع البيان عن تأويل مشكل القرآن ، للطبري ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .

٥٢ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (ت ٦٧١ هـ) ـ الطبعة الأولى . نشر دار الغد العربي ـ القاهرة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م .

٥٣ ـ جزء فيه قراءات النبي (صلى الله عليه وسلم) ، لأبي عمر حفص ابن عمرالدوري (ت ٢٤٦ هـ) ـ تحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين ـ الطبعة الأولى . نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

٥٤ ـ جمهرة اللغة ، لابن دريد (٣٢١ هـ) ـ طبع حيدر آباد بالهند ١٣٤٤ هـ .

٥٥ ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية القاهرة (من دون تاريخ) .

٥٦ ـ الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ـ تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ـ الطبعة الخامسة . مطبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٩٠ م .

٥٧ ـ حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق سعيد الأفغاني ـ الطبعة الخامسة •مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م •

٥٨ ـ الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ـ تحقيق بدر الدين قهوجي ـ طبعة دار المأمون للتراث •

٥٩ ـ الحذف والتعويض في اللهجات العربية من خلال معجم الصحاح للجوهري ، للدكتور سلمان السحيمي ـ الطبعة الأولى ـ طبع مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ١٤١٥هـ •

٦٠ ـ حياة علي بن أبي طالب ، للشيخ الشنقيطي •

٦١ ـ حياة اللغة العربية ، للأستاذ حفني ناصف ـ الطبعة الأولى • نشر مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م •

٦٢ ـ خزانة الأدب ، للبغدادي ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٩ م •

٦٣ ـ الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ الطبعة الثانية • دار الهدى ـ بيروت •

٦٤ ـ دراسات في فقه اللغة ، للدكتور صبحي الصالح ـ الطبعة السابعة • دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٨ م •

٦٥ ـ دراسة الصوت اللغوي ، للدكتور أحمد مختار عمر ـ الطبعة الثالثة • عالم الكتب ـ القاهرة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م •

٦٦ ـ الدرر المبثثة في الغرر المثلثة ، للفيروز أبادي ـ تحقيق وشرح الطاهر أحمد الزاوي ـ الطبعة الأولى • الدار العربية للكتاب ـ طرابلس • ليبيا ١٩٨٧ م •

٦٧ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ـ تحقيق أحمد محمد الخراط ـ الطبعة الأولى • مطبعة دار القلم ـ دمشق ١٩٨٦ م •

٦٨ ــ دروس في التصريف ، للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ــ طبعة المكتبة العصرية ــ بيروت ١٤١١ هـ .

٦٩ ــ دلالة اللفظ أطوارها وأنواعها ، للدكتور عيد محمد الطيب ــ مطبعة الأمانة ــ القاهرة ١٩٨٣ م .

٧٠ ــ ديوان الأخطل ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ ببيروت ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .

٧١ ــ ديوان الأعشى الكبير ، شرح محمد محمد حسين ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ١٩٧٤ م .

٧٢ ــ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ الطبعة الرابعة . دار المعارف ــ القاهرة ١٩٨٤ م .

٧٣ ــ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧١ م .

٧٤ ــ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ــ الطبعة الثالثة . دار الأندلس ١٩٨٣ م .

٧٥ ــ ديوان الحطيئة ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ــ القاهرة ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٨م .

٧٦ ــ ديون الخنساء ــ طبع دار صادر ــ بيروت ١٩٧٣ م .

٧٧ ــ ديوان الراعي النميري ، جمعه وحققه رانبهرت فايبرت ــ بيروت ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨٠ م .

٧٨ ــ ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق علي النجدي ــ نشر مكتبة الأنجلو المصرية .

٧٩ ــ ديوان طفيل الغنوي ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ــ بيروت ١٩٦٨ م .

٨٠ ـ ديوان علقمة بن عبدة (شرح الأعلم الشنتمري) ـ تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ـ الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، مطبعة الأصيل ـ حلب ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٨١ ـ ديوان الفرزدق (همام بن غالب) ، تحقيق عبد الله الصاوي ـ القاهرة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م .

٨٢ ـ ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ الكويت ١٩٦٢ م .

٨٣ ـ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م .

٨٤ ـ ديوان الهذليين ـ طبع الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٥٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

٨٥ ـ رسالة في اللامات ، لأبي جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) ـ تحقيق طه محسن (ضمن نصوص في اللغة) ـ الطبعة الأولى ـ بغداد ١٩٨٧ م .

٨٦ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي ـ طبعة دار الفكر العربي ـ بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٨٧ ـ زاد المسير في تفسير الكتاب العزيز، لابن الجوزي ـ الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي ـ دمشق .

٨٨ ـ السبعة في القراءات ، لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م .

٨٩ ـ سر صناعة الإعراب ، لابن جني ـ تحقيق الدكتور حسن هنداوي ـ الطبعة الأولى ، دار القلم ـ دمشق ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٩٠ ـ سنن النسائي (٣٠٣ هـ) ـ الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٤ م .

٩١ ــ شذا العرف في فن الصرف ، للشيخ أحمد الحملاوي ــ طبع دار القلم ــ بيروت .

٩٢ ــ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ــ المطبعة العصرية ــ بيروت ١٤١١ هـ ــ ١٩٩٠م.

٩٣ ــ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ــ الطبعة الثانية . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٥٨ هـ .

٩٤ ــ شرح شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ــ تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٩٥ م .

٩٥ ــ شرح شواهد شافية ابن الحاجب ، لعبد القادر البغدادي ــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين ــ القاهرة ١٩٦٥ م .

٩٦ ــ شرح المفصل ، لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ــ طبع مكتبة المتنبي ــ القاهرة .

٩٧ ــ الشوارد في اللغة ، للصغاني (ت ٦٥٠ هـ) ــ تحقيق مصطفى حجازي ، ومراجعة الدكتور محمد مهدي علام ــ الطبعة الأولى . مجمع اللغة العربية ــ القاهرة ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .

٩٨ ــ شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك ــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ الطبعة الثالثة . عالم الكتب ــ بيروت ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م .

٩٩ ــ الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ــ تحقيق السيد أحمد صقر ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٩٧٧ م .

١٠٠ــ صحيح البخاري ، مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

١٠١ــ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م .

١٠٢ــ ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، لمحمد عبد العزيز النجار ــ الطبعة الأولى . نشر مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة ١٤١٢ هـ .

١٠٣ـ طبقات الحفاظ ، للسيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ـ الطبعة الأولى • مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٧٣ م •

١٠٤ـ طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، لمحمد الصادق قمحاوي ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة النصر •

١٠٥ـ ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، للدكتور أحمد عفيفي ـ الطبعة الأولى• الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٦ م •

١٠٦ـ الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ، للدكتور صاحب أبو جناح ـ طبعة دار الفكر ١٩٩٩ م •

١٠٧ـ العبر في خبر من غبر ، للذهبي ـ تحقيق الدكتور صلاح المنجد ـ الكويت ١٩٦٣ م •

١٠٨ـ عبقرية الإمام علي ، للأستاذ عباس محمود العقاد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب • مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ م •

١٠٩ـ علم الأصوات ، للدكتور كمال بشر ـ دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة ٢٠٠٠م •

١١٠ـ علم اللغة أسسه ومناهجه ، للدكتور عبد الله ربيع محمود ـ طبعة سنة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م •

١١١ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، للدكتور محمود السعران ـ طبعة دار الفكر العربي ـ القاهرة •

١١٢ـ العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ـ تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ـ الطبعة الأولى • مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م •

١١٣ـ غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ـ تحقيق ونشر ج• برجشتراسر ـ الطبعة الأولى • دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م •

١١٤ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني ـ الطبعة الثالثة

ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م .

١١٥ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة (من دون تاريخ) .

١١٦ـ فقه اللغة في الكتب العربية ، للدكتور عبده الراجحي ـ طبعة دار المعرفة ١٩٨٨ م .

١١٧ـ فلسفة ابن جني اللغوية ، للدكتور حسن سيد فرغلي ـ طبعة دار الوفاق الحديثة بأسيوط ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م .

١١٨ـ في أصول الكلمات ، للدكتور محمد يعقوب التركستاني ـ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م .

١١٩ـ في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ـ الطبعة الرابعة . نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣ م .

١٢٠ـ في اللهجات العربية القديمة ، للدكتور إبراهيم السامرائي ـ الطبعة الأولى . دار الحداثة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٩٤م .

١٢١ـ القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ـ الطبعة الثانية . مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

١٢٢ـ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، للشيخ عبد الفتاح القاضي ـ طبع عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .

١٢٣ـ القراءات القرآنية في كتاب " التبيان في إعراب القرآن ، للكعبري وصلتها باللهجات العربية " (رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بالقاهرة) للدكتور علي طه ياسين عبد الحميد .

١٢٤ـ القراءات القرآنية وملاحظات على منهج الدرس ، للدكتور عبد الله توفيق الصباغ ـ الطبعة الأولى . دار القلم ـ دبي ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م .

١٢٥ـ القراءات المثلثة وصلتها باللهجات العربية ، للدكتور سيد أحمد علي الصاوي ـ الطبعة

الأولى ٠ مطبعة العدوي ٢٠٠١ م ٠

١٢٦ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، للدكتور محمد عمر بازامول ـ طبعة دار الهجرة ـ الرياض ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م ٠

١٢٧ـ قراءة أبي السمال العدوي في ضوء الدرس اللغوي المعاصر ، للدكتور حسن سيد فرغلي ـ طبعة دار الوفاق الحديثة بأسيوط ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م ٠

١٢٨ـ قراءة سعيد بن جبير دراسة لغوية ، للدكتور عبد الهادي أحمد محمد السلمون ـ الطبعة الأولى ٠ مطبعة الجريسي ـ القاهرة ٢٠٠١ م ٠

١٢٩ـ قراءة شيبة بن نِصَاح دراسة في ضوء علم اللغة المعاصر ، للدكتور سيد أحمد علي الصاوي ـ الطبعة الأولى ٠ مطبعة الأمل بأسيوط ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م ٠

١٣٠ـ قراءة عاصم الجحدري دراسة لغوية ، للباحث عباس شمس الدين إبراهيم (رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م ٠

١٣١ـ قراءة عبد الله بن مسعود : مكانتها ، مصادرها ، إحصاؤها ، للدكتور محمد أحمد خاطر ـ طبعة دار الاعتصام ـ القاهرة (من دون تاريخ) ٠

١٣٢ـ قراءة يحي بن يعمر في ضوء علم اللغة المعاصر ، للدكتور عبد الهادي أحمد محمد السلمون ـ الطبعة الأولى ٠ مطبعة شهاب بأسيوط ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م ٠

١٣٣ـ الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة دار نهضة مصر ـ القاهرة ٠

١٣٤ـ الكتاب ، لسيبويه (ت ١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ الطبعة الثانية ٠ نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٧٧ م ٠

١٣٥ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) الطبعة الثالثة ٠ دار الريان للتراث ـ القاهرة ١٩٨٧ م ٠

١٣٦ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ـ تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ـ الطبعة الخامسة ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

١٣٧ـ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، للدكتور عبد العزيز مطر ـ نشر دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٧٦م .

١٣٨ـ لسان العرب ، لابن منظور (ت ٧١١هـ) ـ تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ـ طبعة دار المعارف بمصر (من دون تاريخ) .

١٣٩ـ اللغات في القرآن ، رواية ابن سحنون المقرئ المصري بإسناده إلى ابن عباس ـ تحقيق الدكتور توفيق محمد شاهين ـ الطبعة الأولى . نشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .

١٤٠ـ لغة تميم دراسة تاريخية وصفية ، للدكتور ضاحي عبد الباقي ـ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

١٤١ـ اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان ـ الطبعة الثانية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ م .

١٤٢ـ لغة قريش ، لمختار سيدي الغوث ـ الطبعة الأولى . نشر النادي الأدبي بالرياض ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م .

١٤٣ـ اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم نجا ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

١٤٤ـ اللهجات العربية في التراث ، للدكتور أحمد علم الدين الجندي ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا . تونس ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

١٤٥ـ اللهجات العربية في شرح شعلة علي الشاطبية ، للدكتور سيد أحمد علي الصاوي ـ الطبعة الأولى . مطبعة العدوي بأسيوط ١٩٩٧ م .

١٤٦ــ اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، للدكتور عبده الراجحي ــ طبع دار المعرفة الجامعية ــ الإسكندرية ١٩٩٥ م ٠

١٤٧ــ اللهجات العربية في كتاب سيبويه ، للدكتورة صالحة راشد غنيم ــ الطبعة الأولى٠ دار المدني ــ جدة ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م ٠

١٤٨ــ اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، للدكتور عبد الغفار حامد هلال ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة الجبلاوي ــ القاهرة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م٠

١٤٩ــ لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ، للدكتور عيد محمد الطيب ــ المطبعة الإسلامية الحديثة ــ القاهرة ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م ٠

١٥٠ــ لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط دراسة لغوية ، للدكتور عبد العزيز مطر ــ طبعة دار الكتاب العربي ــ القاهرة ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٧م٠

١٥١ــ لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، لغالب فاضل المطلبي ــ منشورات وزارة الثقافة والفنون بالجمهورية العراقية ١٩٧٨ م ٠

١٥٢ــ لهجة ربيعة دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث ، للدكتور عبد الهادي أحمد محمد السلمون ــ مطبعة العدوي بأسيوط ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧ م ٠

١٥٣ــ ليس في كلام العرب ، لابن خالويه ــ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ــ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ٠

١٥٤ــ المبدع في التصريف ، لأبي حيان الأندلسي ــ تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد طلب ــ الطبعة الأولى ٠ مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م ٠

١٥٥ــ المبسوط في القراءات العشر ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصفهاني ــ تحقيق سبيع حمزة حاكمي ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٦م٠

١٥٦ــ المثلث ، لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) ــ تحقيق صلاح مهدي علي الفرطوسي ــ دار الرشيد ٠ بغداد ١٩٨٢ م ٠

١٥٧ـ مجاز القرآن ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ـ عارضه بأصوله وعلق عليه فؤاد سـزكين ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة (من دون تاريخ) .

١٥٨ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جـني ـ تحقيـق علـي النجدي ناصف وآخرين ـ الطبعة الثانية . دار سزكين للطباعة والنشر ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

١٥٩ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ـ تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٣ م .

١٦٠ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، لابن سيده الأندلسي ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ القاهرة ١٩٥٨ م ، وما بعدها .

١٦١ـ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويه ـ عني بنشره ج. برجشتراسر ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة .

١٦٢ـ المخصص ، لابن سيده الأندلسي ـ المطبعة الكـبرى الأميريـة بـولاق ـ طبعـة ١٢٣١هـ .

١٦٣ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، للدكتور رمضان عبد التواب ـ الطبعة الثانية ، نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م .

١٦٤ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق محمد أحمد جاد المـولى وآخرين ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .

١٦٥ـ المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله الحاكم ـ مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب

١٦٦ـ مستويات التحليل اللغوي ، للدكتور أبي السعود الفخراني ـ طبع الشروق الـراهبين ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م .

١٦٧ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ دار الفكر العربي . مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ .

١٦٨ـ مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ـ الطبعة الثانية • مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م •

١٦٩ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ـ المكتبة العلمية ـ بيروت •

١٧٠ـ معاني القرآن ، للأخفش (ت ٢١٥هـ) ـ تحقيق فائز فارس ـ الطبعة الثانية ـ الكويت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م •

١٧١ـ معاني القرآن ، للفراء (ت ٢٠٧ هـ) ـ تحقيق محمد علي النجار وآخرين ـ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٧٢ م ، ١٩٨٠ م •

١٧٢ـ معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج (ت ٣١١هـ) ـ تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ـ الطبعة الأولى • دار الحديث ـ القاهرة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ م •

١٧٣ـ معجم لغات القبائل والأمصار ، للدكتور جميل سعيد والدكتور داود سلُّوم ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م•

١٧٤ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م•

١٧٥ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ـ تحقيق بشار عواد معروف وآخرين ـ الطبعة الأولى • مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٤ هـ •

١٧٦ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين يوسف بن أحمد بن هشام (ت ٧٦١هـ) ـ تحقيق الدكتور مازن مبارك ومحمد علي حمد الله ـ الطبعة الأولى • دار الفكر ـ بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م •

١٧٧ـ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت •

١٧٨ــ المفضليات ، للمفضل الضبي (ت ١٧٨هــ تقريباً) ــ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ــ الطبعة السابعة ، دار المعارف مصر ١٩٨٣ م .

١٧٩ــ مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هــ) ــ تحقيق عبد السلام محمد هارون ــ الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٨٩ هــ ــ ١٩٦٩م .

١٨٠ــ المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، للدكتور محمد سالم محيسن ــ الطبعة الأولى ، المكتبة الأزهرية للتراث ــ القاهرة ١٣٨٩ هــ ــ ١٩٧٨ م .

١٨١ــ المقتضب ، صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هــ) ــ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ــ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ١٣٩٩هــ .

١٨٢ــ مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ــ طبع دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤١٦ هــ ــ ١٩٩٦ م .

١٨٣ــ من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس ــ الطبعة السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ١٩٧٨ م .

١٨٤ــ المنتخب من غريب كلام العرب ، لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي المعروف بكُراع النمل (ت ٣١٠ هــ) ــ تحقيق محمد بن أحمد العمري ــ الطبعة الأولى ، مطبوعات مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ١٤٠٩ هــ ــ ١٩٨٩ م .

١٨٥ــ منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزري ، تحقيق الدكتور عبد الحميد الفرماوي ــ مطبعة دار المطبوعات الدولية ١٩٧٧م .

١٨٦ــ المنصف ، شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني ــ تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ــ الطبعة الأولى ، مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٧٣ هــ ــ ١٩٥٤ م .

١٨٧ــ من لغات العرب لغة هذيل ، للدكتور عبد الجواد الطيب ــ طبعة ١٩٨٥ م .

١٨٨ـ النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ـ اشرف عليه علي محمد الضباع ـ دار الفكر ـ القاهرة ٠

١٨٩ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندي ـ مطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

١٩٠ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ـ تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ـ الطبعة الأولى ٠ مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٣٣ م ٠

١٩١ـ نهاية القول المفيد في علم التجويد ، للشيخ محمد مكي نصر ـ تقديم ومراجعة طه عبد الرءوف سعد ـ الطبعة الأولى ٠ مكتبة الصفا ـ القاهرة ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م ٠

١٩٢ـ النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) ـ الطبعة الثانية ٠ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ٠

١٩٣ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ـ تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، وعبد السلام محمد هارون ـ طبعة دار البحوث العلمية ـ الكويت ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٥ م ٠